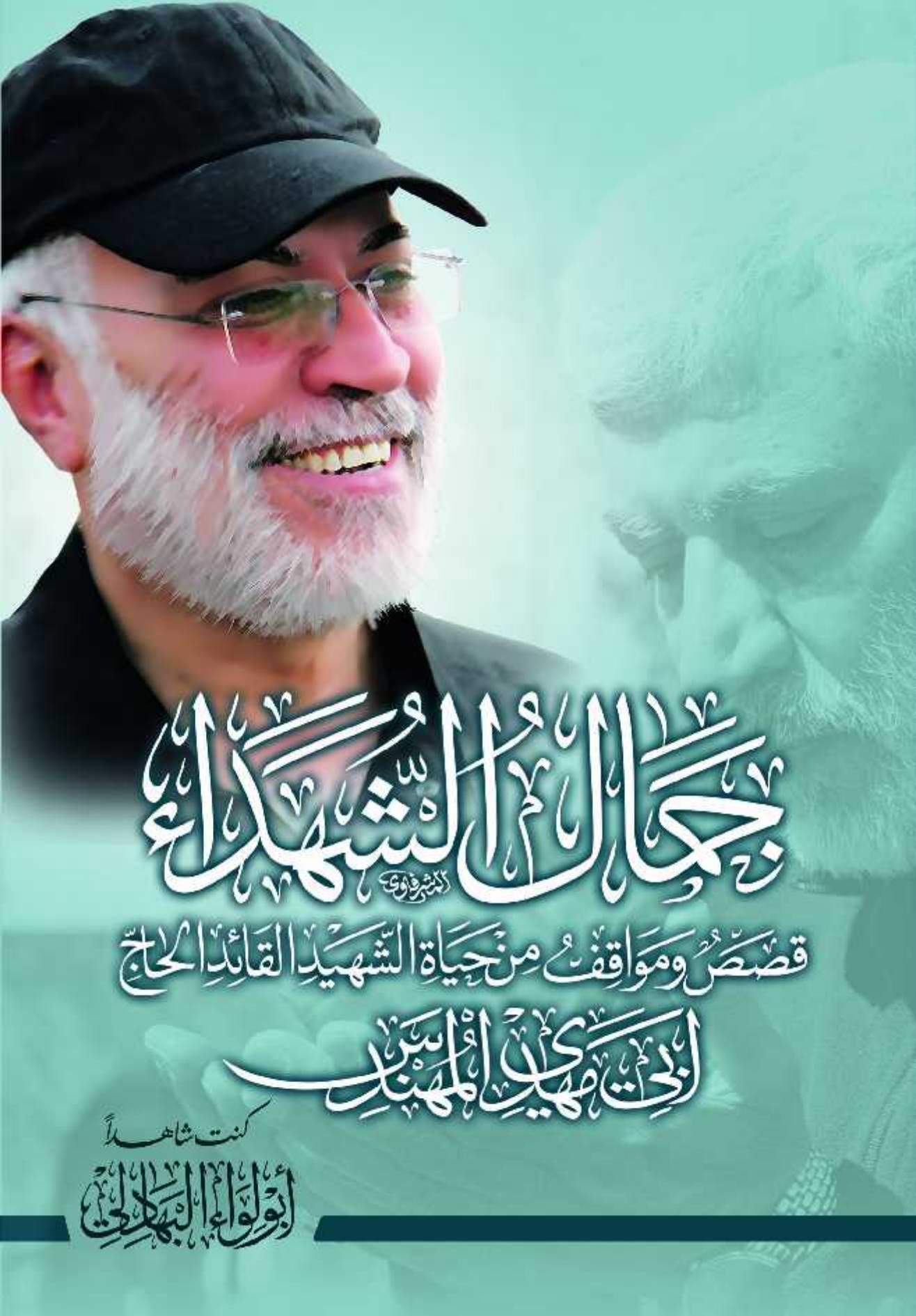

جمال الشهداء

قصص ومواقف من حياة الشهيد القائد الحاج

أبي مهدي المهندس

كنت شاهداً

أبو لواء البهادلي

اسم الكتاب: ..... جمال الشهداء

المؤلف: ..... أبو لواء البهادلي (عماد سالم)

سنة الطبع: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

القياس: ..... ١٧,٥×٢٥

عدد النسخ: ..... ١٠٠٠٠ نسخة

تيليغرام: @Alnour313

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى
هيئة الحشد الشعبي – مديرية الإعلام

﴿ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٨٢٨ لسنة ٢٠٢٠ ﴾

جمال الشهداء

قصص ومواقف
من حياة الشهيد القائد الحاج
أبي مهدي المهندس

كنت شاهداً

أبو لواء البهادلي

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

سورة النساء: ٧٤.

الإهداء

أهدي هذا العمل المُتواضع، البسيط جهداً، والكبير المحتوى -إن شاء الله-

إلى: مقام صاحب العصر والزمان ﷺ

أرواح الشهداء جميعاً، لا سيّما روح الشهيدين القائدين:

الحاج أبي مهدي المهندس، والحاج قاسم سليماني.

عائلة الشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس.

سائلاً المولى العزيز أن يتقبّله بأفضل قبولٍ، وأسأله شفاعة الشهداء يوم الورود.

كلمة مدير الإعلام:

في ظلّ اضطراب اجتماعي وسياسي وأمني واقتصادي، خرج الملايين من أبناء العراق في تشييعٍ كبيرٍ لم تشهده الساحة العراقية، ولم يروِ أحدٌ أنْ شهدت البلاد خروجَ مثل هذا العدد في تشييعٍ استمرَّ لعدّة أيامٍ لشخصيةٍ مهما كانت بارزةً أو مهمّةً على مدى التاريخ.

الشخصية الاستثنائية لأبي مهدي المهندس جمال جعفر آل ابراهيم "طاب ثراه" كانت غريبةً نوعاً ما على الشارع العراقي، مع زيادة مستوى سوء الظنّ إزاء قادة البلاد، وجاءت أيضاً في ظلّ وجود قناعةٍ شبه تامّة على أنَّ العراق يفتقر إلى القائد، وكان بروز المهندس بكلّ معايير القيادة التي توفّرت فيه جعل البعض من الناس تتساءل أثناء حياته: "هل أنَّ هذا الرجل بهذه المواصفات حقاً؟! أم أنَّ الهالة المحيطة بالقائد الإسلامي المحنَّك الشجاع الترابي عبارة عن كذبة يتناولها القريبون منه؟".

وحال أبي مهدي لا يبتعد كثيراً عن حال أكثر العظماء على مرّ العصور، لا يعرف الناس قيمتهم الحقيقية إلّا بعد استشهادهم، وهذا ما حدث بالفعل، ورغم هذا أيضاً بقيت هنالك مجموعة تحاول بين الفينة والأخرى التشويش على هذا الرمز الأسطوري العراقي الفذّ، وهذا أيضاً يأتي في زاوية صراع قوى الخير مع قوى الشرّ، فليس هنالك إجماع ما دام الشرُّ موجوداً.

ومع إصرار الشهيد أثناء حياته على عدم تسليط الضوء إعلامياً على شخصيته ومحاولته العمل بعيداً عن الترويج والإعلان، شعرت أنَّ من واجبي الشرعي والمهني رصد حياة هذا الرجل الفذّ خصوصاً أثناء معارك التصدّي لجماعات داعش الإرهابية، وهذا العمل لم يكن سهلاً قطّ مع شخصية متواضعة مثل الشهيد المهندس الذي يرفض ثم يرفض الاهتمام به ثم يضع الشروط على أيّ أمرٍ يتعلّق بتصدير شخصيته كقائد رمز لهذه الأمة .

اختيار مصوّر يكون مرافقاً مع المهندس يرافقه شروط، كأن يحمل المصور صفات محدّدة، فالشهيد مثلاً كان يفضّل الخروج بمفرده، ويعمل في بعض الأحيان عشرين ساعة في اليوم وعلى طول أيام الاسبوع، فضلاً عن لقائه بشخصيات مهمّة، واللقاءات تتّصف دوماً بالسريّة الكاملة، وهذا لا يحتاج إلى مصوّر محترف فقط، بقدر ما يحتاج إلى شخص يمتلك طاقة كبيرة، بالإضافة إلى حسن سيرته وسلوكه، ومن هنا وقع الاختيار على صديقٍ أعرفه جيداً .

أبو لواء البهادلي ذلك الشاب الجنوبي الكادح، مجاهد من عائلة مجاهدة، والأهم أنه كان يعشق المهندس.

عند تكليف البهادلي بهذه المهمّة الصعبة كان اختياراً ناجحاً جداً، فلو كلّف أي شخص آخر لما استطعنا الحصول على بعض الصوّر ومقاطع الفيديو المميّزة التي ستسهم في تعريف الأجيال بماهية أبي مهدي المهندس .

وقد كنت شاهداً على الجهد الذي قدّمه البهادلي في فترة عمله كمصور لقائد النصر، وبالتالي حصوله على أرشيف مشرف لشخصية يراها الكثير أنها القدوة في كلّ شي.

ولم يخلُ الجهد من الخطورة، خصوصاً أنَّ الشهيد كان يعشق التواجد في الخطوط الأمامية، ورغم أنَّ المصوّر الحربي في المعارك تكون كامرته غير مستقرّة استطاع المصور أن يوثّق العديد من اللقطات التي ستبقى خالدة .

ومع الصور الخالدة لـ (أبو لواء البهادلي) كان يتمتّع أيضاً بقدرة على الكتابة بصورة ملفتة للأنظار، وكنتُ أمازحه دائماً بقولي: (أكو واحد يكتبلك لو أنت تكتب؟) كناية عن انبهاري ببعض كتاباته .

وفي هذا الكتاب (جمال الشهداء) وأعتقد أنَّه أوّل كتابٍ مطبوعٍ يتناول جزءاً من شخصية قائد العراق أبي مهدي المهندس، مزج البهادلي بين إتقانه لفن اصطياد اللقطات المميزّة للشهيد وبين كتابته المميزة، فخرج هذا الجهد الرائع الذي سيكون وثيقةً مهمّةً لتخليد قائد نرفع رأسنا عالياً حينما نقول للآخرين: (كنا نعمل مع أبو مهدي المهندس).

مهند نجم العقابي
مدير مديرية الإعلام في هيئة الحشد الشعبي
١٤/ ١٠/ ٢٠٢٠م

المقدّمة:

في يوم الخميس الموافق ٢٠٢٠/١/٩م، دُفِنَ "الحاج المهندس" بين رفاقه الشهداء، ورحَل عن الأحبة والأصدقاء، لِيلتقي هناك مع رفاق الدرب، الذين سبقوه.

وقفتُ عند باب قبره الشريف، وأنا عازم - بقدر ذلك الحزن والانكسار الذي يملأ كياني - أن أكتبَ لكم عن الحاج أبي مهدي المهندس، لكن مِن أينَ أبدأ، فسنوات عُمري أقل بكثير من سنوات تلك الليالي التي قضاها الحاج المهندس مستيقظاً في سوح الجهاد؛ أربعين عاماً من الجهاد، أحتاجُ في مَطلعها إلى:

الحاج الشهيد (أبي أيوب البصري)[١]، والقائد الشهيد (أبي مُحمّد الطّيّب)[٢]، والشهيد (أبي ميثم الصادقي)[٣]، كَي يُحدثوني عن تلك السنوات التي عاشوها مع الحاج أبي مهدي المُهندس لأتمكن من الكتابة لكم.

وإذا أردتُ الكتابةَ عن سنوات الأهوار، وجهاد الحاج المُهندس فيها، فينبغي عَلَيّ أن أبقى بِعَددِ تلك السنوات جالساً بينَ الحاج الشهيد (أبي

١- الشهيد القائد ابراهيم عبد جاسم، قائد عمليات فيلق بدر، أستشهد سنة ٢٠٠٣م على يد نظام صدام المقبور.

٢- الشهيد القائد سليم سعيد الربيعي، مدير استخبارات المحور الجنوبي لفيلق بدر، استشهد سنة ٢٠٠٤ م، على طريق بغداد- كوت.

٣- الشهيد القائد حمزة قاسم سباط الدراجي، قائد فرقة الرسول ص في فيلق بدر، استشهد سنة ٢٠٠٣م على يد نظام صدام المقبور.

مُنتظر المحمّداويّ[١]، والقائد الشهيد (أبي طه الناصريّ)[٢]، لكي أتمكّن أن أوجِزَ لكم شيئاً من حياة هذا القائد العظيم، وإذا لجأتُ إلى اختصار الكتابة عن عدد سنوات مُقاومة الاحتلال الأمريكي في العراق، فإني سأحتاجُ إلى مراجعة أرشيف (خمسة آلاف) عملية نوعية، أبكَى فيها الحاج المهندس جنود الاحتلال بدل الدموع دماً.

عجز الفكرُ، وتألم القلبُ، فَبَان على قلمي الخجل، فَعن أيّ سنةٍ يضعُ القلم رحاله، ومن أيّ محبرة سيسقى، وأوراق حياة الشهيد أبي مهديّ المُهندس لا يكفيها ألف قلم ومحبرة.

تركتُ تلك السّنين وشأنها، فأنا لم أعشْ فيها، وكيفَ لِي أن أتحدّث عنها، أو أبحث فيها. ثمّ تناولتُ قلمي، فكتبتُ (الحاج المهندس في سنوات داعش)[٣]، لم أكمل العبارة بعدُ، حتى صارت أمامي أحدَ عشرَ ألفَ عائلةِ شهيدٍ، لكلّ عائلةٍ موقفٌ مع الحاج المُهندس، فكيفَ لي أن أُحصِي كلَّ تلكَ المواقف بكتاب؟ فتركتها، ثُمّ مررتُ بمواقف

١- الشهيد القائد حاتم أسود محمّد المحمداوي، قائد عمليات بدر وآمر اللواء العاشر في الحشد الشعبي، استشهد بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٣م، بتفجير عبوة ناسفة أثناء عمليات تحرير الصقلاوية.

٢- الشهيد القائد علي عبد الكاظم صالح، معاون آمر اللواء العاشر في هيئة الحشد الشعبي، ومن ثم آمر اللواء العاشر بعد استشهاد القائد أبي منتظر المحمداوي، استشهد بتاريخ ٢٠١٧/٢/٢٣م، في عمليات تحرير مدينة الموصل.

٣- داعش اختصار لاسم الدولة اللا إسلامية في العراق والشام.

الجرحى وآلامهم، فأصبحَت ملفات الشهداء وعوائلهم سهلة يسيرة أمام ناظري، ثُمّ تركتُ كليهما، وشعرتُ أنّني عاجز أن أكتب عن حياة الحاج أبي مهدي المهندس، ولو سطراً واحداً، لذا ذهبت للحديث عن عامين قضيتهما مُصوراً شخصياً مع الحاج المهندس، صوّرت وسجلت كلّ تلك المواقف التي مرّت في تلك السنتين وحفظتها، وما زلت أتذكر فيها حتى أنفاسه العطرة؛ لذا سأدوّن تلك المواقف والقصص التي كنت شاهداً فيها مع الحاج أبي مهدي المهندس؛ إذ كتبتُ كلّ المواقف بالزمان والمكان، ووثّقتها بالصوّر التي تخصّ هذا الحدث أو تلك القصة أو ذاك الموقف، ثُمّ أنّني تناولت بالتدوين المواقف التي يدركها العقل ويقبلها الناس عامة، وإلاّ لو تحدّثنا بما رأينا بأعيننا، وكنا شهوداً عليه، لقلتم أنّكم تبالغون في المهندس كثيراً.

وانطلاقاً من ذلك الاسم الجميل (جمال محمد علي)اسميت كتابي ب(جمال الشهداء) وهو اسم على مسماه.

عماد سالم
ابو لواء البهادلي
النجف الاشرف/٢٢/ ٨/ ٢٠٢٠م

السيرة الذاتية للحاج أبي مهدي المهندس[1]:

الاسم الكامل واللقب: جمال جعفر محمد علي آل إبراهيم.

الكنية أو الاسم الحركي: الحاج أبو مهدي المهندس.

محل الولادة وتاريخها: البصرة - قضاء أبي الخصيب ١٩٥٤/١١/١٦ ميلادي.

التحصيل الدراسي: حصل على شهادة البكالوريوس من الجامعة التكنولوجية، قسم الهندسة المدنية سنة١٩٧٣م، ثمّ عَمِل سنة١٩٧٧م، مهندساً في المنشأة التي تَنسّب إليها.

حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية، وأكمل دراسته للحصول على شهادة الدكتوراه للاختصاص نفسه.

فضلاً عن دراسته مقدمات الحوزة العلمية للسيد محسن الحكيم رحمه الله في محافظة البصرة.

١- المصدر: عائلة الشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس.

ارتبط الشهيد المهندس بحركة الإمام الشهيد السيّد محمد باقر الصدر قدس سره، سنة ١٩٦٩م، ليصبح مجاهداً وسياسياً إسلامياً، وعُرف بمقارعة نظام البعث الصدامي المقبور.

انخرط مع ثلة من المجاهدين والغيارى في تنظيمات حزب الدعوة الإسلامية، وبعد أحداث شهر رجب المعظّم سنة ١٩٧٩م، تم اعتقال العديد من الطلبة والمجاهدين، فأصبح الشهيد الحاج المهندس أحد أهم المطلوبين لمحكمة الطاغية وحزب البعث المقبور.

وبعد تسنم الطاغية صدام المقبور للحكم في العراق سنة ١٩٧٩م، واستشهاد المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر قدس سره اضطر المهندس إلى الخروج من العراق سنة ١٩٨٠م، فاتخذ من منطقة الجابرية في دولة الكويت مقاماً له.

أصبح سنة ١٩٨٥م عضواً في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ومارس عمله السياسي في المجلس، والعسكري في فيلق بدر الظافر، ومن ثمّ قائداً للفيلق حتى أواخر التسعينيات.

تخلى عن قيادته لفيلق بدر قبل سقوط حكم الطاغية المقبور بشهر واحد، وتخلى أيضاً عن عضويته في المجلس الأعلى، وعَمِل شخصاً مستقلاً، إلاّ أنّه لم يتخلَ عن علاقاته الجيدة بالمجاهدين جميعاً.

في سنة ٢٠٠٣م مارس دوراً مُهمّاً في العملية السياسية، وكانت له عدّة أدوار مهمّة، منها: تشكيل الائتلاف الوطني الموحّد، والائتلاف الوطني العراقي، ومن ثمّ التحالف الوطني، حيث كانت له محاولات متعددة في لمّ الشمل العراقي ووحدة البلاد، وكان يعمل بصمت وحذر شديدين؛ لما يعانيه من ملاحقة قوات الاحتلال الغاشم وبعض أجهزة البعث المقبور، التي كان الحاج المهندس يراها أساس الفتن والمصائب على شعبنا الحبيب، وعلى المنطقة، وظلّ اعتقاده هذا حتى استشهاده رحمه الله.

في سنة ٢٠١٤م احتلت عصابات داعش القذرة المحافظات الغربية من العراق، الأمر الذي جعل من الحاج المهندس شعلة تُضيء لإنارة الدرب لهذا الشعب المظلوم؛ إذ كان له الدور الأبرز في قيادة المعارك ولمّ شمل المجاهدين، وترتيب الزخم الجماهيري الذي لبّى نداء المرجعيّة الرشيدة واستجاب لفتوى الجهاد الكفائي، لذا تمّ تعينه نائباً لرئيس هيئة الحشد الشعبي، والقائد الميداني لمعارك النصر، ومهندس خططها العسكرية، وله الفضل في تثبيت وجود الحشد قانونياً في الدولة العراقية.

تكليفي مع المهندس:

بعد صدور الفتوى المباركة للجهاد الكفائي، جاء المرسوم الجمهوري الذي تشكّلت بموجبه هيئة الحشد الشعبي رسمياً، وهنا بدأ الحاج أبو مهدي المهندس يأخذ دوره الكبير بتشكيل هذه الهيأة وبناء مفاصلها المهمّة، ومن تلك المفاصل المهمّة: مديرية الإعلام التي تُعدّ من أهم أركان هيئة الحشد الشعبي، وعند انعقاد الاجتماع الأوّل للهيئة كلّف الحاج المهندس الأخ العزيز الحاج مهنّد العقابي بمهام ادارة مديرية الاعلام.

علماً أنَّ الحاج العقابي لم يكن وليد الساعة نسبةً للحاج أبي مهدي المهندس؛ إذ يتمتّع الحاج العقابي بعلاقة شخصية تربطه بالحاج المهندس منذ عام ٢٠٠٨م، كما كان على عمل متواصل منذ ذلك العام، تأسيساً على ذلك بدأ الحاج العقابي يأخذ دوره بتشكيل مديرية الإعلام للحشد الشعبي، ولما كان الحاج العقابي يعمل منذ سنوات بإدارة عدّة قنوات تلفزيونية، لذا اعتمد على الكوادر الإعلامية التي يعرفها لبناء هيكل المديرية.

بدأ عملي في هذه المديرية المجاهدة منذ الأيام الأولى، وكان ذلك سنة ٢٠١٤م، وكان عدد العاملين فيها لا يتعدى عدد الأصابع، أما طبيعة عملي فيها فكان مرافقة الحاج أبي مهدي المهندس، وتكلفي بهذه

المهمّة حدّده الحاج مهند العقابي شخصياً، فطلب منّي أن أبقى مع الحاج المهندس أربع وعشرين ساعة متواصلة، وأن أُوثّق بكامرتي كلّ شيءٍ مهما كان، وأهم ما جاء في هذا التكليف الحفاظ التام على سرية المواد المصوّرة، فضلاً عن منع الاطلاع عليها أو نشرها من قبل الآخرين، ولا بدّ من اطلاع الحاج العقابي شخصياً، واستشارته أوّلاً، فهو من يُحدّد أهمية تلك المصوّرات، ويعمل على تقييمها إن كانت صالحة للنشر، ثمّ يتمّ تحولها للأرشيف الخاص، وأذكر جيداً حين اختارني الحاج العقابي، قال لي ما هو نصّه: (اخترتك أنت شخصياً لمعرفتي السابقة بك، وأنّني أعرف جيداً مَن تكون، سأكون على أمان تام بك).

ثـمّ أخـذ الحـاج العقـابي يُفصّـل القـول ويشـرح لـي نـوع المهمّـة، ونـوع هـذا العمـل الـذي كلّفنـي بـه، وبـيّن مـا هـو مسـموح لـي بتصـويره، ثـمّ أضـاف قـائلاً: (أنّ الحـاج أبـا مهـدي المهنـدس يـرفضُ التصـوير رفضـاً قاطعـاً؛ لخوفه من أن يقع في الرياء، فرُبّما يرفض تواجدك معه باستمرار).

فقلت: وإذا رفض، ماذا سأفعل؟

قـال: مُهمتـك أن تبقـى معـه، حتـى إذا رفضـك، فـنحن نتصـدّى لهـذه المسؤولية، وعلينـا أن نُصـوّر كـلّ لحظـةٍ يتـنفس فيهـا، وأنـا علـى يقـين تـام بـأنّ الحـاج المهنـدس سـيقبل بـك؛ لأنّـه ذو قلـب طيّـب، وأخـلاق فاضـلة، لذا يمنعه الحياء من أن يرفضك أو يكرر رفضه لك.

ومـن هنـا عملـت علـى تجهيـز عِـدّة الإعـلام، وبـدأت مهمتـي الإعلاميـة مـع الحـاج المهنـدس، وكنّـا حينهـا فـي عمليـات تحريـر حـزام سـامراء، ولمـا كـان الحـاج العقـابي يُخبرنـي رفـض المهنـدس للتصـوير، فـإنّني أبلغتـه بـأنّ هـذا التصـوير هـو للأرشـيف فقـط، وأنّ مهمتـي هـي البقـاء معـك ومرافقتـك للتصوير، حتى إذا رفضتني فإنّني باقٍ معك.

حينهـا ابتسـم الحـاج، فقـال: **شـلُون يَعنـي أنْـتَ مَـا تِمـل تُبْقَـى وَيـايَ دُوم؟**.

فقلت له: بلى، سأبقى معك.

فبدا لي بأنّ الحاج أبا مهدي المهندس تقبّل فكرة البقاء معه، بل صار يسأل عني إذا لم يَرَني، فيقول: **بُويَه وَين هَذا الوَلد البَهَادلِي إِلي وَيَانَه يُصَوّر؟**؛ إذ لم يحفظ اسمي (أبو لواء) في الأيام الأولى، فكان يناديني(البهادلي).

بقيت مع الحاج المهندس حتى سنة ٢٠١٦م، وحينها كانت عمليات تحرير جزيرة الخالدية التي تقع في محافظة الأنبار، وبعد إنتهاء هذه العملية طلبت إنهاء تكليفي من هذا الواجب الشاق، وبَقِيَ الأخ المُجاهد سجاد رسول بديلاً عني حتى شهادته، وبقيت علاقتي به يسودها المودّة والحبّ والشوق، حتى شهادته رحمه الله، سنة ٢٠٢٠م.

طلب تسجيل الوصية:

حينما تُرافق شخصية مثل شخصية الحاج المهندس، وترى ما ترى من الشجاعة، التي يتمتّع بها في ساحة الجهاد تكن متيّقناً يقيناً يُوحي إليك بأنّ نهاية هذا الرجل هي طلب الشهادة، فمُنذُ الأيام الأولى التي رافقت فيها الحاج المهندس أخذت عهداً على نفسي بأن أسجّل له وصيته، وأن تكون محفوظة لدى الأرشيف، وفي كلّ مرّة أطلب منه ذلك، إلا أنّ انشغاله في ساحات العمليات وإدارة المعارك تَحُول دونَ ذلك.

وردني اتصال من الأخ العزيز الحاج مهند العقابي بتاريخ٢٠١٥/١٠/٢٣م، يطلبُ فيه أن أبقى متواصلاً مع الإخوان في(قناة الاتجاه)، الذين عزموا على تسجيل حلقة خاصة عن العمليات العسكرية، وحينها كانت الاستعدادات جارية لتحرير قضاء بيجي[1]؛ إذ يُعدّ هذا القضاء من أخطر المدن العراقية، التي سيطر عليها داعش سنة ٢٠١٤م، فركّز داعش كلّ قواته العسكرية فيه، وكانت تُعدّ قضاء بيجي خطُّ الصدّ الأوّل عن محافظة الموصل شمال العراق؛ لذلك

١-قضاء بيجي أحد اقضية محافظة صلاح الدين احتلها داعش عام ٢٠١٤م وحررت على يد أبطال الحشد الشعبي والقوات الأمنية عام ٢٠١٥م.

أدخل داعش لهذه المدينة فرقة القوقاز، التي تُعرف من أشرس الفِرَق المقاتلة عند داعش.

ثمّ تواصلت مع الإخوان في(قناة الاتجاه)، للتنسيق معهم في أن يكون وجودهم متوافقاً مع وصول الحاج المهندس إلى غرفة العمليات، ولمّا أتممتُ المهمّة بنجاح، بدأ كادر قناة الإتجاه بأخذ مواقعهم في غرفة العمليات، فنصبوا الكاميرات، وأغلقوا الهواتف النقالة ليبدأ الحاج المهندس حديثه مع صاحب الحوار، الذي استمر لأكثر من ساعة.

التقطت هذه الصورة للحاج المهندس أثناء تسجيل حلقة اللقاء، التي أعدتها (قناة الاتجاه)، وأنا استمع لحديثه عن إرهاب داعش بالمنطقة،

وكيف قدّم الاحتلال الأمريكي كلّ الإمكانات لهم، تذكرت موضوع الوصية مجدداً، فقلت في نفسي: هذا هو الوقت الأنسب لطلب تسجيل وصية الحاج المهندس، ولعل استهداف أبي مهدي المهندس في أحد قواطع العمليات قبل بضعة أيام، الذي سأذكره لاحقاً تحت عنوان (استهداف المهندس)، كان له الأثر في الإصرار على طلب تسجيل الوصية، ثمّ انتهى وقت اللقاء، وشرع العاملون في (قناة الاتجاه) برفع معداتهم.

وقبل أن يغادر الحاج أبو مهدي المهندس غرفة العمليات، طلبتُ منه البقاء في مكانه مدّة خمس دقائق فقط لغرض تسجيل وصيته، فضلاً عن أنّني لا أعرف كم دقيقةٍ سيبقى يتحدث، إلاّ أنّ الشائع لدينا كثيراً حينما تريد أن تطلب من شخص ما أمراً سريعًا، تقول له: أعطني من وقتك خمسة دقائق فقط.

فقلت له: (حَجي مُمكن أن أسجل وصيتك؟)، طلبت ذلك وأنا أشعر بالخجل منه، لكنّ شيئاً في نفسي ألحّ عليّ فعل ذلك.

استجاب الحاج المهندس لطلبي وبقي جالساً على كرسيه حتى أعددت نصب كامرتي وفتحت جهاز الصوت، وقبل أن أبدأ الشروع

بتسجيل الوصية، قال لي: **منذ أربعين عاماً وأنا في ساحات الجهاد لم يطلب مني أحد حتى الآن تسجيل وصيتي.**

فقلت له: أنا اليوم أريد أن أسجّلها لك.

ابتسم الرجل بتلك الابتسامة، التي يعشقها المجاهدون، وقال: **يَلّه يَا أبو لواء سجّل وصيتي.**

التقطت لي هذه الصورة من أحد الإخوة المرافقين اثناء شروعي بتسجيل الوصية.

وفعلاً شرعت بتسجيل الوصية وصار الحاج المهندس يتحدث أمام الكاميرة وكأنّه أعدّ الحديث قبل أيام أو ساعات، مع أنّه لم يمض على طلب تسجيل الوصية سوى دقائق.

فعندما جلست أمامه وهو يتحدث شعرت وكأنّه سيفارقنا غداً، حتى أنّني شعرت بالخجل عندما نظرت إلى مَن كان موجوداً بالقرب منا، وهم يستمعون لحديث الحاج المهندس ودموعهم حطّت رحالها على الأرض عندما قال: **ما يخصّ زوجتي وبناتي**، اختنقت بعبرتي، وأخذني الخيال حينها وكأنّه شهيد، وكيف تبقى بناته بلا والي بعده؟، ثمّ انتهت الوصية وانتهى حديث الحاج أبي مهدي المهندس، الذي لم يستمر سوى خمس دقائق فقط، وكأنّه كان يتدارك الوقت بالحديث فلا يزيد عليه.

الوصيّة:

بسم الله الرحمن الرحيم

و صلّ اللّهم على محمد وآله الطيبين الطاهرين...

السّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ، وعلى أمّك وعلى أبيك، وعلى زوجاتك وعلى الصديقة خديجة الكبرى، السلامُ عليكَ وعلى أبنائك، وعلى الصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، السلامُ عليكَ وعلى وصيّك وابن عمّك علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين، السلامُ على الأئمة من ولدك الحسن والحسين عليهما السلام، سيّدي شباب أهل الجنة، السلام عليك وعلى أولادك المعصومين علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمّد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمّد بن علي الجّواد، وعلي بن محمّد الهادي، والحسن بن علي الزكيّ العسكريّ، ومحمّد بن الحسن المهديّ عجل الله فرجه، أئمتي وسادتي وقادتي بهم أتولى، ومن أعدائهم أتبرأ.

أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً رسولُ اللهِ ص، وأن الأئمة من أبناء علي بن أبي طالب عليهم السلام

أئمتي وسادتي وقادتي بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرأ، أشهد أنّ الموت حقّ، وأنّ الحساب حقّ، والجنّة والنّار حقّ.

أوصي كلّ الأخوة وكلّ الأخوات الذين يسمعون صوتي، وأوصي أهلي ببراءة ذمتي بعد موتي، بما عندي من متعلقات ويتعلق بالعائلة الكريمة، ونسألُ الله سبحانه وتعالى لهم التوفيق والهداية والثبات وحسن العاقبة لزوجتي وبناتي، وأسأل الله سبحانه وتعالى الثبات وإدامة الجهاد للمجاهدين من إخوتي وأبنائي الذين سطّروا أروع ملاحم الجهاد طيلة هذا العمر، الذي قضيته منذ بداية عملي الجهاديّ إلى اليوم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشرني معهم سواء إخوتي الذين استشهدوا عندما كنا في أيام الجامعة، وبعد الجامعة من شباب الدعوة المجاهدين في ذلك الوقت، وهم بالمئات من إخوتي وأصدقائي وأساتذتي، وعلى رأسهم الشهيد السعيد السيّد محمد باقر الصدر قدس سره، ومَن رافقني بالجهاد ورافقته بالجهاد بعد ذلك من الكويت إلى إيران إلى العراق، وشباب بدر الذين سبقونا بالإيمان وسبقونا بالشهادة، وشباب المقاومة الذين قاوموا الاحتلال ما بعد السقوط، سقوط

النظام الظّالم، وشباب الجهاد، وشباب الحشد الآن بكلّ الفصائل وكلّ التشكيلات، أسأل الله لهم الثبات والهداية والتّفّقُه في الدين، أؤكد على إدامة الجهاد مع التّفّقُه في الدين، ومعرفة أحكام الله سبحانه وتعالى، أحكام الجهاد، وأحكام التعامل مع الأسرى، أحكام التعامل مع أموال الناس وأعراض الناس.

هدفُنا هو مَرضاة الله سبحانه وتعالى، الهدف الأسمى هو رضا الله سبحانه وتعالى، خدمة الناس مهما كانوا، سُنّة، شيعة، مسيحيين، أيزديين، بقومياتهم، بمذاهبهم، هدفُنا هو مرضاة الله، لم نأتِ بُغاة وإنّما خرجنا للإصلاح وللقضاء على الإرهاب، وأن يعيش العراق إن شاء الله بأمان وسلام إن شاء الله.

دماؤُنا ودماء كلّ الذين قدّموا هذا الدم من الشهداء من شباب هذه الأمة المُخلصة، هدفهم مرضاة الله سبحانه وتعالى، وإحقاق حقوق الناس، وإشاعة الأمن والسلام في ربوع العراق، ورفع إن شاء الله تعالى الظلم عن كلّ مظلوم، والاستقرار إن شاء الله في المنطقة عموماً، في العراق وفي المنطقة، أسألهم الثبات وإدامة الجهاد وإدامة روح الجهاد، وإطاعة ولي الأمة السيد

الخامنئي دام ظله، الاهتمام بشيعة المنطقة وشيعة العالم، ونصرة المظلوم مهما كان مذهبه، وأسأل الله سبحانه وتعالى لكم التوفيق والثبات وبراءة الذمّة، والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلِ اللّهم على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

أنتَ مفطر؟

في الأيام الأولى من الفتوى المباركة سنة ٢٠١٤م، حرّرنا الطريق العام الرابط بين قضاء سامراء[1] المقدّسة والعاصمة بغداد، لِنؤمن وصول قطعاتنا العسكرية إلى قضاء سامراء، التي ستكون المنطلق لتحرير مدينة تكريت وضواحيها، وبعد تأمين الطريق العام بنصب السيطرات العسكرية، والأبراج الكونكريتية، وتأمين قضاء سامراء بجميع ضواحيها، شرعنا بتاريخ ٢٠١٤/٧/١م بالعمليات التي جاءت على محورين:

الأوّل: تحرير الطريق العام الرابط بين محافظة صلاح الدين وقضاء سامراء وتأمينه.

الثاني: نشر قواتنا على جانبي الطريق خوفاً من قطعه مرة أخرى واستهداف القوات العسكرية من خلاله؛ إذ أصبح هذا الطريق في حينها رافداً رئيسياً لتعزيز قواتنا المُتّجهة إلى مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين.

ومنذ انطلاقنا من سامراء كان الحاج المهندس يرافقنا ميدانياً، حتى وصلنا إلى بوابة المدينة التي تُسمّى(الأقواس)، وهنا طلب خبير

١- قضاء سامراء أحد أقضية محافظة صلاح الدين احتلها داعش عام ٢٠١٤م وحررت على يد أبطال الحشد الشعبي بنفس العام.

المتفجرات إيقاف التقدّم، ونشر القوات وتفريقها خوفاً من استهدافها بالعبوات الناسفة، فقد زُرِع في هذا المكان الذي لا يتجاوز كيلو متراً مربعاً، أكثر من خمسين عبوة ناسفة، تكفي الواحدة منها لِنسف بيت كبير ذي طابقين مثلما أخبرنا خبير المتفجرات آنذاك.

تأخّر الوقت ومازال الخبير يعالج العبوات بين تفكيكها وتفجيرها، إذا لم يتمكن منها هندسياً، وكان الطقس مشمساً، وكنّا في الأيام الأولى من شهر رمضان المُبارك والتعب بان على الجميع، فنحن نسير مُنذ صلاة الفجر، وتشير الساعة الآن إلى الثالثة مساءً، لم أتحمل البقاء هناك تحت أشعة الشمس، فرحت أبحث عن مكان في الظلّ، فوجدت مسجداً صغيراً يقع قبل بوابة تكريت بأمتار على الجانب الأيسر، وهناك وجدت الحاج المهندس جالساً ينتظر رفع العبوات، وكنت في حينها أحمل في يدي قنية ماء باردة.

فقلت له: تفضل حاج، أشرب قبل أن أشرب أنا.

فردّ عليّ: **أنتَ فَطَرتَ؟**

ابتسمتُ في وجهه، وقلتُ له: حَجِي مُنذُ الساعات الأولى للتقدم فطرت، وسألت الشيخ قال: يجوز لك الإفطار إذا علمت أنّك ستقصر في أداء الواجب، وسأقضي هذا اليوم بعد إنتهاء شهر رمضان، وأنا

أقسمُ لك أنّني لو بقيتُ صائماً لم تَرَني الآن أمامك واقفاً، ابتسم بتلك الابتسامة الجميلة، فأخبرته حينها: ألا تريد أن تفطر معي؟ الماء بارد، ومُشَهِي للإفطار، فأخذ قنينة الماء البارد من يدي وصبّها على رأسِه، قائلاً: **أنتَ فاطر، وتُريد أن تُفَطّرْنَا مَعكَ، لم تَبقَ سِوَى ساعات للإفطار، وحينها ستشعر بالندم.**

وفي تلك الأثناء كان يجلس بجانبه الشهيد (الشيخ أبو علي الحلفي، والدكتور ياسر الابن الأكبر للشهيد عزّ الدين سليم[1])، فأخرجت كامرتي وقمت بتصوير الحاج المهندس.

١- الشهيد الدكتور عبد الزهرة عثمان (عزّ الدين سليم)، المفكر الإسلامي، استشهد في عام ٢٠٠٤م بانفجار استهدف عجلته الخاصة عند خروجه من مقر مجلس الحكم حينما كان يشغل منصب رئيس الحكومة الانتقالية، التي استمرت عاماً واحد بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م وكانت الرئاسة فيها دورية لمدّة شهر واحد.

فقال له دكتور ياسر: (حَجِي جَاي يُصوّر بيك بَعد دَقيقة ينشرُون صُوَرك)، فنظر إليّ مُبتسماً، وقال: **مَا بَاقِي شِي سِري**.

إنّ هذا التصوير للحاج المهندس كان حينها الأوّل منذ الاحتلال الأمريكي؛ إذ لم يظهر بأيّ تصوير قبله، حتى أنّ الحاج مهند العقابي حينما نشر التصوير كتب عليه (أوّل ظهور للحاج المهندس في عمليات تكريت).

ثمّ استلزم الأمر البقاء في هذا المكان لعدّة ساعات، وبين وقتٍ وآخر يأخذ الحاج المهندس قنينة ماء ويسكبُها على رأسه من جديد، بينما أحدثُ نفسي ما الذي يجعل هذا الرجل البقاء صائماً، مع وجود فتوى تُجيز الإفطار؟، ولم أجد جواباً مناسباً للسؤال، حتى ذلك اليوم الذي رحل فيه الحاج المهندس شهيداً، وخرجت أخته الكبرى في لقاء على شاشة التلفاز، وهي تتحدث عن أخيها الشهيد، فذكرَت بحديثها ما كنت أبحث عنه؛ إذ قالت: (إنّ أخي الشهيد أبا مهديّ صامَ شهر رمضان، وهو في السادسة من عمره)، فتيقّنتُ أنّ الرجل الذي تحمّل أعباء الصيام في ذلك الحرّ الشديد، ونحن في العمليات العسكريّة، ولم يفطر يومًا واحداً إلاّ إذا كان على سفرٍ أو مريض، وربّما أنّه حتى وإذا

كان مريضاً فلا يفطر، وهذا أوّل شهر رمضان جديد يمرّ علينا نفتقد فيه الحاج الشهيد المهندس معنا.

أنا على استعداد أن أكون مكانهم:

بعد سقوط محافظة الموصل سنة ٢٠١٤م، كانت قرية البشير[١] أوّل القرى التي هاجمها داعش، وبعد صعوبة المواجهة مع العدو؛ لقلّة الإمكانات العسكرية لدى أهالي القرية، اضطرت العوائل للنزوح إلى ناحية (تازة) التي تلتحق بها قرية البشير إدارياً.

غادر أبي مصطفى البشيري مع عائلته قرية البشير بعجلته الخاصة واتجه بها إلى دار أهله الكائن في ناحية تازة، وحين وصوله إلى مشارف القرية رنّ هاتفه النقّال، ليخبره أحدهم أنّ أخاه يحاصره داعش، ولا يمكنه الإفلات أو الخروج، فترجل أبو مصطفى عن عجلته لِيأخذ سلاحه الشخصي عائداً إلى بيت أخيه، طالباً من ولده محمّد أمين الذي يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، قيادة العجلة مع باقي العائلة.

وصل أبو مصطفى إلى دار أخيه ولم يرَ شيئاً هناك، ثمّ تذكّر عليه أن يتصل بأخيه؛ لِيسأله عن محل إقامته، فأجاب الأخ قائلاً: أنا في دار أهلي، وصلت قبل دقائق، ثمّ ذهب أبو مصطفى البشيري إلى داره لِيعود إلى ناحية تازة بسيارته الثانية، التي تركها؛ لأنّها قديمة الصنع، وشاء القدر أن يعثر أبو مصطفى في طريقه على أحد أصدقائه مع عائلته

١-قرية البشير إحدى قرى محافظة كركوك احتلها داعش عام ٢٠١٤م وحررت على يد أبطال الحشد الشعبي عام ٢٠١٦م.

يسيرون مشياً على الاقدام؛ لأنّهم لا يمتلكون عجلة، فتوقف من أجلهم.

يقول أبو مصطفى: عندما خرجت أنا وعائلة صديقي السيّد من القرية وجدنا أن الدواعش نصبوا سيطرة تراقب مدخل القرية الذي نروم الخروج منه؛ لِذلك قلتُ: للسيّد علينا أن نشتبك معهم بالسلاح قبل أن نقع أسرى في أيديهم، وفعلاً تقلّد السيّد سلاحه، وأنا جهزتُ سلاحي للرماية، وحينما وصلنا إلى السيطرة قالوا: ابتعدوا من هنا بسرعة، فحسب علمي أنهم ظنّوا أنّنا من أبناء السُنّة، الذين بقوا في المدينة؛ لأنّهم لا يعتقدون بقاء أبناء الشيعة في القرية، ويواصل أبو مصطفى حديثه الشخصيّ الذي خصّني به: وصلت إلى دار أهلي في ناحية تازة، فسألوني عن عائلتي، فيما بادرتهم أنا بالسؤال نفسه، فقلت لهم: رُبّما ذهبوا إلى دار ابنتي، لكن سرعان ما علمت أنّهم لم يصلوا إلى دار ابنتي أيضا، فأخرجتُ هاتفي النقّال لأتصل بولدي محمّد أمين، لكن مَن رفع الهاتف لم يكن محمّد أمين، وكلّ ما أتذكره، تلك الكلمة التي سمعتها من خلف الهاتف: إنّ عائلتك معنا يا رافضي، وهنا علمت أن عائلتي وقعت بالأسر عند داعش، وعلمت -فيما بعد- أنّ ولدي محمّد أمين مع والدته وأختيه (معصومة)، التي تبلغ من العمر ثمانية

عشر عاماً، و(نرجس) التي تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، وولدي الرضيع(محمّد علي)، كلّهم أسرى عند داعش.

يقول أبو مصطفى: لم أمتلك سبيلاً في تلك الساعة سوى الدعاء، وأتذكر حينما رفعت يدي نحو السماء، وقلتُ: ربّي أنا لم أعتدِ على عِرض إنسان في حياتي، لا بكلمة ولا بنظرة، ولا أريد أن يعتدي هؤلاء المجرمون على عِرضي، واستجاب الله تعالى دُعائي بتلك الساعة التي وقعت فيها عائلتي في الأسر، فنالت ابنتي(معصومة) وأختها (نرجس) وسام الشهادة بعد رفضهم السير مع العدو؛ إذ أحرجتهم ابنتي(معصومة) أمام الناس حين قالت لهم: (أين أنتم وإسلام محمد ﷺ؟)، فأرادوا إسكاتها بأيّة طريقةٍ، فلم يجدوا سوى إطلاق النار عليها، وكانت اختها (نرجس) تلوذ خلفها، فأصيبتا معاً بالرصاصة نفسها، التي استقرت في صدريهما. أخبرني بقصة بناتي شخص من أبناء السُنّة كان واقفاً معهم، وهو الذي تابعهم حين رموا جثمانيهما خارج المدينة، فقام بنقلهما في الليل سراً إلى مستشفى كركوك.

لم أشعر بالتعب لرحيل بناتي، إلا أنّني كنت متعلقاً بولدي محمّد أمين؛ لكونه الولد الوحيد لخمس فتيات، لذلك أبحث عن أيّة وسيله لإخراجه من أسر داعش، إن كان على قيد الحياة.

فقلت له، ونحن نستمع إلى حديثه، أنا وسماحة الشيخ المجاهد (صادق النجفي): لماذا لا تخبر الحاج أبا مهدي المهندس بقصتك؟ فإن قلت له أنك أبو مصطفى البشيري، فأنت رجل معروف ومن عائلة معروفة لدى المجاهدين، وحتماً سيعرفك المهندس ويُقدّم لك المساعدة.

فقال: وهل سيستجيب لي؟

قلت: نعم، سيستجيب لك وسيقدّم لك ما تريد.

قال: وكيف أتواصل معه؟

قلت: هذا رقم هاتفه الشخصي، اتصل به، أو اترك له رسالة، وهو سيتصل بك حين يقرأ الرسالة.

فأخذ رقم الهاتف وكتب رسالة إلى الحاج أبي مهدي المهندس، وبعد مرور دقائق جاء الاتصال، فأخبر البشيري الحاج المهندس قصته، التي أبكت المهندس وهو يستمع لها عن طريق الهاتف، فقال له: **حبيبي أبو مصطفى ماذا تريد؟ أنا أمامك، وأيّ شيءٍ يطلبونه منك، أنا شخصياً سأفعله لك مهما يكون.**

وفي زيارة الحاج المهندس إلى مديرية التوجيه العقائدي التي تطوع فيها البشيري لخدمة المجاهدين، التقى بأبي مصطفى واستمع الحاج

المهندس لكل حديثه، التقط أحد الأصدقاء هذه الصورة للحاج المهندس وهو يستمع إلى قصة أبي مصطفى البشيري في بغداد.

وبينما نحن في عمليات تحرير جرف النصر[1] سنة ٢٠١٤م، جاء اتصال هاتفي للبشيري يطلب منه أن تبادل عائلته بعوائل داعشية، قُبِض عليها في معارك جرف النصر، وهم لدى القوات الأمنية، فرح أبو مصطفى كثيراً لطلبهم، وذهب مسرعاً ليخبر الحاج المهندس الذي وعده خيراً بما يريدون، ثمّ أخبر أبا مصطفى **أن هؤلاء لا يريدون التفاوض، بل يريدون بقاءك على أمل لا وجود له، ويعملون على انهيار**

١- قضاء جرف الصخر أحد اقضية محافظة بابل. احتلها داعش سنة ٢٠١٤م، وتحررت في نفس العام على يد أبطال الحشد الشعبي ليكون اسمها الجديد "جرف النصر".

أعصابك؛ لا إنسانية لهم، ولا يهمهم إن كانت لهم عوائل أو لم تكن، وصدق الحاج المهندس بما أخبر به البشيري، فلمّا أخبرهم البشيري أنّه مستعد للتفاوض معهم، غيّروا طلبهم إلى طلبٍ آخر، وهو أن لديهم أربعة من قياداتهم معتقلون لدى البيشمركة في محافظة أربيل شمال العراق.

أخبر البشيري الحاج المهندس بطلبهم الجديد، فلم يختلف ردّ المهندس؛ إذ قال له: **قلت لك يا عزيزي، هم يريدون انهيار أعصابك ليس إلا**، ثمّ خرج البشيري بلا أمل، وقد تقطعت به السُبل، ولم يبقَ له سوى الدعاء، وبينما هو كذلك نادى عليه الحاج المهندس، قائلاً: **أبا مصطفى، سأقولها لك وأنا صادق بما أقول، والله لم يكن شعوري يوماً ما اتجاه عائلتك إلا مثل شعوري اتجاه عائلتي، وأبنائك هم مثل أبنائي، لكن اعلم أنّ هؤلاء مجرمون لا رحمة لهم، ولا يعرفون شيئاً من الدين، فإن اتصلوا بك مرة أخرى أخبرهم أتقبلون بالمهندس بديلاً عن عائلتي؟ فإن قبلوا، والله سأكون أنا بديلهم من أجل عودة عائلتك**، فبكى أبو مصطفى وهو يستمع لحديث الحاج المهندس، وقال له: يا حاج أنا أعلم أنّهم لا يفاوضون، وليسوا سوى حفنة من القتلة لكنّي سأبقى بأمل اللقاء بعائلتي.

وأعتقد أنّ أمله تحقق والتقى أبو مصطفى البشيري مع عائلته في جنة الفردوس، حيث استشهد الحاج أبو مصطفى البشيري في الهجوم الذي شنّه داعش على قضاء تازة بتاريخ ٢٠١٥/٨/٢٦م، ليكون مع بناته الشهيدات، وعائلته التي لا تزال حتى الآن مفقودة الأثر، ورحل الحاج أبو مهدي المهندس معهم شهيداً، ويقيناً أنّهم الآن في جنة الفردوس جميعاً، يستمعون لحديثي هذا، انطلاقاً من الآية القرآنية: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[1].

١- آل عمران: آية ١٦٩.

رفع النفايات أثناء العمليات:

أحبّ دائماً قراءة سيرة الشهداء، ومنهم الشهداء القادة، الذين لهم الأثر الكبير في تربية آلاف المجاهدين، أقرأ عن مواقفهم الإنسانية وعن تواضعهم بين الجنود.

مثلاً، تقرأ في سيرة أحد الشهداء القادة كان يستيقظ بعد أن ينام جنوده ليغسل جواربهم، وينظّف أحذيتهم العسكرية، لكن كنت اقرأ فقط وربما تنتهي القصة مع انتهاء قراءة السيرة؛ لأنّه لا يمكن أن يؤثر بك قراءة الكتاب مثلما يؤثر ذات الشهيد القائد بالجنود الذين كانوا معه شخصياً، وبينما نحن نطالع قصة كتبت، لكن هم عاشوا أحداث تلك القصة فتأثير القائد فيهم أشدّ وأقوى من تأثير القصة فينا.

فعندما كنت أعمل مع الشهيد القائد (أبي منتظر المحمداوي) ومع قلة الوقت الذي كنت التقي به، إلا أنّه ترك أثراً كبيراً في حياتي، فمن قصص التواضع التي عاشها هذا القائد المعروف بالسماء، المجهول في الأرض، كان عندما يريد أن يعود إلى بيته، يعود بسيارة أجرة، ويتنقل بهوية الأحوال المدنية لكي لا يقول أنا فلان، فيذهب ثواب عمله نتيجة الرياء؛ لذا فإن هذا الموقف وغيره ترك فينا أثراً أكثر مما تركه مطالعة آلاف الكتب.

أذكر لكم هذا الموقف الذي كنت شاهداً عليه:

في عمليات تحرير جلولاء والسعدية[١]، بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٢م، تحديداً في مدينة السعدية، اتخذ القادة من أحد التلال المرتفعة في أطراف مدينة السعدية موقعاً للاستطلاع والاشراف على العمليات العسكرية ميدانياً، وكان برفقتهم العشرات من المجاهدين.

حان موعد صلاة الظهر مع ارتفاع صوت أزيز الرصاص، وقفنا نصلّي جماعة بإمامة الحاج المهندس، وكان يقف معنا بالصف الأول الشهيد الحاج القائد (قاسم سُليماني)، وبعض الأخوة المجاهدين، منهم الأخ المجاهد الحاج مهند العقابي، وبعد انتهاء صلاة الجماعة وزع علينا وجبة الطعام، وكانت عبارة عن رز ومرق أحمر في حافظة أكل بيضاء مع كاسة لبن وقنينة ماء، وبعد أن انتهينا جميعاً من الأكل، ومنهم المُتحدّث، تركنا عُلب الطعام الفارغة على التل، وهي بالعشرات وبعضها بقي فيه القليل من الطعام، ولم نبالِ لرفع العلب الفارغة؛ لأنّ المكان كان صحراوياً، وربما لا يصله أحد غيرنا إطلاقاً، وبينما نحن مشغولون بمشاهدة العمليات قام الشهداء القادة من دون سابق إنذار بفتح الأكياس التي جاء فيها الطعام، وجمعوا العُلب الفارغة. تخيل معي

١- ناحيتي جلولاء والسعدية في محافظة ديالى ويقعان قرب الحدود العراقية الايرانية، أحتلها داعش سنة ٢٠١٤م وحررت في نفس العام على أيدي أبطال الحشد الشعبي.

المنظر أنّ الحاج قاسم سُليماني أخذ الكيس بيده، والحاج أبو مهدي المهندس يجمع العلب الفارغة ويضعها في ذلك الكيس.

ربّما لم يستمر هذا الموقف سوى دقائق، لكن في تلك الدقائق كنّا نشعر بتلك الصفعة التي أعادت لنا الوعي وعرفنا كيف يكون المجاهد؟ وأي سمات يحمل؟

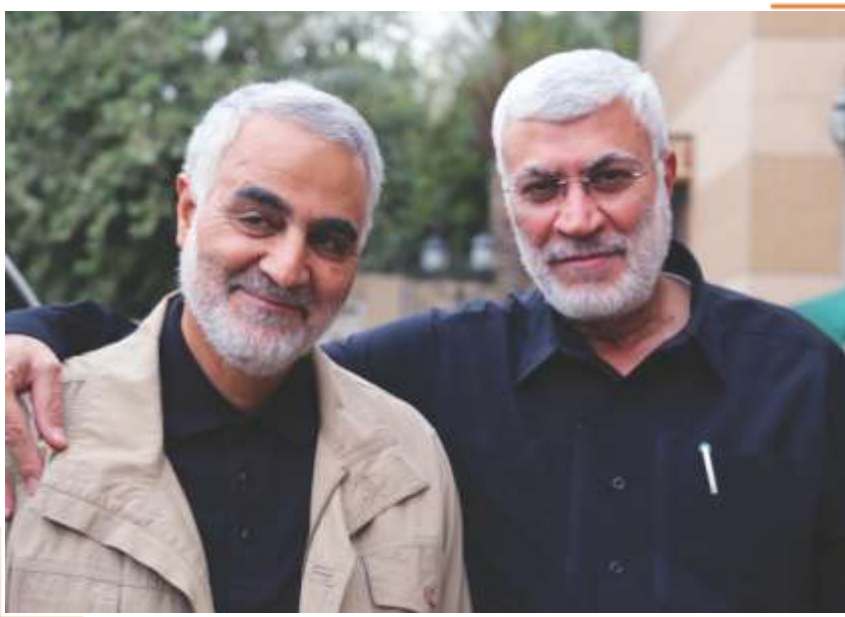

❖ ❖ ❖

عَلِمَ المهندس برحيل الكناني[1]:

توجهنا مع الحاج المهندس بتاريخ ٢٠١٥/٣/٣م، إلى غرفة العمليات العسكرية التي تقع في أطراف قضاء سامراء باتجاه قضاء الدور، وكان تشكيل هذه الغرفة العسكرية لأجل إدارة العمليات المشتركة بين ألوية الحشد الشعبي التي أخذت على عاتقها تحرير قضاء الدور مع قرية ألبو عجيل[2] والقرى المحيطة بها، وكانت هذه العمليات تمهيداً لدخول مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين التي احتلها داعش سنة ٢٠١٤م، وكان من شأن غرف العمليات العسكرية أنّك ترى وجوه القادة تتّسم بالجدّ والمثابرة، ونادراً ما ترى قائداً يبتسم قبل بدء ساعة الصفر(ساعة انطلاق المعركة)، وهو شعور طبيعي خوفاً من الهزيمة أو فقد الأحبة، لكن هذا الأمر لا نجده في غرفة العمليات التي يجلس فيها الحاج مهدي الكناني، الذي بين كلمة وأخرى يعلّق على أمرٍ ما ويرسم بذلك البسمة والأمل على وجوه القادة جميعاً.

١-الحاج مهدي خويدم الكناني. القائد العسكري لعمليات عصائب أهل الحق المنظوية تحت راية الحشد الشعبي، بالألوية التالية ٤١ و ٤٢ و ٤٣، استشهد الكناني صباح يوم ٢٠١٥/٣/٤م مع عدد من الشهداء القادة والمجاهدين بانفجار انتحاري بصهريج مفخخ، استهدف تقدمهم اثناء عمليات تحرير شمال سامراء.

٢- البو عجيل، قرية نائية تقع شرق محافظة صلاح الدين تم احتلالها عام ٢٠١٤م وتم تحريرها على يد ابطال الحشد الشعبي عام ٢٠١٥م.

وقف الحاج المهندس يشرح على الخارطة العسكرية مهام عمليات الغد، ويُبيّن دور كل لواء فيها، وقام بتحديد ساعة الصفر لانطلاق عمليات (لبيك يا حسين).

التقطت هذه الصورة اثناء شرح الحاج المهندس عن العمليات العسكرية.

ثمّ باشر بتقسيم الآليات العسكرية التي ستدخل العمليات القتالية، وأعطى كلّ لواء ما يحتاجه، حتى انتهى الى تقسيم الدبابات بين الألوية؛ ذلك لقلة عددها ولأهميتها في ساحة المعركة، فقال للحاج المجاهد أبا ذنون:

حجي أبو ذنون[١] عزيزي أدخل دبابة (T55)، مع محور الحاج مهدي الكناني غداً في العمليات.

وقبل أن ينتهي الحاج المهندس حديثه مع أبي ذنون، ردّ الحاج مهدي الكناني سريعاً، فقال: لا، حجي والعباس ما أقبل بـ (T55)، حجي أنت شايف دبابات أبو ذنون، آني وأفراد اللواء كلنا نجتمع وندعي ونتوسل بالله حتى تنرفع سبطانة الدبابة (فوهة الدبابة) وتصيب الهدف، ومن تطلق النار ترجع من جديد على وضعها السابق، ونرجع احنه ندعي من جديد، والله يا حجي ذاك الهجوم السابق خلصناها بس ندعي لدبابات ابو ذنون.

وفي هذا الموقف، لا أستطيع أن أصف لكم ما حصل داخل غرفة العمليات بعد تعليق الحاج مهدي الكناني؛ إذ دمعت عيون الحاج المهندس لشدّة الضحك، وأقسم على الكناني أن يكفّ عن تعليقاته حتى ينتهي الإجتماع. وبالتأكيد أنّ هذا الموقف لم يكن الأول للحاج الكناني، ففي عمليات تحرير آمرلي[٢] سنة ٢٠١٤م، كتب الحاج أبو

---

١ – يونس حسين النغيشي مدير مديرية الدروع.

٢– مدينة آمرلي هي إحدى مدن محافظة صلاح الدين تسكنها الأغلبية التركمانية حاصرها داعش عام ٢٠١٤م لأكثر من ٩٠ يوماً ولم يستطع دخولها لصمود أهلها حتى فك الحصار عنهم على يد أبطال الحشد الشعبي في نفس العام.

مهـدي المهنـدس ورقـة إلـى مسـؤول اللوجسـتي، وأعطاهـا للشـهيد القائـد أبـي منتظـر المحمـداوي يطلـب فيهـا بتجهيـز الحـاج المحمـداوي مـا يحتاجـه مـن السـلاح والـذخيرة لعمليـات آمرلـي، وقبـل أن يضـع الحـاج المهندس توقيعه على الورقة، جاء الكناني مُسرعاً وهو يبتسم، قائلاً:

- حجـي أبـو مهـدي، اكتبلـي مثلمـا كتبتـه للحـاج المحمـداوي، ولا أقبـل بأي شيء إلا بمثل ما كتبته له.

- فابتسم الحاج المهندس وهو يتساءل: **أنت تعلم ماذا كتبت له؟**

- فأجاب: لا، بس حتماً كتبت له شيئاً جيداً وأنا أريد مثل المحمداوي.

ثـمّ أبتسـم مـن كـان هنـاك جميعـاً، والـذين أغلـبهم الآن شـهداء فـي جنـات الفـردوس، وهـذه الحادثـة التـي حـدثت علـى أحـد الـتلال المرتفعـة بـالقرب من آمرلي.

كان في تلك الجلسة كل من الحاج الشهيد أبي مهدي المهندس والحاج الشهيد قاسم سليماني، والحاج الشهيد أبي منتظر المحمداوي والحاج الشهيد مهدي الكناني.

بتاريخ ٢٠١٥/٣/٤م، ونحن على أطراف محافظة صلاح الدين كنا في جولة ميدانية مع الحاج المهندس الذي كان يشرف على إدارة محاور العمليات العسكرية التي انطلقت منذ الفجر، وكنّا نتحرك من قضاء سامراء باتجاه مركز تكريت ضمن محافظة صلاح الدين، وهناك تنقطع وسائل الإتصال بعد قرية مكيشيفة، التي تبعُد خمسة عشر كيلو متراً عن قضاء سامراء، فيكون الاعتماد على جهاز النداء العسكري في التواصل مع القطعات العسكرية الأخرى، فحان موعد صلاة الظهر في محافظة صلاح الدين وتحديداً في مقر عمليات جهاز مكافحة الإرهاب في قضاء العوجة، وبعد أنتهاء الصلاة عُدنا إلى قضاء سامراء، وحينما وصلنا إلى قرية مكيشيفة عادت شبكات الإتصال للعمل، فوصلتني رسائل متعددة من والدتي تطمئن فيها عليّ، فاتصلت بها لتكون أكثر اطمئناناً حين سماع صوتي، وقبل أن أقول لها: ها يمه، بادرت بحديثها: ها عماد، قتلوا صاحبك مهدي مدري أبو مهدي.

ابتسمت وأنا أتكلم معها بصوت منخفض حيث كان أبو مهدي نائماً على الكرسي في مقدمة العجلة، وقلت لها: يمّه يا أبو مهدي انقتل أنا الآن مع الحاج بنفس العجلة، حتماً هاي أخبار كاذبه.

فردت علي: لا يمّه صاحبك أبو العصائب إلي أنت وياه مات.

فهي لا تُميّز بين الحاج المهندس والحاج مهدي الكناني كما لا تميّز بين أدوارهم، لكن حين قالت لي العصائب، أنهيت الإتصال معها بسرعة، واتصلت بالأخ أبي مصطفى وحين ردّ عليّ عرفت من نبرة صوته أن هناك أمراً ما قد حصل، فأخبرني؛ أن الحاج مهدي الكناني نال وسام الشهادة بانفجار صهريج مفخخ، كما واستشهد معه العديد من المجاهدين، منهم: الشهيد القائد(أبو صديقة الجمالي)، وهو صديقنا وكان لنا معه عمل خاص في سوريا، ثمّ أنهيت الإتصال وبقيت صامتاً طوال الطريق فأنا أعرف مدى حبّ الحاج أبي مهدي المهندس للشهيد مهدي الكناني، فكيف لي أن أخبره بأنّ الكناني نال وسام الشهادة؟، ولم يبقَ الأمر كثيراً حتى إذا وصلنا مقر العمليات في سامراء فهناك سيعلم برحيل حبيبه حتماً، وبعد أن وصلنا إلى مقر العمليات كانت كل الوجوه فيه تعبّر بصمت عن رحيل الكناني، ولم يطل

الصمت كثيراً حتى علم الحاج المهندس بالأمر، فتمالك نفسه ودخل غرفته وأغلق الباب من خلفه.

دخل الحاج المهندس غرفته منذ الظهر ولم يخرج منها إلا في اليوم الثاني مساءً، وحين خرج لنا كان يرتدي قميصاً اسود اللون وعلمنا بكثرة بكائه على رحيل الكناني من خلال احمرار وجهه وعينيه اللتين ما زال الدمع فيهما.

رحل الكناني شهيداً وأكمل الحاج المهندس قيادة المحور مع القادة الموجودين حتى تحررت المدن جميعاً وكتب عليها عاش مهدي الكناني، نعم، كسرت قلوبنا جميعاً برحيل الحاج الشهيد القائد مهدي الكناني، ولكن برحيل الشهيد الحاج أبي مهدي المهندس ماتت قلوبنا وأصبحنا أيتام المهندس.

إذا لم ترضَ بتقبيل يدك فسأقبل قدمك:

بينما نحن نسير بين الجنود، ونرى في أعينهم ووجوههم فرح النصر وألم فراق قائدهم الشهيد الحاج مهدي الكناني، الذي رحل شهيداً مقطع الأوصال قبل أن يكحل عينيه بتحرير البو عجيل، وأنا شاهد على ذلك الفرح الذي دخل قلب الحاج المهندس وهو يستمع إلى ذلك النداء الذي فيه جاءت بُشرى النصر على معقل الإرهاب، ترجّل الحاج المهندس ميدانياً بين الجنود ليقبلهم الواحد تلو الآخر، ويهنئهم بالنصر حتى وصل إلى قائدهم الحاج المجاهد أبو(ج)[1]، ووقف أمامه وقبل أن يتحدث معه بشيء أخذ الحاج المهندس يد القائد ليقبلها، جن جنون القائد وهو يرى بعينيه أن الحاج المهندس يريد أن يقبل يده، فرفض رفضاً قاطعاً، لكن المهندس أصرّ على أن يقبّل يده، وقال له: **هذه اليد يجب أن تقبّل، وبتقبيلها فخر وعزّة كما هي عزّتنا بقيادة هذا النصر العظيم**. وبينما القائد يرفض تقبيل يده، أنحنى المهندس ساجداً ليقبّل قدمه، قائلاً: **أذ لم تقبل بتقبيل يدك فأنّي سأُقبّل قدمك**. أخرجت الكامرة فوراً لألتقط هذه الصور التي تبين لكم نصف حقيقة القصة، أو لتكتمل القصة بها، وهي الصورة الاولى للقائد

١- أبو (ج) هو القائد الميداني للقوات الخاصة، وشفرنا اسمه كما يريد هو، وكذلك لم يسمح بإظهار صورته الشخصية.

أبـي(ج) وهـو يـرفض تقبيـل يـده، والأخـرى للحـاج المهنـدس وهـو ينحنـي ليقبّل قدمه.

موقـف لا أسـتطيع أن أنقلـه لكـم بـالنصّ، عشـت معـه حينمـا كنـت واقفـاً هنـاك، لكـن مـا أسـتطيع أن أنقلـه لكـم هـو أن عينـي الحـاج أبـي عقيـل الكـاظمي [1] كانتـا مغـرورقتين بالـدموع وهـو يشـاهد الحـاج المهنـدس بتلـك الشـيبة وبهـذا الاسـم الجهـادي العظـيم ينحنـي ليقبّـل قـدم أحـد المجاهـدين، أي خلـق كنـت تحمـل يـا مـن تركتنـا الآن نعـيش مـع مواقفـك التـي حـين أكتبهـا أخشـى مـن الـذين لا يعرفـوك أن لا يصـدقوا أنـك أنـت المهنـدس الذي أتحدث عنه الآن.

١- الحاج عبد الرحمن حميد الكاظمي مدير المكتب الخاص للحاج الشهيد أبي مهدي المهندس.

ساعة من ساعات الصفر:

لما كانت مهمّتي تسمح لي مرافقة الحاج المهندس إعلامياً، فأنّي أبقى قريباً منه، وأحضر معه كل الإجتماعات في غرفة العمليات، وحضوري في غرفة العمليات لا يعني تصوير كل ما يدور فيها فأنا أصوّر ما هو مسموح لي فقط.

بتاريخ ٢٠١٥/٣/١١م تحديداً في غرفة عمليات صلاح الدين، التقطت هذه الصورة للحاج المهندس قبل ساعات من شروعنا بعمليات تحرير محافظة صلاح الدين.

كانت الساعة بعد منتصف الليل وتقريباً بين الثانية والثالثة فجراً، فحين انتهى الإجتماع الأمني وقسّمت الواجبات وكلّ قائد قوة عسكرية

ذهب إلى مكان قواته العسكرية للاستعداد لبدأ ساعة الصفر، لكن أبو مهدي لم يغادر غرفة العمليات وبقي جالساً وحده في تلك الغرفة التي تقع في معسكر سبايكر[1]، بقي جالساً وحده وهو صامت لم يتكلّم، ولم يقدِم على شيء حتى أنّه لم يتصل ولم يستقبل أي أتصال، لم أرَه يقدِم على شيء سوى أنّه ينظر إلى شاشة جهاز التابلت ويحرك أنامله على كل الشاشة ويأخذها يميناً ويساراً، أخذ يقلّب كل الذي شرحه على خارطة المعركة في خارطة التابلت وصار يعيدها عدّة مرات، لم يخبرني الحاج المهندس بشيء لكن كلّ الذي أدركته وأنا أرى تمعّن هذا القائد بتلك الشاشة ومتابعة كل تفاصيلها، أنّه يبحث عن شيء لم يذكر في غرفة العمليات لعلّه يخفّف من دماء المعركة بعد ساعات.

وربما يتساءل القارئ الكريم: لماذا تقول أنت وتتكّهن ما لم يقله المهندس؟

والجواب على هذا التساؤل: هو أنّ الذي يعمل مع المهندس ولو لساعة واحدة فقط سيدرك في تلك الساعة أنّ أبا مهدي المهندس مستعد أن يعيد الخطّة ألف مرّة، ويدرس خطّة الهجوم عاماً كاملاً حتى وإن

١- قاعدة عاصفة الصحراء الجوية في محافظة صلاح الدين، التي أُبدل اسمها من قبل قوات الاحتلال عام ٢٠٠٣م إلى سبايكر؛ وهذا لاستذكار الملازم الطيار سكوت سبايكر الذي قتل في العراق عام ١٩٩٠م.

ألغيت العمليات، فالمهم لدى الحاج المهندس هو أن يقدم على تحرير الأرض بأقل الخسائر البشرية؛ لذلك كنت على يقين تام بأنّ بقاء الحاج أبي مهدي المهندس وحده في غرفة العمليات هو لأجل ذلك الأمر لا غيره.

مرّت الساعات حتى حانت صلاة الفجر وبعد إتمام الصلاة خرجنا إلى غرفة العمليات الميدانية، التي تقع فوق إحدى البنايات الحكومية التي تطل على مدينة تكريت بأكملها، ومع بزوغ الفجر كان الطقس بارداً جداً، حتى أكاد أنّي لا أستطيع الوقوف من شدّة البرد، لكن عندما نظرت إلى وجه الحاج المهندس وهو ينظر في المنظار العسكري مع شدّة البرد القارص كنت أشعر بالخجل فأنا أصغر سناً منه، بل نصف سنوات عمره ولا أستطيع الصمود أمام هذا البرد مع أنّه لا يزال واقفاً لساعات.

ذهبت لجلب شيء نفطر به صباحاً، فنحن لم نذق الطعام منذ اجتماع ليلة البارحة، فأتيت بقطعتين من الكيك الجاهز مع كوب شاي خفيف مثلما يحبّ، وكان كل أملي أنّ هذه الكيكة ستجعله يترك ذلك السطح البارد ولو لدقائق لنرتاح قليلاً، أخذ الكيكة من يدي مع كوب الشاي، وبقي يتناولها وهو ينظر بالمنظار ولم يزح نظره عنه حتى لدقيقة،

فالتقطت له هذه الصورة التي يظهر فيها الحاج المهندس وهو يمسك قطعة الكيك وينظر من خلال المنظار العسكري.

❖ ❖ ❖

البريد:

إنّ محاور العمليات العسكرية أصبحت تكبر شيء فشيء؛ حتى صرنا نبتعد عن بغداد يوماً بعد يوم، وتعددت مهام الحاج المهندس حتى أصبح يتنقّل بين بغداد وساحة العمليات ذهاباً وإياباً، فإنّ تحقيق النصر يحتاج إلى إدارة ناجحة؛ لذلك أصبح الأمر متعب جداً للحاج أبي مهدي المهندس وهو يتنقل بين العاصمة ومحاور العمليات، فإنّ حضور الحاج المهندس في جبهات القتال يقلّل من دماء المعركة، والبقاء في بغداد يديم زخمها ببناء مؤسسة رصينة تحفظ حقوق دماء الشهداء، وأحياناً يضطر المهندس للنزول إلى بغداد والعودة للعمليات في اليوم نفسه مع خطورة الطريق وتحمّل أعباء السفر، فالطرق كانت شبه عسكرية ومتعبة جداً، بتاريخ ٢٠١٥/٣/١٤م، تحديداً كنّا في مقر عمليات جهاز مكافحة الإرهاب في قضاء العوجة أحد أقضية محافظة صلاح الدين، اتّصل هاتفياً السيد حازم الحيدري، مدير مكتب هيئة الحشد الشعبي، بالأخ العزيز الشهيد السيد محمد رضا الجابري[1]، يطلب منه الحديث مع الحاج المهندس، تحدّث الجابري مع الحاج المهندس ليخبره أنّ السيد الحيدري على الهاتف، فأخذ المهندس

١- الشهيد السيد محمد رضا كاظم الجابري، السكرتير الخاص للشهيد المهندس ومدير مديرية العلاقات في هيئة الحشد الشعبي، استشهد عام ٢٠٢٠م في نفس العجلة التي تقل الحاج المهندس والحاج قاسم سليماني الذي استهدفتها قوات الاحتلال الأمريكي في عملية مطار بغداد.

الهاتف وتحدّث معه، إلاّ أنّني لم أسمع حينها ماذا قال الحيدري للحاج المهندس، لكن ما سمعته من حديث الحاج المهندس فهمت أن الحيدري يريد عودة الحاج المهندس إلى بغداد ليتمكّن من توقيع البريد، فقال الحاج المهندس:

سيّدنا حبيبي أنا في معركة وإدارة عمليات، وهذه دماء شباب لا يمكن لي أن أتركها وأعود إلى بغداد من أجل بريد، حتى وإن كان يتعلّق بمستحقات المجاهدين؛ لأنّ دمائهم أكثر أهمّية لديّ من كل شيء، ونحن الآن على أبواب عمليات محافظة صلاح الدين وكل ساعة هنا تعدّ بسنة؛ لذلك يا عزيزي تعال أنت والبريد حيث أكون وهنا أكمل لك ما تريد وتعود إلى بغداد سالماً غانماً، حتى وإن تطلّب حضورك يومياً تعال من أجل خدمة الشهداء والمجاهدين.

وفي اليوم الثاني جاء السيد الحيدري حاملاً معه بريد الهيئة إلى مقر عمليات التحرير، التي كانت تحت إدارة الحاج المهندس، وبقي السيد الحيدري ينتظر مع البريد حتى أكمل الحاج المهندس جلسته التي يعقدها مع القادة العسكريين، ولمّا رأى المهندس الحيدري فرح كثيراً وقبّله، ثمّ قال له:

أنا أعلم أنَّ الطريق متعب بالنسبة لعمرك، لكن إن شاء الله هذا التعب سيُسجّل لك.

ثمّ ذهب الحاج المهندس مع الحيدري إلى حديقة مقر العمليات، وهناك تحت أشعة الشمس صار يتابع كلّ وارد وصادر لتنال تلك الكتب الرسمية شرف هامشه الكريم، وأثناء متابعة الحاج المهندس للبريد التقطت لهما هذه الصورة.

❖ ❖ ❖

أنا أخاف من إراقة الدماء:

أستيقظنا عند الساعة السابعة صباحاً يوم ٢٠١٥/٣/١٥م، تحديداً في مقر عمليات سامراء، وبينما نحن في عجلة من أمرنا؛ لأنّه معروف عن الحاج المهندس أن لم يرَ أحداً أمامه لا ينتظره ولو لدقيقة واحدة، فكنا نشكّل أنا وكامرتي والمرافقين بسلاحهم عائقاً إمام الحاج المهندس، فإن كان يسير بين محاور العمليات بتلك المسبحة فقط، وهي الأحبّ إلى قلبه، وكنّا لا نعلم أين نسير، لكن نعلم أنّ الطرق أمامنا محدودة فلا يوجد أمام الحاج المهندس سوى طريق واحد إمّا العودة إلى بغداد أو الذهاب إلى محور العمليات، وفعلاً توجّهنا إلى مقر عمليات جهاز مكافحة الإرهاب في قضاء العوجة أحد أقضية محافظة صلاح الدين، وكان في استقبالنا قائدها الهمام الفريق الركن عبد الغني الأسدي[1] ومعه العديد من ضبّاط الجهاز، فدخلنا أنا والسيد الشهيد محمد رضا الجابري فقط مع الحاج المهندس إلى غرفة العمليات التي وجدنا فيها الشهيد القائد السيد جاسم شبر[2] جالساً يتابع سير العمليات، ومرّت أكثر من ست ساعات ونحن مازلنا في تلك

١- الفريق الركن عبد الغني عجيل طاهر الأسدي، قائد عمليات جهاز مكافحة الإرهاب، الذي يشغل حالياً منصب رئيس جهاز الأمن الوطني.

٢ - الشهيد القائد السيد جاسم محمد شبر مدير مديرية هندسة الميدان، استشهد بتاريخ ٢٠١٦/١١/١٨م في محافظة الموصل اثناء تحرير قضاء تلعفر.

الغرفة التي نطلع من خلالها على كلّ ما يخصّ العمليات القائمة، فحضور الحاج المهندس إلى هذا المكان كان لأجل مهام إدارة العمليات المشتركة حتى لا يكون هناك أي خطأ، وبينما القائد منشغل بالاستماع إلى نداء العمليات، دخل علينا أحد الجنود وأدّى التحية مخاطباً الأسدي:

- سيّدي فهمنا من خلال التصنت على العدو أنّه عازم على إرسال عرّيس[1] لنا.

فابتسم الحاج أبو مهدي وردّ عليه قائلاً:

بويه عزيزي ماكالو العرّيس وين ناوي يعرّس اليوم؟

فأجاب المخابر وهو يبتسم في وجه الحاج المهندس:

لا والله حجي غير معلوم، فهم إلى الآن لم يحددوا مكان عرسهم كما يقولون، ومن جهاز النداء عرفنا أنّه ليس لديهم عرسان كالسابق، فهم منذ الصباح وإلى الآن لم يحصلوا على شخص حتى يقود تلك العجلة المفخخة، لذلك فإنّ هذا الشخص ربّما يوصلها إلى مكان معيّن لأنّه هكذا أتفق معهم عبر جهاز النداء.

١- العرّيس: مصطلح مشفر يستخدمه عناصر داعش، ويشيرون من خلاله الى وجود انتحاري قادم نحو قطعاتنا.

وبينما نحن منشغلون بمتابعة أمر هذا العريس، دخل علينا الشهيد السيد محمد رضا الجابري مجدداً ليخبر الحاج المهندس أنّ هناك شاب في الباب يقول: أنّه منذ زمن يبحث عن الحاج المهندس ولم أره، ولديّ معه أمر مهم جداً.

فأجاب أبو مهدي: **أخبره أنّ أبي مهدي يقول: انتظرني- إن شاء الله- عندما أكمل عملي سأكون في خدمته.** وقبل أن يغلق محمد رضا باب القاعة ناداه الحاج المهندس قائلاً: **محمد بوية أسأله أخاف ما متغدي حتى يتغدى هنا.**

أخبر الحاج المهندس عبر جهاز النداء كلّ القوات في المحاور لأخذ الحيطة والحذر خوفاً عليهم من استهدافهم بواسطة العرّيس، ولم يمض من الوقت كثيراً على ذلك النداء حتى شعرنا وكأنّ هناك زلزال قوي جداً مع صوت مرعب حتى كاد السقف الثانوي للقاعة أن يسقط علينا، وهنا دخل المخابر سريعاً ينادي الأسدي، قائلاً: سيّدي الانفجار أستهدف جسر تكريت الذي يطل على مدينة العلم.

فأجاب الحاج المهندس: **والله كنت على يقين أنهم سيستهدفون الجسر؛ لأنّ داعش ليس بهذا الغباء ليترك جسراً كهذا الذي يمثّل خطراً كبيراً عليهم ويعتبر تفوقاً استراتيجياً لنا.**

ثم سأل الحاج المهندس المخابر: **هل هو ذاته العرّيس الذي جاء في النداء أو أنّ لديهم عرّيس آخر؟**

فأجاب المخابر: نعم حجي، هو ذاته العرّيس الذي توجّه لهم قبل قليل، لكن عبر النداء كان الاتفاق معهم على إيصال الصهريج المفخخ إلى نفس الجسر وتركه ومن ثمّ يكون الإنسحاب، لكنّهم لم يفوا له بالوعد فقبل أن يغادر الصهريج فجروه فيه.

فأجاب الحاج أبو مهدي المهندس: **وهل تريدهم أن يفوا بوعدهم له؟ يا عزيزي هؤلاء قتلة مرتزقة من كل البلدان لا تجمعهم مواقف ولا صداقة ولا حتى عقيدة كي يموت أحدهم دون الأخر أو يفي له بوعد، وخير دليل على حديثي هو تفجيرهم لصديقهم دون علمه.**

ثمّ خرجنا من غرفة العمليات، وسأل الحاج المهندس عن ذلك الشاب الذي يريد لقائه، وفي حديقة البيت الذي يتخذه جهاز مكافحة الإرهاب مقراً له جلس الحاج المهندس يستمع إلى ما يريده هذا الشاب.

وكان شاباً له من العمر ثلاثون عاماً، أسمر البشرة، عرّف عن نفسه بـ(فلان الفلاني) قائد القوة كذا، فابتسم الحاج المهندس عندما قال الشاب: أنا قائد القوة كذا، ردَّ عليه:

عزيزي بوية قائد قوة بلا أي مقدمات، يعني ميصير أمر سرية، فوج، لواء، مباشرة قائد قوة!

فأجاب الشاب: لا حجي أنا قائد.

قال المهندس: **طيب يا قائدنا أأمرنا، وأحنه بالخدمة، شتريد انقدملك؟**

ثم بدأ الشاب يتحدث عن نفسه وقال للحاج المهندس:

أنا الذي حرر جرف النصر(الصخر)، وأنا أول من دخل آمرلي، والآن أمسك قاطعاً كبيراً في محيط مدينة آمرلي.

فرد عليه الحاج المهندس: **أنت شخصاً؟**

فقال الشاب: نعم، أنا بذاتي.

فأجاب المهندس: **جزاك الله خيراً، بماذا تحب أن أناديك الآن، يا ولدي أو يا قائدي؟**

صمت الشاب ولم يجب، فسأله الحاج المهندس:

ماذا أكملت من دراستك؟

قال الشاب: أكملت القانون ودخلت الحوزة والآن أنا طالب فيها.

قال المهندس: **درست في الحوزة؟**

أجاب الشاب: نعم درست، وأنا الآن في المرحلة كذا.

قال المهندس: **سمعت من السيد محمد رضا أنك تبحث عنّي منذ أيام، تفضّل بالخدمة، ماذا تحب أن أقدم لك؟ فأنا مشغول في إدارة العمليات وخرجت لأرى ماذا تريد؟**

قال الشاب: نعم حجي، أنا لدي خمسة عشر شهيد، وعشرة مفقودين.

قال المهندس: **أين استشهدوا؟**

أجاب الشاب: في قاطع عمليات الزركة.

قال المهندس: **لا توجد هناك أي قوة لنا، ولم يعد ذلك قاطعنا منذ تحرير آمرلي، من أعطاك الأمر بأن تشكل قوّة وتأخذها وتذهب إلى هذا المكان؟**

أجاب الشاب: أنا أعطيت الأمر لنفسي وأخذت الشباب الذين يريدون الالتحاق للجهاد وهناك شكلت قوّة، أنا رجل دين وأعرف تكليفي.

وحينما سمع الحاج المهندس عدد الشهداء والمفقودين، لم يعد هو ذاك الشخص المبتسم دائماً، الذي يعرف الجميع هدوءه، فكنت أنظر إلى وجهه وقد أحمرّ غضباً وهو يستمع لحديث الشاب.

فردّ عليه قائلاً: **أيّ قانون هذا الذي درسته أنت؟ وأنت تخرق القانون وترتكب الجرائم بحق هؤلاء الشباب! أنت لو كنت رجل قانون، لحكمت بالإعدام على نفسك بنفسك فقط لهذه الجريمة، وأيّ حوزة**

تلك التي تتحدّث عنها، وتقول درستها وأنت ترتكب المحرمات؟ فلو كنت فعلاً طالب حوزة ومتشرّع لعرفت حرمة الدم، أنت وأمثالك العشرات تتسببون بعشرات الشهداء، طمعاً بالمناصب وأخذ دور القيادة، وتتصورون أنّ القيادة لفظ أو صفة يحملها الشخص ليعرّف فيها عن نفسه أمام الناس، عندما تكون قائداً وتحمل هذه الصفة، فهذا يعني أنّك تتحمّل كلّ الأخطاء التي تحدث وأهمّها الدماء.

أنا الذي أجلس الآن أمامك أقسم بالله العظيم، مخول من أربعة علماء كبار بقيادة العمليات وإدارتها، وعندما يسقط شهيد أبقى أرتجف خوفاً من يوم الحساب. وأنت بلا أيّ تخويل عسكري أو شرعي ذهبت وتسببت بشهادة (٢٥) شاب بعمر الورد، أنتم لا تَعُون حرمة الدماء؛ لأنّكم لم تتفقهوا بدينكم، وأنا أقولها لك ستأخذ عقابك من القانون في الدنيا، واستعد لعقاب يوم الأخرة، فهناك القانون صارم وستحاسب على كل قطرة دم أريقت بسببك.

بقي الشاب الذي لقب نفسه قائداً يرتجف حينما سمع حديث الحاج المهندس، وسأله المهندس عن حقوقهم.

أجاب الشاب: لم يستلموا شيئاً إلى الآن، فنحن قوّة لم ننشر على أيّة قوّة عسكريّة.

قال المهندس: **يعني أنت تسببت بقتلهم، وكذلك بضياع حقوقهم، أعطني ملفهم وأنا سأتابع أمرهم كشهداء حتى أصدر لهم حقوق فهم لا ذنب لهم، بما فعلت أنت؟** ثمّ نادى محمد رضا، الذي أجاب: نعم حجي.

- قال المهندس: **أعطي أمر بإفراغ قاطعهم على الفور من أيّ جندي، ومن يريد البقاء في السلك الجهادي ألحقه بأحد ألوية الحشد الشعبي.**

بقي الحاج المهندس جالساً وحده في الحديقة وبين دقيقة وأخرى ينظر إلى وجوه الشهداء، وأثناء جلوسه صامتاً التقطت له هذه الصورة:

وصورة أخرى التقطتها للشاب مدّعي القيادة مع الحاج المهندس، وقد أخفيت ملامح وجهه، وكذلك لم أكتفِ بتصويره فوتوغرافياً فقط، بل سجّلت كلّ الذي دار بينه وبين الحاج أبي مهدي المهندس بالصوت والصورة.

❖ ❖ ❖

وقفت أمام المهندس:

بتاريخ ٢٠١٥/٦/٣م، تحديداً في قضاء بيجي شرعت قوات اللواء الأربعين بالتقدّم على أحد الطرق الرئيسة في القضاء، ومن خلال سماع النداءات عرفنا أنّ المعركة شرسة جداً؛ إذ يعدّ هذا الطريق من الطرق العسكرية للعدو، وخسارة الطريق تعني خسارة نصف المعركة، مضى من الوقت ما يقارب الساعة على التقدم ومازال الحاج المهندس يتابع سير العمليات من غرفة العمليات في منطقة المزرعة مع الحاج شبل الزيدي[1].

١- الحاج شبل محسن الزيدي الأمين العام لكتائب الامام علي عليه السلام.

طلب الحاج المهندس منه أن يرافقه ميدانياً إلى محور العمليات من دون أيّ مُرافق آخر، حتى السائق لا حاجة له، وحينما سمعت كلام الحاج المهندس يقول للزيدي: "حتى السائق الشخصي"، رجعت إلى الخلف فقلت حتماً لا يسمح لي حتى وإن كنت إعلامياً، لكن سرعان ما تبيّن أنّ افتراضي كان خاطئاً، فحين خرج الحاج المهندس نادى عليّ لأكون معهم، ثمّ توجّهنا مثلما طلب الحاج المهندس من دون أيّ مرافق ولا حتى سائق شخصي، وكنا نستقل عجلة نوع تويوتا بيك آب يقودها الحاج شبل الزيدي، ويجلس في مقدمة العجلة الحاج المهندس، وأنا أجلس في المقعد الخلفي أصوّر مسيرنا في الطريق، فضلاً عن تسجيل ما دار من حديث بينهما، وصلنا إلى أطراف ذلك الطريق المراد تحريره فترجّلنا من العجلة وسرنا بين الجنود الذين تفاجئوا بوجود القادة بينهم، وكما هو معتاد من الحاج المهندس قبّل الجنود الواحد تلو الآخر، حتى وصلنا إلى تلك المدرسة التي تعتبر الخط الفاصل بيننا وبين العدو.

إنّ صوت أزيز الرصاص الكثيف منعنا من سماع صرخات الحاج المجاهد أبي أفنان الذهيبات[1]، طالباً منهما مغادرة المكان فوراً وعلى

١- الحاج عباس زنجار الذهيبات، القائد العسكري والميداني للواء الأربعين في الحشد الشعبي.

عجلٍ، لكن الحاج المهندس والزيدي بقيا يسيران بين الجنود وكأنّهما لم يسمعا صوت الذهيبات، حتى وصل الحاج أبو أفنان إلى الحاج المهندس وقبّله في جبينه.

شعرت بأنّ صوت الرصاص صار قريباً منّا وكثيفاً، حتى أن صوته لا يجعلنا نسمع حديثنا، وهنا شعرت بالخوف على أبي مهدي المهندس، لكن لا حيلة لنا، فهو لم يسمع كلام قائد العمليات أبو أفنان الذي طلب منه مغادرة المكان، فكيف سيستمع لي؟

وبينما أنا أحدّث نفسي؛ فقلت: لأتخذ من التصوير ذريعة فأكون أمام المهندس حين يسير خشية من أن يصيبه طلق ناري، سواء أكان

يستهدفه بشكل خاص أم بسبب كثرة رمي الرصاص المتبادل بيننا وبين العدو، فحجم جسمي أكبر من حجم جسمه، وأستطيع أن أغطّي كامل جسمه بجسمي، ونفذت ما أريد فصرت بين دقيقة وأخرى أرفع الكامرة في وجه الحاج المهندس للمراوغة.

أدركت أنّه حينما ترى تلك البساطة وذلك التواضع اللذين يعيشهما المهندس تظن أنّه لم ينتبه لشيء وأنّ بإمكانك أن تمرر عليه ما تريد، إلاّ أنّ حقيقة الواقع تختلف تماماً، فإنّ الحاج أبا مهدي المهندس يرى نفسه أقل من أصغر جندي في الحشد الشعبي تواضعاً منه، لكن هو كما هو بذلك العقل والحسّ الأمني الذي يعشهما، وعندما تراه يتجاهل شيئاً فهذا يعني أنّه هو أراد أن يتجاهله؛ لأنّ فيه منفعة ما، فحينما كنت أسير أمامه، علم أن مسيري لم يكن للتصوير أبداً؛ لذلك من الدقيقة الأولى التي سرت فيها أمامه طلب مني أن أتنحى جانباً أو أكون خلفه، فأطعت الأمر لثواني، وعدت بعدها أسير أمامه بذريعة التصوير مستغلاً انشغاله بالحديث مع القادة، لكنّه عاد وكرر الطلب مرّة أخرى فقال:

لا تسر أمامي ولا حتى تتوقف، كن إلى جانبي أو قم بالسير خلفي.

عندها عدت إلى الخلف ولم أكرّر المحاولة مرّة ثالثة، لأنّني كنت على يقين لو أنّني كررتها سيطلب مني مغادرة محور العمليات فوراً.

قصف المهندس قاعة الاجتماعات:

بتاريخ ٢٠١٥/٦/٥م، تحديداً كُنّا في قضاء سامراء، أخبر الحاج المهندس الحاج أبا عقيل الكاظمي بأنّ لديه إجتماع في مقر عمليات سامراء، وأخبره أيضاً أنّه يرفض أي مرافق سوى الشيخ والشهيد السيد محمد رضا الجابري وأنا بصفتي إعلامي، وبعد انتهاء صلاة الظهر التي أقمناها بإمامة الحاج المهندس توجّهنا إلى مقر عمليات سامراء، وكان الحاج المهندس يقود العجلة بنفسه (خلافاً لما تعارف عليه القادة)، وكانت حينها بيك آب نوع تويوتا، وحين وصلنا إلى البوابة الرئيسية لمقر عمليات سامراء، رفض حرس الباب فتحها، وطلب من الحاج المهندس أن يترجّل من السيارة ويذهب مشياً على الأقدام، وأن يترك العجلة خارج مقر العمليات.

أراد الحاج الكاظمي الحديث مع الجندي حرس الباب لكن الحاج المهندس رفض أيّ حديث معه، وطلب منّا أن نترجّل من العجلة وإيقافها على جانب خارج مقر العمليات، ثمّ ذهبنا من الباب الأول للمقر حتى الباب الثاني، وكانت المسافة ليست قليلة، وكان حينها الطقس حاراً جداً، ونحن في منتصف الظهيرة، بينما كنت أنظر إلى الحاج المهندس ونحن نسير وقد تعرّق عرقاً كثيرا لشدّة ارتفاع الحرارة، وحين وصلنا إلى البوابة الثانية وجدنا ضابطاً برتبة ملازم

حديث التخرج، فطلب منّا أنا والحاج الكاظمي والشهيد الجابري أن نبقى خارجاً ويمرّ الحاج المهندس وحده، فانزعج الحاج المهندس من طريقة تعامل الجنود معنا، وانزعج أيضاً من إدارة وتنسيق العمليات التي لم تكلّف نفسها بإيقاف معرّف لنا في البوابة الرئيسة ليعرّف الحاج المهندس ثمّ يصطحب إلى الاجتماع الأمني الذي يضم عدداً من القادة العسكريين والوزراء الأمنيين، وعدداً من أعضاء مجلس النواب والكثير من الشخصيات السياسية.

وحينما دخلنا من البوابة الأولى نادى العسكري بأنّه سمح بدخول الحاج المهندس، وكان النداء على مسمع من قائده الذي خرج ومَن معه خلف البوابة الثانية بانتظار مجيء الحاج المهندس؛ لذلك حين توقفنا وأصبحنا نتحدث مع الأخوة الحرس في البوابة الثانية التي فيها رفضوا دخولنا مع الحاج المهندس، فطلب الحاج أن نعود من حيث أتينا، ونترك الإجتماع، وهنا علم قائد العمليات آنذاك اللواء الركن عماد الزهيري بأنّ الحاج المهندس باشر بالعودة، فجاء مهرولاً خلفنا ليوقف الحاج المهندس، ووقف جميع من كان ينتظر مجيء الحاج المهندس يرجون عودته والرجوع عن قراره بالمغادرة.

حينها التقطت لهم هذه الصورة.

عدنا جميعاً مع الحاج المهندس ودخلنا قاعة الإجتماعات، وبينما كان الحاج المهندس مشغولاً بالسلام وردّ التحية، حمل قائد العمليات جهاز النداء بيده منادياً الانضباط بالتوجه إلى البوابات فوراً ومعاقبة كل من فيها بالسجن مدّة خمسة عشر يوماً؛ ذلك لتقصيرهم، إذ تمّت مناداتهم بقدوم الحاج المهندس ولم يأخذوا بتنفيذ الأمر، ولمّا سمع الحاج المهندس النداء توقف فوراً، وأقسم قائلاً:

والله العظيم، سأخرج الآن من الإجتماع إن مرّر هذا النداء.

فأجاب القائد: حجي هذا تقصير عسكري، وهم مقصرون بأداء واجبهم اتجاهك مع علمهم بقدومك إلينا.

فرد الحاج المهندس: **حتى وإن كانوا على علم بذلك، فأنا لا أريد أن أكون سبباً لمعاقبة جندي واقف تحت أشعة الشمس بسبب عدم تسهيل عملية دخولي، فالذنب ليسه ذنبه، لأنّكم ناديتموهم قائلين له:**

"سيتوجه اليكم الحاج أبو مهدي المهندس قائد الحشد الشعبي"، فظنّ المسكين أن يراني برتل من الجكسارات والهمرات وعشرات المرافقين، لذلك حين رآني أنا شخصياً أقود عجلة بيك آب، فكان من حقّه أن لا يصدق بأنّي أنا هو القائد المطلوب؛ لذلك عليك الآن المناداة وإلغاء الأمر فوراً وإلاّ سأخرج الآن.

التقطت هذه الصورة للحاج المهندس وهو يطلب من الزهيري الغاء العقوبة.

استجاب القائد له ورفع جهاز المناداة ونادى بإلغاء العقوبة؛ إكراماً للحاج المهندس.

ابتسم الحاج المهندس وهو يستمع للنداء، وعبست وجوه الحاضرين حين سمعوا حديث الحاج المهندس وهو يتحدّث عن أرتالهم المدججة بالجكسارات والمرافقين، فكلّ واحد منهم ظنّ أنّ الحاج يقصده بالكلام، وأنا حين خرجت من قاعة الاجتماع كتبت هذا الموقف حينها بعنوان (قصف الحاج المهندس قاعة الاجتماعات).

وأقسم بالله لولا أصرار البعض على مرافقة الحاج المهندس ولو بعجلة واحدة، لرأيتموه يتنقّل بينكم بالنقل العام، وهو ما أقدم عليه عدّة مرات، لكنّه كان يوافق أحياناً خجلاً على مرافقة البعض له، والذين لا يتعدى عددهم ثلاثة أشخاص فقط مع السائق بعجلة واحدة، وفي بعض الأحيان كانت ترافقنا عجلة أمنيّة أخرى، وتكون بعيدة عن عجلتنا ومن دون علم الحاج المهندس، وكان حينما يعلم بها يرفض وجودها خلف عجلته ويعيدها من حيث جاءت، ففي يومٍ من الأيام وكما هو المعتاد رفض الحاج المهندس مرافقتهم له بعجلة أخرى، وقال: سأخرج بهذه العجلة فقط، فطلب منّي الأخوة المرافقون أن ابقى معهم بالعجلة الثانية كي تكون ذريعة لهم لمرافقته، فقبلت ذلك حياءً

منهم، ثمّ خرجنا من قضاء سامراء متوجّهين نحو معسكر سبايكر، وفي منتصف الطريق أكتشف الحاج المهندس أنّ هناك عجلة أخرى ترافقه، فطلب إيقاف عجلته التي يستقلّها وترجّل على الفور قادماً نحونا، وحين وصل إلينا قال: **لماذا رافقتموني وقد قلت لكم إنّي لا أريد مرافقة أحد؟!** فقالوا له: يا حاج جئنا بأبي لواء معنا، فهو لم يبقَ له مكان معكم.

فطلب مني الحاج أن أترجّل من السيارة وأرافقه في العجلة التي كانت ممتلئة، فجلسنا أنا والحاج المهندس في المقعد الأمامي بشكل مشترك، بينما هم عادوا من حيث جاءوا.

لبيك يا داعي الحق:

أعرف جيداً مدى حبّ هذا القائد العظيم "الحاج المهندس" للمرجع الكبير السيّد علي السيستاني دام ظله، نعم، لم يتحدّث إليّ بحديث شخصي عنه، أو عن حبّه له، ولكن بحكم عملي مصوّراً شخصياً له علمت جيداً بذلك الحب وتلك الطاعة.

ففي أثناء العمليات العسكرية وحينما تقترب ساعة الصفر، فإنّ هناك كلمة يلقيها الحاج أبو مهدي للمجاهدين، كنت أستمع إليها وأرى بين السطور أثر المرجعيّة ووصاياها للمقاتلين، وكيف يجب أن نلتزم بتلك الوصايا. وحينما نكون في مهرجان أو ندوة، وتكون للحاج المهندس كلمة فيها، فلا تبدأ تلك الكلمة ولا تنتهي من دون ذكر المرجع السيد علي السيستاني دام ظله، وأثر الفتوى في الحفاظ على العراق وشعبه.

حتى عندما كنا نلتقي بالعوائل النازحة في ساحات العمليات، أو الذين يزورهم الحاج المهندس إلى قُراهم المحرَّرة، كان يتحدّث معهم عن المرجعيّة، وكيف توصينا أن نحافظ عليهم، وكيف تقول لنا موتوا دفاعاً عنهم، إنّه لم يتحدّث يوماً مع النازحين بلسان القائد العسكري، بل كان ناطقاً لوصايا المرجعيّة العليا حول العمليات والناس المحررة مناطقهم وعوائلهم وحتى أموالهم وأراضيهم.

فحينما يتحدّث مع الناس أو مع المجاهدين بوصايا المرجعيّة وتوجيهاتها كنت أرى الفرح والأمل في عيون المستمعين لحديث الحاج المهندس، وفي هذا الكتاب أذكر أكثر من موقف للحاج المهندس وهو يتحدّث عن لسان المرجعيّة والسيد السيستاني؛ لذلك عندما أستشهد الحاج المهندس وظهرت تلك الرسالة التي أرسلها إلى سماحة المرجع السيد علي السيستاني دام ظله بعد يوم واحد من إعلان الفتوى المباركة، لم أستغرب من نصّها ولم يكن غريباً علي إطلاقاً؛ لأنني كنت معه وكان يتحدّث بما هو أكثر من نصّ هذه الرسالة، لذلك حينما رأيتها منشورة اتصلت بالأخ العزيز الحاج مهنّد العقابي وتساءلت عن سبب عدم إخراج هذه الرسالة إلاّ بعد شهادة الحاج المهندس؟!

حينها أخبرني: كنت مع الحاج المهندس حين كتب هذه الرسالة، وكنا حينها في بغداد منطقة الجادرية، وكتب الحاج هذه الرسالة نصاً وأرسلها إلى مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف، ولم تكن لدينا نسخة أخرى منها، فهي لم تكن إلاّ نسخة واحدة وأرسلها الحاج المهندس لسماحة السيّد، وبعد شهادته بيوم واحد أخرجت نسخة مصوّرة من تلك الرسالة عن طريق مكتب سماحة السيد علي السيستاني دام ظله، ونشرتها، وحينما اطلعت على نصها، وقرأت في مطلعها عبارة (لبيك يا داعي الله)، تذكرت هذا الموقف الذي كنت شاهداً عليه مع كامرتي.

بتاريخ ٢٠١٥/٦/٦م، تحديداً في مقر عمليات سامراء جاء الأخ السيد الشهيد محمد رضا الجابري إلى الحاج المهندس وأخبره أنَّ هناك شخصاً يرتدي العمّة يريد اللقاء به، وكان جواب الحاج المهندس:

أي بويه أهلاً وسهلاً خل يتفضل.

فدخل رجل الدين المعمم بعمامة بيضاء اللون، طويل القامة، وذا جسم ضخم ومعه ثلاثة أشخاص مرافقين له ومدججين بالسلاح، رحّب الحاج المهندس بالضيف كثيراً وبقي الضيف يعرّف نفسه للحاج المهندس، وحينها كنّا أنا والأخ الشهيد الجابري والحاج قاسم مصلح آمر لواء علي الأكبر حينها فقط مع الحاج المهندس في غرفة الإجتماعات، فقال الضيف: أنا الشيخ (فلان الفلاني)، اتصلت بك كثيراً ولم ترد على هاتفي، وكتبت لك رسالة عن طريق الحاج(فلان) وكذلك لم تجب عليّ.

كان الشيخ يتحدّث مع الحاج المهندس بنبرة زعل وعتب، أمّا الحاج المهندس فبقي صامتاً طوال تلك اللحظات حتى أنهى الشيخ عتابه الهجومي، وطيلة حديث الشيخ المعمم مع نبرة شديدة، وطريقة يستفز بها الآخر، لم يظهر على وجه الحاج المهندس شيئاً من الانزعاج، بل كان مبتسماً ويمسك المسبحة فقط، حتى أنهى الشيخ الضيف حديثه، فعاد الحاج أبو مهدي، ورحّب به مجدّداً وكرّر له الاعتذار عن لا شيء، قائلاً له: **شيخنا عزيزي أنا أعتذر جداً**

من جنابك الكريم، واستميحك عذراً وأنت رجل دين حتماً تحمل الناس على المحمل الحسن؛ لذلك شيخنا العزيز أولاً أنا لا أمتلك موبايل شخصي ولا يوجد لدي رقم هاتف والأرقام المتواجدة هي مع السيد محمد رضا الجابري، وهو معي دائماً ونحن في ساحة حرب وهنا كما تعلم أنّ العدو قام بتخريب جميع شبكات الإتصال لذلك لا يوجد أي اتّصال لدينا، كما لم تصلني أي رسالة من أي شخص تحمل اسمك أو فيها طلب من جنابك، مع ذلك أكرر اعتذاري لك وأنا خادم لعمامة رسول الله ﷺ وتفضّل الآن استمع لك وإن شاء الله أتمكّن من تلبية طلبك.

(أقسم بالله إنّ الحاج المهندس فهم وعرف ماذا يريد الشيخ من نبرة حديثه وطريقة الكلام التي تكلّم بها، لكنّه بقي صامتاً حتى يدرك ما يتصوره).

ثمّ عاد الشيخ ليتحدّث عن نفسه ويعرّف عن شخصه، وعمّن يعرف من السياسيين وغيرهم، حتى أنهى حديثه قائلاً:

أنا لدي قوة، وأريد أن أكون بالحرب معكم، وأنا قائد هذه القوة، وأريد أمر نشرها واضافتها في الحشد الشعبي.

فأجاب المهندس: **عزيزي شيخنا أنت رجل دين معمم وهذه حرب ودماء وتحتاج إلى قيادة عسكرية وخبرة في الحرب.**

قال الشيخ: أنا قائد وعندي قوة وكلشي قادر أسوي.

قال المهندس: **شيخي عزيزي أنت رجل دين عملك تأليف كتاب، تعليم الناس أحكام الصلاة والصيام والجهاد، تعال إلى الجبهة بزي العمامة علم الناس، المجاهدين يحتاجون لشخص معمم مثل جنابك الكريم يعلمهم بعض الأمور الدينية.**

قال الشيخ: لا حجي أني هنا قائد وهاي الناس اجت على مودي للحرب.

قال المهندس: **عزيزي شيخنا حبيبي أنت، هاي الناس لا اجت من أجلك أنت ولا من أجلي أنا، هاي الناس اجت من أجل السيد السيستاني دام ظله والفتوى اللي أصدرها هذا الرجل العظيم الذي لم يقل أنا قائد، ولم يطلب القيادة.**

قال الشيخ: يعني شنو حجي تريدني أرجع؟

قال المهندس: **لا ترجع، أنت عندك شباب مجاهدين خل يلتحقون مع أي لواء في الحشد الشعبي وخلي آمر اللواء يكتب لي طلب وأنا أنشرهم على ألوية الحشد الشعبي الموجودة في القواطع.**

قال الشيخ: لا أنا أريد أن أكون قائد قوة وحدي وأنا سأبقى هنا سواء وافقت أو ما وافقت.

قال المهندس: **شيخنا إذا أنت رجل دين ومتفقه المفترض أن تعرف أنّه ما يجوز لك تعرّض حياة الناس إلي وياك للخطر، كذلك ما يجوز لك العمل خلاف أمر المرجعيّة والقيادة، وأنا لو بمكانك أگعد بالنجف واكتبلي كتاب، اكتب شيء ديني هواي أفضل من الحرب والجبهة.**

قال الشيخ: أنا قائد ومكاني أكون هنا أول الناس وليس آخر الناس.

قال المهندس: **أنت رجل دين ولست قائداً، كما أنّه من المفترض أن تعرف بأن "مداد العلماء خير من دماء الشهداء"**[1].

أنهى الحاج المهندس الحديث بشق الأنفس مع هذا المعمّم الذي يريد أن يكون قائداً بين ليلة وضحاها، وطلب الحاج المهندس منه الأذن لأنّ عليه أن يخرج إلى قاطع العمليات، فتركه وخرج، وحينما خرجنا معاً كان الحاج مبتسماً، فقال:

١- رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَ وُضِعَتِ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ الْعُلَمَاءِ فَيَرْجَحُ مِدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ". من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٩٨، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، طبعة انتشارات اسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثالثة، سنة: ١٤١٣ هجرية، قم / إيران.

مشتبه جداً هذا الشيخ، ويريد أن يتصدّى للقيادة وكأنّه لا يعلم بخطورة الدماء في المعركة وقيادتها، والله لو عرض لي الأمر على أن أجلس في النجف الاشرف وأدرس في الحوزة أو أبقى في الحرب لاخترت النجف والدراسة وتركت الحرب، السيد السيستاني أعطى فتوى وهو في الحوزة وخرج الملايين ملبّين لها، وفي قبال ذلك لا يستطيع أي قائد عسكري أن يخرجهم مهما كان اسمه ومنصبه.

نص الرسالة التي كتبها الحاج الشهيد القائد أبو مهدي المهندس لسماحة المرجع الكبير السيّد علي السيستاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (روحي لك الفداء).

﴿لبيك.. لبيك.. لبيك يا داعي الحق﴾

نعاهدكم سيدنا المفدّى على حمل السلاح والجهاد والمشاركة في الزحف الجهادي الحسيني المقدّس بأرواحنا وبكلّ ما نملك من أجل وقف هذا الغزو اليزيدي التكفيري البعثي الجائر، من أجل الدفاع عن

مقدّساتنا وعن حرم أئمتنا علي والحسين والكاظم والجواد والهادي والعسكري وأبي الفضل العبّاس عليهم أفضل الصلاة والسلام، ومن أجل الدفاع عن أعراضنا، عن عراقنا، وعن جميع المظلومين.

لقد لبّى ندائكم آلاف المجاهدين من أبنائكم من ذوي الخبرة بفنون القتال من الذين عرفتهم سوح الوغى ضد الظالمين والبعثيين والتكفيرين، وقد انخرط هؤلاء المجاهدون اليوم في جبهات الحقّ ضد الباطل، والمشاركة في إدارة وتنظيم وقيادة هذا الموج الهادر من المجاهدين الزاحفين لسوح الجهاد تلبية وطاعة لفتواكم، داعمين ومرابطين ومعاضدين لقواتنا المسلحة البطلة التي تواجه ببسالة وفي أكثر من جبهة هذا العدو الظالم الغاشم.

واطمأنوا يا سيدي بأنّنا بالمرصاد لهم ولن يمروا إلاّ على أجسادنا.

((وما النصر إلاّ من الله العزيز الحكيم))

أبو مهدي المهندس

١٥ شعبان ١٤٣٥ هجري قمري

صورة من رسالة الحاج المهندس المرسلة لسماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (روحي لك الفداء)

[لبيك لبيك لبيك يا داعي الحق]

نعاهدكم سيدنا المفدى على حمل السلاح و الجهاد و المشاركة في الزحف الجهادي الحسيني المقدس بأرواحنا و بكل ما نملك من أجل وقف هذا الغزو اليزيدي التكفيري البعثي الجائر ، من أجل الدفاع عن مقدساتنا و عن حرم أئمتنا علي و الحسين و الكاظم و الجواد و الهادي و العسكري و أبي الفضل العباس عليهم أفضل الصلاة و السلام ، و من أجل الدفاع عن أعراضنا ، عن عراقنا ، و عن جميع المظلومين .

لقد لبى ندائكم آلاف المجاهدين من أبنائكم من ذوي الخبرة بفنون القتال من الذين عرفتهم سوح الوغى ضد الظالمين و البعثيين و التكفيريين ، و قد إنخرط هؤلاء المجاهدون اليوم في جبهات الحق ضد الباطل و المشاركة في إدارة و تنظيم و قيادة هذا الموج الهادر من المجاهدين الزاحفين لسوح الجهاد تلبية و طاعة لفتواكم ،، داعمين و مرابطين و معاضدين لقواتنا المسلحة البطلة التي تواجه ببسالة و في أكثر من جبهة هذا العدو الظالم الغاشم .

و أطمئنوا ياسيدي بأننا بالمرصاد لهم و لن يمروا إلاّ على أجسادنا .

[و ما النصر إلاّ من الله العزيز الحكيم]

أبو مهدي المهندس

١٥ شعبان ١٤٣٥ هجري قمري

ولادة مهدي:

إنّ وضع الإتصالات في محاور العمليات العسكرية لم يكن جيّداً، فبعضها تعرّض للتخريب، لذلك فإنّ أكثر الإتصالات كانت تجري عبر شبكة المعلومات(الأنترنت)، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١١م، تحديداً في مقر عمليات قضاء بيجي جاءني إتصال هاتفي من والدتي تخبرني فيه أنّ زوجتي ترقد في المستشفى لإجراء العملية القيصرية للولادة، فكنت أنتظر المولود الأوّل، الذي أخبرني جهاز السونار بأنّه سيكون مولودي ذكراً، فاتصلت بالأخ العزيز الحاج مهنّد العقابي لأخبره أنّني سأغيب مدة يوم واحد فقط، لمشاهدة ولدي وأعود إلى مقر عمليات بيجي، فقدّم المباركة لي، وأخبرني بأنّ الحاج المهندس سيبقى في محور العمليات؛ لذلك عليك أن تعود سريعاً، فقلت: نعم، يوم واحد فقط.

وصلت إلى المستشفى، فوجدت زوجتي ولدت، وهما بصحة جيدة، والحمد لله، وسألوني عن اسم الولد ما هو؟ فأجبتهم: مهدي؛ حبّاً بالحاج المهندس. لم أبقَ مع المولود الجديد كثيراً، حتى غادرت المستشفى عائداً إلى قضاء بيجي سريعاً مثلما وعدت الحاج العقابي، وحين وصلت مقر العمليات رأيت الحاج أبا مهدي المهندس والحاج أبا عقيل الكاظمي، فسألاني عن المولود؟ قلت لهما: الحمد لله ولد وهو بصحة وسلامة.

ثم أخرجت لهما صورة المولود الجديد، فأخذ الحاج المهندس الهاتف من يدي وبقي يتمعن فيها كثيراً، حينها أخبرني أنّ مهدي سيكون جميلاً جداً، وكذلك يشبهني، ثم قال لي:

أبو لواء اشتري لمهدي هدية على حسابي الشخصي ومهما تكن تكلفتها فهي عليَّ.

ابتسمت وقلت له: حجي ماذا اشتري له؟! فهو ولد وأثمن شيء للولد قاط لا تتجاوز كلفته خمسة وعشرين ألفاً، ولو كان المولود بنتاً لاشتريت لها ذهب، أمّا الولد فليس هنالك شيء ثمين له.

أبتسم وردّ عليّ: **أنت البهادلي حاسبها حساب.**

فردَّ عليه الحاج أبو عقيل الكاظمي: والله حجي حقّه أنت قلت له اشتري لمهدي شيء وعلى حسابي ماذا يشتري له مثلاً؟

ابتسمنا جميعاً، ثم قال للحاج الكاظمي:

خلاص أنا سأخرج من الموضوع وخلي أبو عقيل يتكلّف بيها.

مضت الأيام وكبُر مهدي، وتغيّر عملي مع الحاج المهندس، وكان في كلّ مرة يراني فيها يسألني عن مهدي، حينها أخرج له هاتفي لِيرى آخر صورة له فيأخذ الهاتف ويقبّله من خلف الشاشة، وقبل استشهاد الحاج المهندس كنّا في زيارة له، أنا والحاج أبو عقيل الكاظمي، سألني حينها عن مهدي، فأخرجت له

هاتفي وقلت له: كبُر وصار عمره خمس سنوات، فأخذ الهاتف من يدي، وبقى يتمعّن في الصورة، ثم قبّلها وصلّى على محمّد وآل محمّد، وقال لي: **صاير حلو أحلى منك**، ومن ثم ابتسم، رحل الحاج الشهيد المهندس، فأخذت ولدي مهدي إلى قبر الشهيد، وقلت له: بابا مهدي هذا القائد العظيم الذي أسميتك على اسمه، والتقطت له هذه الصورة وهو يقبّل قبر الشهيد المهندس.

ربما في هذا العمر لا يعرف ثمن اسمه لكنّي على يقين أني إن بقيت حيّاً وتحدّثت لمهدي عن الحاج أبي مهدي المهندس سيحبّ اسمه كثيراً، وسيكون من دواعي الفخر له بين الناس.

رأى المهندس قتيلاً داعشياً:

لمّا نستمع لوصية الحاج القائد أبي مهدي المهندس، وهو يتحدّث عن التّفقه في الدين ستدركون ما أقول، فالحاج المهندس كان يبدأ بزيارة مقر المجاهدين قبل الشروع في أيّة عملية عسكرية على أيّ محور كان؛ ليتحدّث معهم عن العمليات القادمة، وعن كيفية التعامل مع الناس إن وجدت عوائل في المناطق المحرّرة وعن حكم الأسرى من الدواعش إن وقع أحدهم أسيراً، وأكثر وصاياه هي أنّنا مجاهدون، ومهمتنا هي نصرة المظلوم ورفع الظلم عن الناس، وليس ظلمهم لا سمح الله.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٤ م تحديداً في عمليات تحرير مصفى بيجي وسلسلة جبال مكحول كنا نسير مع الحاج أبو مهدي المهندس راجلين بين صفوف المجاهدين الذين شرعوا بالتقدّم نحو القتال، وبينما نحن نسير في المصفى جاءت عجلة نوع إسعاف مسرعة نحونا، تجرّ خلفها إحدى جثث قتلى داعش، وحينما رأى الحاج المهندس هذا المنظر بعينه فإنّني لا أستطيع أن أصفَ لكم ملامح وجهه، التي تغيّرت مفاجئة؛ فلم أشاهد هذه الهيئة منه سابقاً، هرول الحاج المهندس بسرعة نحو سائق العجلة، الذي ربط القتيل خلفه، وطرق زجاج نافذة السائق بقوّة حتى شعرت أنّها ستنكسر لشدّة الضرب عليها، فحينما ترى كيف

هـرول الحـاج المهنـدس وهـو غضـبان لإيقـاف العجلـة، سـتدرك حينهـا ردّ فعـل السـائق، فتوقّـف السـائق مرعوبـاً مـن رؤيـة الحـاج المهنـدس أمـام عينيـه، وهـو بهـذه الهيئـة، ثـمّ لـم ينتظـر أبـو مهـدي المهنـدس أن يفـتح السـائق زجـاج النافـذة ليتحـدث إليـه، بـل قـام بفـتح بـاب السـائق بسـرعة، وهـو يتسـاءل فـي وجهـه **مَـن أنـت؟** فأجـاب سـائق العجلـة: حـاج أنـا مـن المجاهدين.

فردّ عليه المهندس قائلاً: **مـن أي المجاهـدين أنـت؟ هـل تعـرف شـيئاً عـن أخـلاق المجاهـدين والجهـاد؟ أيـن أنـت وأيـن أخـلاق المجاهدين؟ مَـن أعطـاك الشـرعية كـي تسـحب جثـة إنسـان بهـذا الشكل في الطرقات؟**

فأجاب السائق متعجّباً: حاج هذا داعشي!

فقال المهنـدس: **حتى وإن كـان ألـف داعشـي، مَـن أعطـاك الشـرعية للقيام بهذا العمل؟ لو كنت مجاهداً حقّـاً متفقّهـاً فـي الـدين، لعرفـت قـول رسـول الله ﷺ: ((إِيَّـاكُمْ وَالْمُثْلَـةَ وَلَـوْ بِالْكَلْـبِ الْعَقُـورِ))**[1]

١- روضة الواعظين: ١٣٧.

كيف تسمّي نفسك مُسلماً، وأنت تخالف قول رسول الله وتسحب جثة إنسان بالطرقات؟

وحتى هذه اللحظة لم يتمكّن صاحب العجلة التنفس، ولم يمنحه الحاج المهندس الوقت لكي يتحدّث.

ثمّ رد عليه المهندس قائلا: **والله وأنا على يقين إنك لم تقتله، ومَن قتله لا يعملها معه إطلاقاً، عليك الآن أن تفتح الجثة فوراً.**

فأجاب السائق: صار حجي الآن سأفتحها.

فقال المهندس: **لا أريد منك أن تفتح الجثة فقط، بل عليك أن تدفنها أيضاً وتقول "أدفن هذه الجثة قربة لله" كي يوفقك الله في حياتك، واعلم يا عزيزي نحن هنا نمثل خط الإسلام المحمّدي الاصيل، وليس المُزيّف، الذين يتحدّثون باسم محمد ويقتلون الأبرياء، وكذلك اعلم جيداً أنّ حضورنا إلى هنا وترك عوائلنا وأحبابنا دون أن نعلم هل سنعود أو ينتهي بنا المطاف شهداء، هو من أجل الدفاع عن المظلومين.**

وبينما يتحدّث الحاج المهندس مع السائق، بادر سريعاً لفتح الجثة، وبعد انتهاء الحاج كلامه صار السائق يبحث عن شيء يستطيع به أن يدفن القتيل الداعشي، كما طلب منه الحاج المهندس.

بالتأكيد كنت حاضراً في كلّ مجريات هذا الحديث لكنّي لم أستطع تصويره؛ إذ رفض الحاج المهندس التصوير حتى لا تظهر الجثة التي كانت شبه عارية، ولا تكون ذريعة تستغلها القنوات الصفراء لتشويه صورة الحشد الشعبي والمجاهدين. إنّها رسالة عظيمة من شهيدنا القائد لكلّ المجاهدين مفادها تفقّهوا في الدين.

رفض المرافقة:

نتحدّث أحياناً مع الأصدقاء عن رفض الحاج المهندس للمرافقين، فيتساءلون عن عدد السيارات التي ترافق المهندس في جبهات القتال، أو في بغداد أحياناً. نعم، هناك فريق أمني يعمل على حماية المهندس، وتأمين حياته، لكن هل أخذوا دورهم الحقيقي مثلما هو مطلوب؟

إنّ مَن لديه معرفة بهذا الشأن يعرف أنّ عمل الفريق الأمني هو حماية الشخصية المهمّة التي يُرافقها، وهذا يعني أنّ الشخص المراد حمايته يكون تحت تصرف الفريق الأمني وما يراه ذلك الفريق مناسباً، لكن هذه القاعدة لا تنطبق على الحاج المهندس؛ لأنّه يسير على خلاف ما يريد الفريق الأمني تماماً، حتى أصبح عملهم بحماية المهندس شبه معدوم، فضلاً عن أنّ الفريق الذي كان مع الشهيد القائد أبي مهدي المهندس كانوا مكلّفين من قبل إحدى الفصائل الإسلامية لحماية الحاج المهندس، فالحاج المهندس شخصياً لم يأتِ بشخص واحد، ولو على مستوى السائق الشخصي، فبعضهم يمارس عمله معه بصفة استخدام من وزارة الدفاع وآخرين من جهاز الأمن الوطني، وأنا والبديل عنّي الأخ سجّاد رسول كنّا من مديرية الإعلام ومفرّغين للتغطية الإعلامية مع الحاج المهندس.

أمّا بخصوص السؤال الأوّل الذي دائماً ما يطرح حول عدد السيارات التي تكون مع المهندس أثناء مزاولته لعمله الميداني، فهي غالباً ما تكون للإخوان المسؤولين الذين يرافقون الحاج المهندس، ففي أغلب الأوقات يخرج الحاج المهندس من دون حماية أو مرافق، وأحياناً يخرج بسيارات الأجرة التي يؤجّرها من الطريق العام من دون أن نعرف إلى أين سيتوجّه.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٥ م تحديداً عندما كنا في مقر الاستراحة في معسكر سبايكر، وكان معي الحاج أبو عقيل الكاظمي والأخ المجاهد فرقد الجعفري، حدّثنا الحاج المهندس وبشكل شخصي عن هذا الموقف.

قال المهندس: **قبل أيام خرجت أنا وأحد الإخوة من المكتب في سيارة نوع بيك آب قاصدين مسجد الزويّة لقراءة الفاتحة، وأثناء خروجنا من المنطقة الخضراء أوقفنا رجل المرور متعجّلاً ليمر رتل عسكري كبير، فتوقّفنا حتى انتهى دخول الرتل الذي كنّا نجهل أنّه لمن يكون! وما إن وصلنا إلى رجل المرور الذي أوقفنا، فسألته مَن صاحب هذا الموكب الكبير الذي أوقفت العباد من أجله؟**

فقال: هذا فلان الفلاني، القائد في الحشد الشعبي.

ابتسمت وقلت له: عمّي أنا قائد الحشد الشعبي اللي أنته موقفني حتى يمر القائد في الحشد الشعبي.

بقي الرجل ينظر في وجهي متردداً في أن يصدّق كلامي أو لا، فهو لا يتوقع منّي الكذب مع عدم معرفته بي.

ثمّ ذكر الحاج المهندس لنا مَن هو فلان صاحب الرتل، وفي يوم ما اجتمعنا سوية في مقر جهاز مكافحة الإرهاب وكان صاحب الرتل معنا وذكر الحاج المهندس أمام الحاضرين هذه القصة وذلك الرجل كان يبتسم فقط دون أن يجيب ولو بكلمة واحدة، فأخبره الحاج المهندس: **أنت من كنت مارّاً في رتلك الكبير وأنا من كنت واقفاً في عجلتي البسيطة.**

في عمليات تحرير قرية البو عجيل وبالرغم من خطورة المكان وعلم المهندس بوجود انغماسيين (انتحاريين)، لا نعلم مكانهم ولا ساعة خروجهم ليفجّروا أجسامهم العفنة فينا، رفض الحاج أبو مهدي رفضاً قاطعاً أن يكون معنا في العجلة المصفحة[1]، وأخبرناه بأنّ نيران العدو ستكون قريبة جداً علينا ما يعرّضنا ويعرّضكم للخطر.

١- المصفحة: هو الاسم الدارج شعبياً في العراق، وهو يعني أنّ العجلة ضد الرصاص.

قال المهندس: **إذا كنتم خائفين ارجعوا حيث تريدون أمّا أنا سأستقلّ هذه العجلة.**

فذهبنا معه كيفما يريد، وركبنا في عجلة ذات دفع رباعي نوع تويوتا بيك آب، أمّا الحاج المهندس فلم يبقَ معنا كثيراً؛ حيث وجد في منتصف الطريق عجلة شخصية نوع تويوتا لاندكروزر لأحد المجاهدين فركب معه، ودخلنا قرية البو عجيل أثناء التحرير بعجلات شخصية لا يتوقّع أحد أنّ فيها الحاج المهندس إطلاقاً، التقطت هذه الصورة التي أمامكم الآن للحاج المهندس في عمليات تحرير قرية البو عجيل.

هكـذا سـرنا بـين المجاهـدين وأينمـا وجـد مجموعـة ترجّـل وصـافحهم الواحـد تلـو الآخـر، ثـم يبـدأ بتقبـيلهم والسـلام علـيهم ويسـألهم عمّـا يريدون حتى وإن كان الطلب على المستوى الشخصي لهم.

وبينمـا نحـن نسـير فـي الخطـوط الأماميـة وجـد الحـاج المهنـدس رفيقـاً لـه مـن رفـاق سـنوات الجهـاد السـابقة، وبعـد السـلام قـال لـه ذلـك المجاهـد: حجي كيف جئت إلى هنا في عجلة اعتيادية ولم تكن مدرعة؟

فأجاب الحاج المهندس: **عزيزي أنت، لا داعي للخوف كثيراً فأنا أريد أن أستقل عجلة استطيع منها أن أُسلّم على المجاهدين، والعجلات المصفّحة لا ينزل زجاجها ولا أستطيع سماع الناس ولا يستطيعون هم سماعي أيضاً، أنا هنا فرد عسكري واجبي هو خدمة المجاهدين، فلماذا أُميّز نفسي عنهم بتلك العجلات الكبيرة والتي لا تستطيع إيقاف ملك الموت إن نزل.**

صمت ذلـك الرجـل المجاهـد وقبّـل الحـاج المهنـدس فـي جبينـه ثـم قـال لـه: حجي أريد الله يحفظك لنا.

استهداف المهندس:

إعتاد الحاج المهندس في صباح كلّ يومٍ أن يتفقّد القواطع العسكرية في محاور العمليات، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٨م تحديداً كنّا في معسكر سبايكر، ثمّ انطلقنا برفقة الحاج المهندس إلى قاطع عمليات اللواء الخامس عشر، وكان من مسؤولية مجاهدي هذا اللواء تطهير القرى من بقايا تنظيم داعش الإرهابي، وكان برفقتنا عدد من القادة العسكريين في الحشد الشعبي والقوات الأمنية، منهم: الفريق الركن جمعة عناد وزير الدفاع الحالي، الذي كان يشغل منصب قائد عمليات صلاح الدين، والأخ المجاهد مدير استخبارات الحشد الشعبي الحاج أبو إيمان الباهلي.

إنّ قاطع العمليات كان يمتد من خلف معسكر سبايكر حتى جزيرة الصينية، وهذه القرى لم يتم تطهيرها بشكل كامل ومازالت فيها جيوب لداعش، والحاج المهندس رفض أن يستقلّ العجلة المصفحة، بل اختار أن يذهب إلى القاطع بعجلة نوع تويوتا بيك آب، ورفض أي مرافق له، ثمّ ركبنا العجلة (البيك آب) ودخلنا أرض العمليات التي كان فيها صوت الرصاص يأتينا من كل حدب وصوب، وصار الحاج يسير ميدانياً مع المجاهدين من قرية إلى أخرى، حتى أدركنا وقت صلاة الظهر، فوصلنا إلى قرية السلام، التي رفض القادة بقاء الحاج

المهندس فيها، حيث لم يتم تطهيرها بشكل كامل، لكن المهندس ردّ عليهم قائلاً: **سأبقى هنا حالي حال أولادي الموجودين**، ثمّ توقّفنا على أطراف القرية وترجّلنا للصلاة، فطلب الحاج المهندس سجّادة لأداء الصلاة، إلاّ أنّه لم تكن سجّادة الصلاة متوفّرة حينها، فافترشنا قطعة من القماش كانت في عجلة الفريق الركن جمعة عناد، ووقف الحاج أبو مهدي ينتظر الأخوة المجاهدين الذين طلبوا منه الإنتظار حتى يصلّوا جماعة خلفه، وأنا كنت واقفاً بالقرب منه أعدّ كامرتي كي ألتقط له صورة وهو يصلّي بالمجاهدين، وبعدها انسحب للصلاة، فأخرج الحاج أبو مهدي مسبحته ووضعها أمامه بجانب التربة، التي يؤدي عليها الصلاة، وبينما هو ينتظر الأخوة حتى يقيم الصلاة، فإذا برشقة رصاص استقرّت جميعها بالسيارة التي وقفنا بظلّها لأداء الصلاة.

بسرعة وقفت أمام الحاج المهندس وظهري إلى العدو الذي كرّر الرشقات مرَّةً أخرى، وكنت على يقين بأنّ إحداها ستستقر في ظهري لكنّي لم أكن لأبالي حتى وإن متّ ألف مرة مادام الأمر يتعلّق بحياة الحاج المهندس.

وحينما كنت أعدّ الكامرة وأنتظر التصوير تركت سلاحي في العجلة؛ لذلك لم أكن أحمل سوى الكامرة فلم أتمكن من الردّ على مصدر

النار بالنار، كل هذا لم يستغرق من الوقت سوى ثواني معدودة، والتحق بي الأخوة الذين رافقونا لنكوّن حلقة حول الحاج المهندس الذي رفض أن نكون أمامه، وكذلك رفض أن يترك مكان الصلاة، لكنّنا كنّا وكأنّنا لم نسمع حديثه وهو يتحدّث معنا.

أمّا القوة التي كانت مع الفريق الركن جمعة عناد فأخذت على عاتقها معالجة مصادر إطلاق النار الذي تحوّل بعدها إلى اشتباك، وفي هذه اللحظات الحرجة التي كنّا نحاول فيها أن نسحب الحاج إلى خلف أحد الدور القريبة، شغّلت كامرتي وصوّرت تلك اللحظات، ولم تبتعد كامرتي عن وجه الحاج المهندس لأقل من نصف متر، فكان يتحدّث معي وأنا أقف أمامه، فيقول:

وخّر منا [ابتعد عنّي] بويه خل آني أمشي وخّر.

فأجبته: حجي رمي.

فقال: **ما لك علاقه، لا تصير گدامي.**

كنا نرفض الإمتثال لكلامه خوفاً عليه، وهو يرفض تواجدنا أمامه خوفاً علينا، لذلك أصرّ علينا حتى فتحنا له المجال وسرنا حوله، وعندما أردنا أن نسير بسرعة، رفض وقال: **لا تركضـــون**، وسار على طبيعته مع أنّ الاشتباك مازال مستمراً، وأزيز الرصاص واضح، ومَن يودّ مشاهدة

الفيديو المصوّر فهو منشور على موقع اليوتيوب تحت عنوان (محاولة اغتيال الحاج أبو مهدي المهندس).

التقطت هذه الصورة للحاج المهندس والشهيد الجابري بعد عملية اطلاق النار.

❖ ❖ ❖

الإعلام الأمريكي في العراق:

إنّ الجميع يعلم أنّ الحشد الشعبي عند الشروع بأيّة عملية عسكرية، أو بعد تحرير مدينة ما، يواجه كيلاً كبيراً من التهم والأباطيل، وبعض هذه التهم عملت على تعطيل سير العمليات إلى أشهر، ومنه ما حدث في عمليات تحرير محافظة صلاح الدين التي حدثت في أيامها إلصاق أنواع التهم للحشد الشعبي المقدّس، ومن أجل تعطيل عمليات تحرير قضاء بيجي نجحت تلك القنوات الصفراء الذي يموّلها الاحتلال الأمريكي من إيقاف التقدّم على قضاء بيجي لعام كامل، وسبّب هذا التعطيل الذي فُرض على الحشد الشعبي من قبل رئيس الوزراء ـ آنذاك ـ حيدر العبادي، بإعطاء عشرات الشهداء بل وصلت أحياناً إلى المئات، ونحن على اعتاب قضاء بيجي التي لو تقدّمنا لتحريرها بعد تحرير تكريت، مثلما أراد أبو مهدي المهندس، لما أعطينا ربع تلك الدماء الزكيّة التي سالت ونحن نقف كحائط صدّ بشري أمام المفخّخات، ولم ينتهِ الأمر بهذا الشكل، بل بقي إلى ما بعد تحرير قضاء بيجي.

وتكمن أهمّية هذه المدينة بأنّ تحريرها يُشكّل أقوى ضربة للدواعش، لكن فرحة التحرير لم تدم طويلاً لأبطال الحشد الشعبي، حيث عاد الإعلام الأمريكي من جديد بقنواته الصفراء ليتّهم الحشد المقدّس بسرقة المصافي النفطية في قضاء بيجي، واستمرت هذه الحرب الإعلامية القذرة التي تدار بالمال الأمريكي على الحشد الشعبي حتى شهادة المهندس.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٩م تحديداً في مقر سبايكر التقى الشهيد القائد الحاج المهندس بأحد رجال الحشد الشعبي المقدّس، الذي كلّف بمتابعة هذه القنوات الصفراء ومن يديرها ومن أين تمويلها. وبدأ الأخ المدعو (.....) سرد الحديث بشكل مفصّل عن تلك القنوات، وعن بعض الشخصيات السياسية والعسكرية والإعلامية التي لها دور بتحجيم الحشد الشعبي المقدّس، وهذه القنوات كانت تسعى إلى فرض الحصار عليه والتقليل من أهمّيته، فضلاً عن أنّهم حصروا الأخبار التي تخص الحشد وعمليات التحرير بمكتب خلية الإعلام الأمني الذي تدار من قبل ضبّاط أمريكان، فالأخ (.....) يشكو بحديثه للحاج المهندس الحصار المفروض على الحشد الشعبي إعلامياً من قبل م/ع، فطلب المهندس من الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري الإتصال به فوراً.

وتمّ تأمين الإتصال به، وقال له الجابري: إنّ الحاج أبا مهدي المهندس يريد التحدّث معك، وقبل أن يشرع المهندس بحديثه مع م/ع بدأت أنا بتصوير وتسجيل المكالمة الهاتفية كلّها، التي استمرت سبع عشرة دقيقة. وهذا نصّ حديث أبي مهدي المهندس مع المدعو م/ع، وتمّ رفع بعض الأسماء مراعاةً للظروف الأمنية:

قال المهندس: **السلام عليكم.**

م/ع : من هاي اللحظة لتنشر أي شي عن الحشد، أي كلمة عن الحشد الشعبي لتنشرون، لتسوّقون للأمريكان بدم الشباب، وسأخرج بالإعلام أحجي هذا الحجي، لتصيرلي (الحرة) هذا الكلام رسمي جاي احجي ويّاك، أنّه جاي انطي دم شباب، أولادكم ما تقبل ينقتلون بهاي الطريقة، لتسوّقون للتحالف الدولي برأسي، التحالف الدولي إلي وجدنا طعامهم لدى الدواعش، انتو جاي تغطولي تغطية متستاهل كعراقيين، غلط تغطّون بها الطريقة، وجاي تشوهون صورة الحشد الشعبي وتعكسوها بطريقة سخيفة جداً وعملياً أنّه أكلك من هاي اللحظة انته وكل العاملين ب(العراقية) مالكم الحقّ تحجون أي كلمة عن الحشد الشعبي، انسوا عملياتنا ذكروا الجيش والشرطة فقط انسوا اكو حشد شعبي.

اعرفك كلش زين واعرف خفايا (العراقية) أعرفها بالتفصيل أنّه عندي جهاز أمني ومعلوماتي، تدري ما تركت لا الأمن ولا العسكر صار اتلاثين سنة، اعرف كل الخليات، ما تقوم به (العراقية) الآن تشويه كامل لعمليات الحشد، جاي نتقطّع؛ هذي دولتكم العظيمة مسويتنه مكادية، جاي تكدون حتى بالإعلام حاطيلي واحد سخيف يتحدّث عن عملياتنا.

آنه ما افترضك عميل أمريكي؛ الناتج أمريكي (الشرقية) تشتمني اقبل، (الشرقية) عميلة واضحة أجنداتها، (الحرة) تشتمني وتشوهني أعرفه تشتغل بالبنتاغون الأمريكي، أنتم قناة مال عراقيين مو قناة مال أمريكان وتجون تشوهون صورة عمليات الحشد، لا تلزكون لزك الأنبار في بيجي.

انته جاي تبلغ للتحالف يومياً ما لا يبلغه عن نفسه، انته جاي تنشر عن التحالف الدولي السخيف والعميل وسبب مشكلتنا كلها التحالف الدولي والأمريكان وداعش. المفروض انته تحجي بلسانك تقول داعش تربية امريكية مو تجيب التحالف الدولي تلزكه بعمليات الحشد الي جاي ينطي دم. ذولي شباب عراقيين شباب جاي يتكطّعون، اعرفك كلش زين انته رجل إعلامي خبير وتفهم ما تقول، كل كلمة تطلع بـ(العراقية) انته بالضبط تفهمها شنو قصدها، انته لازكلي التحالف الدولي وياي ليش؟ ليش أنّه انطي دم انته تبلغ للتحالف الدولي؟ شنو يقصفله سيارة تطلعه وياي، شلي علاقة أني بالتحالف الدولي لعنة الله على خلية الأزمة، انته عراقي وطني متجي خلية امريكية تفرض عليك، أدري بيك تفهم كل كلمة انته الحرف تعرفه.

أنّه أعرفك أكثر من ثلاثين سنة أعرفك حتى الحرف شنو قصدك بي انته ليش تسوقلي التحالف الدولي وياي، ويه دم الشباب، ما إلك حقّ تذيعها الي جاي ينطوك أخبار ناس مهزومين، ذيعها إذن لتذيع للحشد، لا هيج من هاي اللحظة شوف آنه راح اطلع اليوم بالإعلام من هاي اللحظة ما إلك حق تحجي عن الحشد الشعبي انشر ما تقوله خلية الإعلام بدون حشد شعبي، أي (العراقية) مالتك مال الدولة إلي تشتغل عند الأمريكان الدولة تسوق للأمريكان، شوف قلبي انته تسوق للتحالف الدولي ما لا تسوقه (الحرة) إلي تشتغل بالبنتاغون.

اعرف لأن انته كل شي تفهم انته مو غريب عليه انته كل شي تعرف، آنه وغيري نجي ندافع لتشوهون صورتنا لتبيعون دمنا، عيف الحشد، الحشد ما يطلع بعد آنه اقولك بيانات ميصدر من هاي اللحظة أنّه جاي اقولك آنه اسمي أبو مهدي المهندس من هاي اللحظة (العراقية) ممنوعة من نشر أي شيء عن الحشد، اعرف انته كل شيء تعرف.

لا ما عندي موقف مسبق، عندي موقف أنّه انتو جاي تطعنونا من الظهر جاي تطعنونا إعلامياً من الظهر طعنة خشنة، جاي تشوهون صورتنا، جاي تسوقون بدمنا للتحالف الدولي.

هذا الحجي اللي جاي احجيلكياه راح انشره، ادري انته متخاف انته ما عندك مشكلة من تشوّه صورة الحشد، انته تعرف بالضبط شلون جاي تشوهني، ما اتهمك آنه ما حاجي وياك بهاي اللغة صارلي أكثر من اتلاثين سنة آنه شخصياً شوهتني ما حاجي دمرت وضعي انت شخصياً في جريدة (الصباح) ما حجيت صارلي عشر سنين، قضية (الجادرية) تدري بيها تدري بيها مال (الجادرية) ما اقول ما احجي بيها عيفها ناسيها انته، عيفها عيف الموضوع الشخصي.

انت صديق قديم، انت هذا ما تسويه بـ (العراقية) تفهمه تعرف مقصودة انت رجل خبير أخبر الخبراء بالعراق انت شيل مني التحالف الدولي، ثانياً تشيل الحشد الشعبي من (العراقية) يا أخي، تريد تتبع خلية الإعلام السخيفة هذي اتبعها بس شيل أحذف شكو شيء اسمه حشد شعبي، مالك حق تنشره.

لا هيج الحجي انت جاي ادمرني وسط المعركة، أني لو ما اخوض معركة وما عندي دم الآن ما احجي هذا الحجي.

(هنا نظر إليَّ وقال: اعطيني ماي بابا).

لا جاي اجيبها من عندي اختلقها عليك، اذكرك فد يوم هسه عيفني القضية الشخصية عيف القضية الشخصية، لا، لا ما مخليها في بالي، شوف حبيبي عيفها، عيفها هاي مو ابالي آنه ما متأثر شخصياً، في وسط معركة معيب على (العراقية) يوميه تنشر خمسين خبر عن التحالف الدولي وقصفه لسيارة وقتله لفلان.

آنه اقولك انت بلغ الخلية. قلهم أبو مهدي يقول الحشد ميذكر ممنوع (العراقية) تذكر اسم الحشد، آنه اعرف اقلك الخلية تشتغل عند الأمريكان خلية الإعلام مالتك، اعزل شغلي عن التحالف الدولي اعزله عن خلية الإعلام. خلية إعلام يحضر بيها ستة أمريكان كاعدين بيها، انته ليش تشوهني؟

شوف بتكريت ما وكفت وياي، بتكريت شوهتوا صورة الحشد وكل هذا الدم الي انطيناه في بيجي، باوعني شوف قلبي، كل هذا الي جاي نبذله في بيجي جنا نكدر نخلصه بيومين بيجي بعد تكريت، بعدنا ما مخلصين مصفى بيجي الإعلام بلش علينا جاي نبوك مصفى بيجي.

ذيج المرة (رئيس وزراءك العظيم) أمرنا بالخروج من تكريت بسبب حملة إعلامية سخيفة ظالمة ضمن حرب نفسية.

شنو هاي الحرب النفسية سابقاً على الجيش العراقي اتهموا (بالصفوي) إلى أن أنكسر وانتهى، الآن الحشد الشعبي نفس الشي، بس اكلك معيبة تحطلي التحالف الدولي بصفي معيبة.

شوف قلبي أنا سأعلن أنّه (العراقية) تمثّل التحالف الدولي إذا استمريتوا بهذه الطريقة.

والله هذا الإعلام الحربي الأمريكان جاي يديرون دم شبابنا بطريقة سخيفة. الأمريكي السخيف جان يقصف باليوم خمسة آلاف طلعة لصدام يضرب بيها الجيش العراقي وقتل شبابنا وهم ينسحبون من (الكويت). هذا الإعلام الأمريكي سكت عن حلبجة، هذا الأمريكي قتل إلنه مو أقل من ٥٠٠،٠٠٠ طفل و(كوندليزا رايس وزيرة الخارجية السابقة) تقول الثمن يسوه، هذا الإعلام الأمريكي الآن يضربله ضربتين لداعش وينزّل اكل الهم، هسه لكيت اكل مال بنتاغون عدهم مكيس انتو المفروض تحجون الحقيقة. متحجيلي خلية إعلام حربي سخيفة تابعه إلى عقول مهزومة تريد أن تسلط عليه.

صارلكم شهرين ثلاثة سادين البيبان عن الحشد.

انته صاحبي وأعرفك قديم لو أدري بيك مو خبير وتفهم شنو الكلمة جان ما عاتبتك لو جايب واحد غشيم بـ(العراقية) جان ما حجيت. أعرفك البرغي شكد راخي شكد تضبه.

أعرفك بالإعلام شنو انته، والله العظيم أعرفك زين لذلك بالضبط ما ينتج من (العراقية) أعرفك انت وراه، وانت أقوى من خلية إعلام سخيفة.

تجار جاي يلمعون بالدم مال الناس، باوعلي هذا الجيش آنه محترمة شايلة على جتافي الشرطة محترمهم وشايلهم على اجتافي آنه ما أرضى واحد ينهان لا من الجنود ولا من الضباط محترمهم احترام كبير.

الكلب الأمريكي يمشي بالمطار حرّ والعراقي مو حرّ.

شوف آنه مو مال هوسات، شوف انه عمري كله، كل عمري ماشي بلايه هوسه، اشوف آلاف الشهداء جاي يسقطون، حتى تبقى هاي الدولة. آنه مو ضد الحكم، بس ما أقبل يلعبون ويخوطون بدم الشباب، ميخوط بشباب فقراء يخوط بدمهم حتى يحكم، ما أريد يجي سفير أمريكي نجس سجلها عليه. ميجي عميل أمريكي نجس يدير العمليات مالتي.

أريد إعلام مال معركة. ذوله اعتبرهم أولادك جاي يتقتلون لا تسوق للأمريكان بدمهم.

لتشتغل شغل ذولي جيبلك جم واحد من شبابنا خل يكعدون بـ(العراقية) مو خالك جم واحد يشتغل عند الأمريكان (٢٤) ساعة بالسفارات آنه انطيكياهم، مو حاط مسؤولين يمك انه أعرفهم كلش زين (٢٤) ساعة يم الأمريكان يوجهوهم.

في أمان الله.

انتهت المكالمة الأولى التي دارت بين الشهيد القائد أبي مهدي وعرّاب الإعلام الأمريكي في العراق م/ع، ولم ينتهِ الأمر عندها، بل شرع أبو مهدي بالإتصال بشخصٍ آخر له نفوذ قوي جداً بالحرب الإعلامية على الحشد الشعبي المقدس، وهو المدعو س/م، وهذا نصّ ما دار بين الحاج أبي مهدي و س/م، قال المهندس:

السلام عليكم:

س/م انته شنو مسؤول خلية الإعلام؟ انت جاي توجه الإعلام في (العراقية)؟ انت جاي توجه الإعلام بهذه الطريقة السخيفة أنّه يغطون عملياتنا بهذه الطريقة؟

العراقية يقولون انت جاي توجههم يغطّون عمليات الحشد بهذه الطريقة. انت جاي تمنع متحدّثين الحشد بهاي الطريقة؟ وانت جاي تبلّغ للتحالف الدولي بهذه الطريقة بعنوان خلية إعلام حربي منين جايبها هاي الخلية مالتكم..؟

انت شنو شغلك هسه؟ مو منسق مال خلية إعلام؟ جاي تبلّغون للتحالف الدولي وتاركين الدم مالتنا.

تراجع أخبار التحالف الدولي، انت منسّق مال التحالف الدولي؟ شنو هذا الإعلام مالتكم؟ ننطي دم انتو تبلغون عن التحالف الدولي منو مسؤول عن الخلية؟

شوف انه بلغت (العراقية) تحجي وياهم من هاي اللحظة إذا تغطّون إعلام الحشد الشعبي بهذه الطريقة، مالكم حق تحجون عن الحشد الشعبي، اسمعني أفتهم بالضبط شنو جاي تسوون، افتهم بالضبط وأفتهم الأمريكي جاي يوجّهكم، انتو الآن بدمنا جاي تبلّغون للأمريكان منو خلاّها هاي الخلية التعبانة؟

لا مو اخوة انتم تطعنونا بظهرنا جاي اطعنون بالظهر، شنو تقيّد انت الحشد؟ منو انت حتى تقيّد الحشد؟

هسه أبو (العراقية) يكول انت تبلّغ.

لعد منو يبلّغ؟

منو مسؤول الإعلام الحربي؟ يقول جاي اتلقى من خلية الإعلام الحربي إلي انته منسقها، يومية جاي تطلع بالتلفزيون انت.

باوعني، باوعني انته سمي نفسك خلية الإعلام الحربي الأمريكي بالعراق وما إلك حق تحجي عن الحشد الشعبي بعد ما إلك حق تجيب اسم الحشد الشعبي بهالطريقة، انه راح أمنع، هسه بلغته م/ع أنّه أيّ إعلام عن الحشد وقفوا ما دام انت تصدره وغيرك، انه هسه احجي ويه وزير الداخلية، واحجي ويه قيادة عمليات بغداد، واحجي ويه رئيس الوزراء. احنه جاي ننطي دم ونتذبّح انتو جاي تبلّغون للتحالف الدولي لازكي بينه.

إذا انت ابنّه تطعنّه، حاطيلكم خلية إعلام نصها أمريكان، نص خليتكم أمريكان كاعدين ويّاكم، منو موجّه الخلية؟ منو مسؤول الخلية؟ منو مسؤولها؟ يا ق/م هذا؟ ق/م شنو هذا؟ بلغه ق/م عن لساني .... والله العظيم.

باوعني شوف س/م سجّل عليّ صوتي، سجّله بالتليفون سجّله، شوف خل اكلك باوعني إذا انت باقي منسق وتحجي بالإعلام انت مسؤول هذا (ق) كلّه ليصيرلي (ق) خلية إعلام حربي أمريكي.

مشوّهين صورتنا حاطينه نشتغل عند الأمريكان، الأمريكي يقصفله سيارة باليوم حاطيها ليكدام تنشرون الخبر (٥٠) مرّة.

الحشد تخلّوه آخر شي، هسه بلّغوني (العراقية) كالوا س/م يبلّغنا ممنوع المتحدّثين مال الحشد يطلعون، هو هذا إعلام جاي تديروا؟ بربك هذا إعلام يوازي الدم؟

هذا إعلام جاي تديروا انت وغيرك اتطلعون بـ(العراقية). لازكين بالشاشة يومية، انه ما أرتكب حرام بساحة المعركة انتو جاي ترتكبون حرام، ظلم انتو جاي تظلمون.

من هاي اللحظة ما إلك حق، شوف (س) على لسانك لتجيب اسم الحشد الشعبي على لسانك لتجيب اسمه، لتجيبه، لا خير من عندك ما أريده لا تجيبه.

انه هسه أبلغه وزير الداخلية هسه أبلغ رئيس الوزراء خير من عدكم ما أريد، انتو جاي تاخذون الدم مالتنا تسوقون بي للتحالف الدولي.

شكراً جزيلاً في امان الله.

أغلق الحاج المهندس الهاتف بوجه س/م، وهو متوتر الأعصاب ممّا يدور في الإعلام، وكيف يتم تسقيط الحشد الشعبي المقدّس عن طريق الإعلام، ومقاتليه الذين يُقطّعون أوصالاً يومياً للدفاع عن الأرض والعرض.

م/ع قال للحاج المهندس أنا أتلقّى الأوامر من س/م بعدم نشر أي أخبار عن الحشد الشعبي وعملياتهم، بينما أنكر س/م خوفاً من غضب الحاج المهندس، وقال: أنا أتلقّى الأوامر من ق/م مدير مكتب كذا.

ثمّ طلب الشهيد القائد أبو مهدي من الشهيد السيّد الجابري الإتصال بالمدعو ق/م فوراً، وتحقق الإتصال الهاتفي، فأجاب ق/م على الهاتف وشرع الحاج المهندس بالحديث الذي سجلته له من أوّل كلمة:

السلام عليكم استاذ ق/م:

انت مسؤول عن توجيه الإعلام الحربي؟ يكولون انته إليّ تحرّك الإعلام كلّه مال الإعلام الحربي؟

منو مسؤول على الإعلام الحربي إلي بيه ستة أمريكان؟ س/م حجيت وياه يكول ما إلي علاقة أنا بيد (ق.م) يقول هو إلي يوجّه الخليّة.

انتو ليش تغطّون العمليات بهذه الطريقة؟ منو مسؤول عن الإعلام منو مسؤول عن الإعلام هسه؟

يعني هذا ترتيب الحشد خالّيه درجة رابعة وتغطولي التحالف الدولي كل ما يقصفله عصفور بالعراق تخلون مانشيت (٢٤) ساعة يشتغل، واحنه ننذبح ذبح بالعمليات نتقطّع أوصال، شبابنا ذولي يتقطّعون وانتو ملتهين تغطّون للأمريكان تلمعولهم؟

انتو عراقيين؟

انت عراقي؟

أكيد عراقي؟

جاي تشوف الإعلام مال (العراقية) شلون جاي يبثلنا؟

الحشد الشعبي انتو تذكروا؟ لو تذكرون الأمريكان أكثر من عدنا مئة مرَّة؟ مو جاي أراقب الإعلام ليش جاي احجي وياك عبثاً؟

جاي اعبث وياكم يعني هسه انه؟

هيج عندي وقت جاي احجي وياك بهالطريقة؟

انتو جاي تسيقون الإعلام بهذا الطريقة لجنة مشكلين. انت وين جنت تشتغل؟ انتو الآن بالضبط إعلام أمريكي جاي تشتغلون بالضبط إعلام أمريكي، بالضبط تغطيتكم إلنه الأمريكان جاي يغطّونا، انه جاي أراقب، شوف الإعلام هسه انه إتصلت بـ م/ع و ب. س/م وقالو مالنه علاقة.

م/ع قال أنّه تجيني أوامر وقالو تجي من المكتب الإعلامي، وأنه أدري شوف قلبي شوف حبيبي خل اكلك حبيبي انه ما عندي شي وياك انه يجوز مشايفك.

أمر ديواني لتغطّون للحشد كله لرئيس الوزراء أبو مهدي يقول إذا تستمرون اعلامنه بهذه الطريقة السخيفة منريدكم ولتغطّون الحشد أبداً ومالكم علاقة بينه.

انتو جاي تسوقون للأمريكان تلزكون عمليات الأنبار بينا بطريقة أو بأخرى تلمعون صور بطريقة عجيبة غريبة، جاي تدوسون على دمنه بقنادركم.

لا مو العفو شوف انت راقب (العراقية) شوف انتو لأن كاعدين بالمكاتب، انتو لأن بالمكاتب جنابكم جاي تغطّون بـ(العراقية)، وانه أدري شلون يدار الإعلام انه مو غشيم أدري وسابقاً انه بالحكومة من ٢٠٠٣م، لا تقصد، واضح باوعلي حبيبي واضح التقصده، لو انت متخصص بالإعلام المفروض تفهم شنو جاي احجي لو انت مو متخصص المفروض تطلع من هالشغلة.

سويتوا علينا بلوك صارلكم ٣ إلى ٤ أشهر انه ساكت، باوعلي أفتهم شجاي تسوون، استاذ (ق) الداعية انه من سنة ١٩٧٠م داعية، انت داعية مع الأسف الشديد واحد داعية مثلك يسوّق للأمريكان، مع الأسف الشديد حيف شكد عمرك انت؟

مع الأسف الشديد الدعاة استشهدوا وانتو الآن تسوّقون للأمريكان بهذه الطريقة السخيفة، المانشيت يفتر على التحالف الدولي مو عيب عليكم؟ مو معيبة لازكينه احنه بالتحالف؟

خويه انه اكلك عزيزي الخلاصة انه ما عندي وقت الآن بالعمليات قلبي ما عندي وقت ودايخ انه اكلك من اليوم الحشد لتذكروا لا زين ولا شين شيلوا اسمه وراح اطلع بالإعلام بنفسي واكول فلان وفلان يشتغلون عند الأمريكان.

هذا الإعلام مالتكم جاي تلعبون بدمنا وتدوسون عليه بقنادركم عيب عليكم انتوا دعاة عيب عليك تقول انه داعية، الحشد ممنوع سويتوا بلوك علينه خايفين من عدنا شنو ليش خايفين بويه؟ على ساعة ننقتل احنه هنانه، الحكومة مالتكم عزيزي احنه اشتغلنا بدمنه حتى تحكمون،

اشتغلنه بدمنه حتى تحكمون، ظلّوا حاكمين لتخافون، بس عيب انت (داعية) تبلغ للأمريكان.

دشوف إعلامك بـ(العراقية) يسوه؟ وشوف هاي خليتكم إلي خليتوها، كل خليتكم إلي خاليها لتقييد الحشد من البداية باوعتلكم كل شي سويتوا بس لتقييد الحشد، لتكلي أبداً أنتم كاعدين حاطيلكم جم واحد على التلفزيون يحجي، ما رايدكم خويه قلبي.

أول مرة عيفوا الحشد رحمة على جدكم، انه افتهم شجاي تسوون انتم إعلاميين وافتهم شنو خلف هاي الخلية انه افتهم هاذه القضية، افتهم هذا الموضوع قلبي انتو جاي تشتغلون موظّفين جاي تجيكم توجيهات من الأمريكان بصماتهم واضحة لازكيلي التحالف مثل ما لزكتوا بتكريت.

مثل ما جاي تلحون يومية تطلعون بالإعلام أمريكا حررت تكريت، خجل ماكو، إلي عنده غيرة وخجل ميجيب الأمريكان يحطهم بنصنه، جاي يضحكون علينا يقتلون بينه.

لتحلف، منو مسؤول الإعلام؟ منو مسؤول الإعلام بهذا البلد؟ م/ع يكلي مالي علاقة س/م يكلي مالي علاقة أنت تكلي مالي علاقة، منو مسؤول الإعلام؟

عزيزي حبيبي قلبي أفْتهم شجاي تسوون، أفْتهم انه جاي أراقب انه كاعد بنص المعركة جاي أراقب، جاي تطعنونا بظهرنا، شكراً لكم، لا نريد ذكركم للحشد، بلغ السيد رئيس الوزراء قله أبو مهدي يقول لتذكرونا، بطلوا من عدنا نصرف دم براحتنا مالكم علاقة بينا، بطلوا من عدنا، سكتوا بس خل نخوض معركة نخلص وبعدين غطوا اعلامنه.

لمعوا السفير الأمريكي، إذا اجاكم قائد أمريكي لمعوا. الأمريكان لمعولهم عيفونه بس خلصونه.

في أمان الله.

أنتهى الإتصال الهاتفي مع الشخصيات الثلاث، الذين لهم الدور الأول بتحريك الإعلام العراقي بتوجيه أمريكي مثلما ذكر ذلك الحاج المهندس.

هنا رأيت الحاج المهندس بصورة مختلفة عما عهدنا منه، لم أرها طيلة المرحلة التي عرفته بها، كانت أعصابه متوترة جداً، وهو يتحدث معهم ويذكر ابنائهم

الذين ينعمون بخيرات العراق بفضل دماء الشهداء الذين يحاولون اليوم الإساءة له، والمساومة عليه ونسيانه.

ولما شعر الحاج المهندس بنفسه، وأنّه كان متوتر الأعصاب شرع إلى قراءة بعض الآيات القرآنية في كتاب الله العزيز، حينها التقطت له هذه الصورة.

انتهى الحاج المهندس من قراءة القرآن الكريم، ثمّ شرع بكتابة رسالة نصية إلى رئيس الوزراء (حيدر العبادي) آنذاك، وهذا نص الرسالة التي أرسالها الحاج المهندس بكتاب رسمي إلى حيدر العبادي، كما أرسل نسخة منها إلى كل من:

رئيس مجلس النواب، رئيس التحالف الوطني، رئيس اللجنة المالية في مجلس النواب.

نص الرسالة:

سيادة رئيس الوزراء.

لماذا يبقى تسليح الحشد بهذا المستوى؟

لماذا يتم حرمان الحشد من العجلات المدرعة القتالية، الناقلات والهمرات عدا القليل جداً والذي حصل عليه الحشد بطريقة أو بأخرى؟

لماذا يترك المتطوّعون، بحسب تعريفكم، ليواجهوا مفخّخات وصواريخ وأسلحة العدو بأجسامهم الغضّة ومعظمهم شباب في العشرينات من العمر؟

لماذا يتم حرمانهم من وسائل كشف العبوات وتفجيرها؟ لماذا... ولماذا...؟

طلبي من سيادتكم، هو أن يتم إعادة النظر بالميزانية الخاصة بالحشد، وإعادة النظر بالإدارة الحالية للمعركة فمن الضروري أن تكون لكم هيئة ركن حقيقية تضم الدفاع والداخلية والحشد، أو قيادة عمليات مشتركة تقوم بإعداد وتوزيع الأموال والإمكانيات والأسلحة والأعتدة بحسب

متطلبات المعركة ولمن يحارب دون تفريق وتبعيض، مع تفعيل دور الوزارات والمحافظات وإشراكها؛ لأنَّها تملك إمكانيات يجب توظيفها لخدمة المعركة.

جمال جعفر محمد علي

(أبو مهدي المهندس)

٢٠١٥/١٠/٢٠

التقطت هذه الصورة للحاج المهندس أثناء كتابة الرسالة لرئيس الوزراء.

وبعد الانتهاء من كتابة الرسالة أعطاها إلى الأخ النائب أحمد الأسدي، الذي كان في حينها الناطق الرسمي باسم الحشد الشعبي، وكان حاضراً

كل من الأخ العزيز الحاج مهنّد العقابي والحاج العزيز أبو عقيل الكاظمي والسيّد الشهيد محمّد رضا الجابري، أثناء الإتصال الهاتفي للحاج المهندس وكتابة الرسالة.

بعد إجراء المكالمات الثلاثة وكتابة الرسالة التي وصلت للسيّد رئيس الوزراء، تحرّكت الأطراف السياسية لتهدئة الحاج أبي مهدي المهندس، لكي يتراجع عن القرارات التي هدّد باتخاذها إن بقي الوضع على ما هو عليه، ففي اليوم الثاني ورد إليه إتصال من شخص لا أعلم اسمه، لكن كنيته كانت ابو ب/ر، واستعلمت من طريقة كلام الحاج المهندس معه أنّ لهذا الرجل مكانة خاصة، وحينها كنّا في السيارة متوجّهين من معسكر سبايكر إلى قضاء بيجي، وحينما أخبر السيّد الشهيد الجابري للحاج المهندس عن شخصية المتصل، وضعت يدي على الكامرة وسجّلت ما دار بينهما، وهذا نصه:

عزيزي أبو ب/ر:

خل يبطل من عدنه خل يشتغل للأمريكان، ماله علاقه بينه بويه.

حبيبي ماله علاقه بينه هو ضابط يروح يبلّغ للضباط مو إلي أريده.

انه اعرف م/ع إعلامي وخبير ومسيطر ويفتهم وين جاي يوجه الإعلام مالته.

قلت له افتهمك كلش زين شنو جاي تسوي، وانته تفهم شنو جاي تسوي.

يا اخي بطلوا من عدنه قلت له لا تجيبونه بالطاري.

شلكم علاقة بينه.

هذا (س) صاحبكم، هذا لا يجيب طاري الحشد على لسانه ما أريد من عنده شيء، خل يحجي على التحالف الدولي خل يحجي على الأمريكان، خل يمسح كاشي عدهم بس لا يجيب اسمنه، مالنه علاقه.

ما رايدين منه شيء.

يعني فوق المعركة وفوق القتل وفوق الدم، يجولي ناس من هذا المستوى السخيف يسيطرون علينه.

هذا مو أول الطريق هذا آخر الطريق قلبي.

احنه صارلنه سنة ونص نقاتل بتكريت شوهونه، دمرونه تدمير كل هذا الدم يا أخي ما رايدين منهم شيء.

لا يجيبون اسمنه هذا (س) الي عدكم لا يجيب اسمنه، خل يكعد ابيته.

ما أريد إعلام حكومي مال أمريكا، إعلام مال أمريكان، يا أخي أنتم واضحة عدكم القضية ممعقولة انت متعرف القصة؟

صححوه.

صححوا، لا واضحة لا يلصق الأمريكي بيه.

يريد يبلغ للتحالف الدولي خل يبلغ لا يجيبه ويه الحشد، لا يجب اسم الحشد، لو يحجي للأمريكان لو يحجي للحشد.

يريد يبلّغ للتحالف الدولي هو والتحالف الدولي إلى جهنّم، أني شلي علاقه.

حبيبي خلية إعلام حربي خلوه الأمريكان، للسيطرة علينا، وتحويلنا إلى ميليشات وحرامية، وهذا (س) جاي يساعد وعضو فاعل بالموضوع.

ضم راسه البارحة يكلي مالي علاقة.

بويه جاي احجي بشكل واضح وصريح، لا يلصقون الأمريكي بيه، مالي علاقه بالأمريكان.

بويه محددين بالبيانات، حاطّين اسم التحالف كبلي ووراي، بالتحديد الحشد الشعبي ماله حق يحجي.

الناطق ماله حق يحجي، مشوهين الصورة بطريقة عجيبة غريبة، خوية واضحة عندي انه مجاي اتأذه على فد شيء، انه لو ماكو عمليات وماكو دم ما احجي.

واضح أنّه إعلام مسيّر إلى ذاك الإتجاه، واضح الجماعة يشتغلون بخلية إعلام أمريكية مشتركة.

تسمعني أبو ب/ر، واضح بويه واضح.

كله ويامن تكعد هذا (س) البطل، إلي صاير خبير عسكري كله ويامن تكعد، سياساتك منين تاخذها؟

شلون تقبلون انتم المجاهدين يصرفون دم بهل الطريقة؟

بويه ذوله يشتغلون عملاء خل يوخرون.

(س) والله العظيم .... إذا جاب اسم الحشد الشعبي على لسانه خل يحجي للأمريكان.

طبعاً على خلية الإعلام الحربي الأمريكية وعلى العراقية التي تعمل للأمريكان.

واضحة عندي خلية إعلام حربي الأمريكان يسوقوه.

وواحد منهم هذا (س) إلي عدكم الآن يشتغل عند الأمريكان.

الو ... الو... .

لـم تنتـهِ المكالمـة الهاتفيـة، لكـن اقترابنـا مـن قضـاء بيجـي قُطـع الإتصـال؛ لأنَّ الإتصـالات لـم تكـن تعمـل فـي تلـك المدينـة بسـبب تخريبهـا مـن قبـل داعش.

وبعـد هـذه المكالمـات الهاتفيـة، التـي اسـتمرت أكثـر مـن ثمـان وأربعـين سـاعة، تغيّـر جـزء مـن الإعـلام الموجّـه، الـذي كـان يـدار بأيـدي أمريكيـة، وأصـبح يـذكر القليـل مـن تضـحيات الحشـد الشـعبي، التـي يراهـا حتـى البصير.

الصلاة في أوقاتها:

إنّ الصور التي التقطتها للشهيد القائد المهندس أثناء أداء الصلاة كانت كثيرة وفي أماكن متنوعة، واغلبها كانت في سوح القتال، منها الحادثة التي ذكرتها تحت عنوان (استهداف المهندس)، حينما أطلقوا النار علينا في الفيديو المعروف؛ إذ كان الحاج المهندس يستعد لأداء الصلاة وهو على مسافة قريبة جداً من العدو.

وأحياناً حينما أرى الحاج المهندس يفترش سجادته للصلاة من دون أن يفصله عن العدو سوى أمتار قليلة، أقول: إنّ في ذلك خطراً عليه، حتى وإن حان موعد الصلاة فبإمكانه أن يؤجّل الأداء ساعة واحدة أو أقلّ من ذلك لحين الابتعاد عن مكان الخطر، لكن هذا القول كان في

داخلي فقط، فالحقيقة هي أنّ الحاج المهندس حينما يسمع صوت الآذان يصدح، يقول: "**بويه وين سجادتي والتربة؟**"

وفي أغلب الأحيان يفترش غطاء الرأس الذي يرتديه، أو ما يُسمى (الشماغ) محلياً، لأداء الصلاة عليه.

التقطت له هذه الصورة التي أمامكم أثناء عمليات تحرير مصفى بيجي، وكان في وقتها يصلي صلاة الظهر.

فحينما افترش الحاج أبو مهدي المهندس شماغه على الأرض ووقف ليؤدي الصلاة، كان العدو يبعد عنّا أمتاراً قليلة، وأية رشقة نارٍ أو

صاروخ من الممكن أن يُنهي حياتنا، ونحن على سجادة الصلاة، لكنّه كان يصرّ على إقامة الصلاة في وقتها مهما كانت الظروف.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٠م، التقطت هذه الصور في منطقة الصينية؛ إذ افترشت للحاج المهندس "شماغي" أنا ليؤدّي عليه صلاة المغرب.

كنّا نقف خلف خط الصدّ المباشر، فلا يفصل بيننا وبين العدو سوى ساتر ترابي فقط، وحينما أخبر أحد المجاهدين الشهيد القائد المهندس:

حجي نرجع إلى مقر العمليات وهناك نصلّي؟!"

بعدما رفع الأذان لأداء الصلاة، أجابه الحاج المهندس:

لا بويه عزيزي، هنا أصلّي يم ولدي، وهنا اتعشه وياهم اليوم.

ثـمّ أقـام الأخ المجاهـد فرقـد الجعفـري الأذان، وقمنـا لأداء الصـلاة جماعـة بإمامـة الحـاج المهنـدس، وحـين انتهـت الصـلاة افتـرش الأرض لـيجلس على التراب مع المجاهدين، وقال لهم:

بويه شنو عشاكم الليلة؟ اتضيفونه لو لا؟

ففـي ذلـك الليـل الـدامس رأيـت الابتسـامة والفـرح مـلأ تلـك الوجـوه الطيبـة حينمـا سـمعوا أنّ الحـاج المهنـدس سـيبقى معهـم لكـي يتنـاول العشـاء، ثـمّ افترشـنا الأرض جميعـاً وتناولنـا الطعـام مـع المجاهـدين، وكـان الطعـام حينها شوربة مع صمون بارد وعصير البرتقال.

قسـماً بـالله لـم أرَ الحـاج المهنـدس قـد تصنّع الأكـل معهـم، أو أنّـه شـاركهم الطعـام لغايـة مـا، بـل كـان جالسـاً بكـل سـرور وسـط المجاهـدين، وكـان يأكـل الطعـام برحابـة صـدر حتـى شـبع، أمّـا مَـن جلـس قريبـاً منـه فكانـت لـه الحصّـة الكبـرى مـن الأكـل؛ لأنّ الشـهيد كـان يتقاسـم طعامـه مـع مَـن يجلس بجانبه وهو يمزح مع الجميع.

إنّ هـذا السـلوك الملتـزم لأداء الصـلاة فـي وقتهـا وإن كـان صـوت الرصـاص قريبـاً، لـم يصـدر مـن القائـد المهنـدس فـي قضـاء بيجـي، أو فـي ناحيـة الصـينية، بـل كـرّر ذلـك فـي تكريـت وسـامراء وفـي كـلّ سـوح القتـال

التي يرفع فيها الأذان ويحين موعد أداء الصلاة، ففي إحدى الفيديوهات التي صوّرت للحاج المهندس، وهو في جامع (١٧ رمضان) في بغداد، الذي يُعدّ من مساجد الأخوة من أهل السنّة[١]، فلمّا سمع الحاج المهندس صوت الآذان يرفع من منارة الجامع، وقف هو ومَن يرافقه من الإخوة المجاهدين لإقامة الصلاة، وحينما دخل إلى حرم الجامع لم يسعفه الوقت ليقف خلف إمام الجامع ويأتمّ به، فصلّى صلاته بشكل انفرادي، ولمّا انتهى من الصلاة ذهب وألقى السلام على إمام الجامع ومن كان يصلّي خلفه، في حين رحّب به الإمام، قال له الحاج المهندس: **نحن سمعنا صوت الأذان وجئنا لكي نصلّي خلفكم لكن الوقت لم يدركنا.**

فأجاب الشيخ: "حجّينا لنا الشرف أن تصلّوا خلفنا".

لم تكن هذه الرسالة الأولى أو الأخيرة التي أوصلها الحاج المهندس إلى أبنائه من أجل المواظبة على أوقات الصلاة، فما أن يحين وقت الصلاة فلا يهمه المكان سواء أكان مسجداً أم حسينية أم كنيسة، فكل البيوت التي بنيت لله يصلّى فيها لله.

١- لا أحبذ الأحاديث الطائفية إطلاقًا؛ فنحن جميعًا مسلمون، أو بالأحرى عراقيون؛ لكن الغاية من ذكر هذه القصة، وهذا الجامع، ولمن يتبع، هو لنبذ الطائفية وإيصال رسالة للطائفيين مفادها (قائد المقاومة الإسلامية الشيعية يصلّي في جامع سني).

والله منذ اليوم الأوّل الذي عرفت فيه الحاج أبا مهدي المهندس لم أره قد أخّر الصلاة ولو لدقيقة واحدة مهما كان المكان أو الزمان.

حتى وإن كانوا دواعش:

في إحدى الجلسات مع الأصدقاء كنا نتحدّث عن الإخطاء في الرماية، وما هو حكم الناس العزّل الذين يسكنون المناطق المراد تحريرها إن حصل لهم مكروه؟ فطال الحديث حتى ردّ أحد الأصدقاء الجالسين، فقال: "عزيزي ماذا تريد أن نفعل لهم؟ هل تريد أن نوصي الإطلاقات قبل إطلاقها كي لا تصيب أحداً؟"

فقلت لهم: إن بقينا على هذا الحديث لم ننتهِ حتى الصباح الباكر، فبعضكم يقول "لا يجوز" وآخرين يقولون "يجوز"، وبكل الأحوال نحن هنا لسنا من أهل الاختصاص لنجيب عن تلك التساؤلات، لكنّي سأنقل لكم بكلّ أمانة ما دار في غرفة عمليات قضاء بيجي.

حيث كنت حينها مع الحاج المهندس، وكان في غرفة العمليات عدد من الأخوة المجاهدين ومنهم احد القادة الميدانيين في هيئة الحشد الشعبي، فحينما كان الحاج المهندس يشاهد الاستطلاع الجوي عبر الشاشات، كان القائد الميداني يشرح له عن بعض النقاط في المنطقة، وأثناء الاستطلاع تمّ رصد عجلات تتجوّل داخل المدينة، وهي التي تركها أهلها منذ عام كامل وهي واقعة بشكل تام بيد تنظيم داعش، فسأل الحاج المهندس القائد الميداني عن تلك العجلات، فذكر له أنّ العدو قام بتكتيك جديد وحيلة أخرى، فقال الحاج المهندس: **ماذا فعل؟**

فأجاب القائد: حجي منذ أيام تم رصد عجلات نوع بيك آب وأخرى نوع كيا حمل، مغطّاة (بجادر) لكي يوهمنا الدواعش أنّها سيارات مدنية حتى لا تقع هدفاً لنيراننا، لكننا لم نعطِ أي أمر إلى الآن بالتعامل معها حتى استعلم منكم ما يجب علينا القيام به؟

فقال الحاج المهندس: **عزيزي (.....) بحسب معلوماتك المتوافرة، ما هي نسبة عائدية هذه العجلات للدواعش؟**

أجاب القائد: حاج بنسبة ٩٨٪ - ٩٩٪، لأنّه ليس معقولاً أن يبقى في المدينة مدنيين وهي تحت هذا القصف الصاروخي، وكذلك انعدام الحياة فيها، فهي منذ عام كامل بلا ماء ولا كهرباء.

قال الحاج المهندس: **يعني الآن حسب معلوماتك ٩٨٪ دواعش؟**

أجاب القائد: نعم حجي، وبقناعتي الشخصية ١٠٠٪ لأنَّه كما ذكرت لك من المستحيل يبقى شخص مدني بالمدينة على قيد الحياة، وكذلك بحسب معلومات مصادرنا الخاصة فيها والاستطلاع الجوي والميداني لم نرصد أي حركة لمدنيين داخلها، ونحن نحاصرها منذ عام كامل، فهذه ليست سوى خطة من خطط العدو لكي يسهّلوا على أنفسهم التنقل بين محاورهم وهم يضعون هذا (الجادر) على عجلاتهم.

بقي الحاج المهندس صامتاً لمدّة تتراوح بين خمس إلى عشر دقائق، ولم يجب على شيء ولم يعطِ أي أمر، حتى وضع المسبحة على طاولة الإجتماع وقال:

عزيزي (.....) أنا شخصياً مقتنع بحديثك وما تفضلت به ١٠٠٪، لكن وكما أنت تعرف نحن هنا لنحرر الناس من هؤلاء القتلة الذين يدّعون الإسلام وهو بريء منهم، لذا نحن هنا نمثّل الدين الإسلامي المحمّدي الأصيل الذي لا يظلم ولا يقتل، كذلك

توصيات المرجعيّة (حفظهم الله) لنا في أن لا يراق دم بريء حتى وإن كان عن طريق الخطأ، لذلك أقول لك إن نسبة ٢٪ كافية لي كي أتجنّب قصفهم مهما كان.

انتهى حديث الحاج المهندس في غرفة العمليات، وعدت لحديثي مع الأصدقاء فرأيتهم في صمت عجيب عندما سمعوا ردّ الحاج المهندس الذي نقلته لهم، وهم يعلمون جيداً عندما أنقل لهم حديثاً أو موقفاً عن الحاج المهندس، فهذا يعني إنّي كنت شاهدًا فيه ولست ناقلاً له، فقلت لهم: في هذا الموقف أتذكر حتى أنفاس الحاج المهندس التي كان يتنفسها في ذلك اليوم، كما أتذكر عشرات المواقف والأوامر للحاج المهندس وهو يوصي بالحذر الشديد من الأخطاء العسكرية التي قد تسبب خطراً على حياة الأبرياء.

وسمعت منه هذا الكلام لعشرات المرّات: **هؤلاء الناس الذين يعيشون هنا عانوا من الإرهاب أكثر ممّا عانيناه نحن وكذلك ليس لهم القدرة على مواجهتهم وتحرير مدنهم، فنحن قوّة عسكرية مدربة معها آلاف الآليات العسكرية ولدينا غطاء جوّي يوفّره لنا طيران الجيش العراقي، وفي بعض الأحيان ـ وأنتم تعلمون جيداً ـ نبقى لأيام وليالي ونعطي عشرات الشهداء كي**

نستطيع تحرير مدينة واحدة، فكيف لهؤلاء الفقراء أن يحرّروا مدينتهم وأغلبهم من الفلاّحين البسطاء الذين لا يهتمّون كثيرًا للأمور العقائدية وكذلك السياسية؟!

اعلموا جيداً نحن هنا من أجل تحرير هؤلاء الناس لا أن نكون عبئاً عليهم يوماً ما.

رحل منا الحاج المهندس شهيداً وترك لنا منهاجاً يضمّ آلاف الوصايا والمواقف لنسير عليها، ومَن سار على نهج المهندس وخُلُقه سيدرك الشهادة بوجه وقلب أبيض كما أدركها الشهيد القائد الحاج أبو مهدي المهندس.

بويه يمكن طال شعري؟

لا يخفى أنّ الحاج أبا مهدي المهندس وأمثاله لا قرين لهم، لذا أنقل هذا الموقف للتعرف على تواضع الرجل، ولست بصدد المقارنة مع غيره مطلقاً، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢١م تحديداً في معسكر سبايكر التقطت هذه الصورة للحاج المهندس.

وقد يستغرب بعضهم من نشرها، وربما يجد بعض الآخر لا داعي لها، لكنني كتبت هذا الموقف مع هذه الصورة ليطّلع الناس على أدقّ تفاصيل حياة هذا القائد العظيم، إذ يعرف أكثركم أنّ أغلب القادة العسكريين وقادة السياسة لهم حلاّقهم الشخصي يتابع إطلالتهم الخاصة، ومنهم مَن عيّن هذا الحلاّق بوظيفة خاصة ليبقى دائماً قريباً

منهم، وآخرين يطلبون الحلاّق إلى منزلهم ويدفعون له لقاء ذلك أجوراً خاصة، لكن الصورة التي أمامكم تتحدّث عن نفسها، فهي خالية من الخيار الأول والأخير، فالحاج المهندس إذا أراد ترتيب شعره قال: **نادوا لي الأخ هاشم**، وهو الصديق المجاهد هاشم عريبي، السائق الشخصي للحاج المهندس؛ يُجيد هاشم فن الحلاقة هواية؛ لذلك تجده دائماً يضع معدات الحلاقة في عجلته، والحاج المهندس كثيراً ما يبقى في ساحات الجهاد لأسابيع وربّما تتعدّى الشهر، فكلما طال شعره قال: **بويه شوفلنه الأخ هاشم وين، يمكن شعري طولان؟** وهذا المسألة لا تقتصر على جبهات القتال، أو في أيام الحرب فقط، بل حتى حينما نكون في بغداد، وهو يمارس حياته الطبيعية، فإذا احتاج الحاج المهندس لحلاقة شعره، فإنه يُنادي هاشم.

عطر البارود:

في العام ٢٠١٥م قمتُ بإنشاء صفحة على الفيس بوك تحت عنوان (محبي الحاج أبي مهدي المهندس) من دون أن يعلم الحاج المهندس شخصياً بمن يقف وراء هذا الحساب، والذي كان يدار من قبل المحبّين فعلاً، أما عملها فكان نشر الصور الحربية والإنسانية للحاج المهندس.

ولمّا كنت أنا مصوّره الشخصي، فأغلب الصور التي أنشرها على الصفحة التقطها بهاتفي لتكون سريعة النشر، وكنت خائفاً جداً من أن يعلم الحاج المهندس أنّي أنا مَن يقف وراء هذه الصفحة، لأنني على يقين أنّه إذا علم بذلك سيطلب مني غلقها فوراً، وسألني ذات مرة: **لمن هذا الحساب؟** فقلت له: لمحبي أبي مهدي المهندس.

صمت ولم يعلق على كلامي بشيء، وكنت أنا صادقاً فيما قلت؛ لأنني فعلاً من محبي الحاج المهندس، ورغبتي في العمل على هذه الصفحة هو محبتي له، ثمّ أخبرت الأخ الحاج مهنّد العقابي إني قمت بإنشاء هذه الصفحة، فابتسم وقال: كنت على يقين من ذلك؛ لأنَّ الصور التي تنشر هي للزيارات التي تتواجد فيها أنت، لذلك كنتُ متأكداً أنك وراءها، لكن كُن حذراً أن لا يعلم الحاج المهندس بالأمر، وإلاّ سيطلب إيقافها مهما كان، فهو سألني عنها إن كانت تعود لنا، فقلت له:

لا، فنحن نعلم جيداً رفضك انشاء حساب شخصي أو صفحة خاصة، والصفحة تحمل اسم (محبّو الحاج أبي مهدي المهندس)، وهذا يعني أنّه عمل تطوعي من قبل محبّيك، فقلت: وأنا أجبته كذلك حينما سألني عنها، ثمّ استمر عملي في إدارة الصفحة التي وصل متابعيها إلى أكثر من (٣٠٠) ألف شخص من غير أيّ دعم أو إعلان مموّل، وكان بعض الأصدقاء يعرفون إني من أدير هذه الصفحة، منهم: الأخ العزيز الحاج أبو عقيل الكاظمي، والأخ المجاهد سجاد رسول، الذي كان يرسل لي بعض الصور إن لم يكن واجبي مع الحاج المهندس، وكانت تصلني عشرات الرسائل يومياً على بريد الصفحة، بعضها فيها مظلومية وأخرى فيها طلبات، والكثير منها "إن كنت قريباً من الحاج المهندس ابلغه السلام عنّا"، وأغلب الرسائل التي تحتاج لمتابعة بخصوص جرحى الحشد الشعبي وعوائل الشهداء، كنت أرسل لهم رقم هاتف الحاج أبو عقيل الكاظمي، بعد أن استأذنته وقد رحّب بالأمر خدمة للمجاهدين.

وذات يوم وصلتني رسالة غريبة جداً يسأل فيها المرسل: هل فعلاً أنّ الحاج أبو مهدي المهندس يصل إلى خطوط الصد مع العدو، وكذلك الحاج قاسم سليماني؟ فأجبته: نعم. فقال: هل أنت شاهدتهم بعينك؟

فأرسلت له عدداً من الفيديوهات والصور التي يظهر فيها حضور الحاج المهندس في خطوط الصد.

فردّ علي: أنا من محبيهم وكذلك من عوائل الشهداء، لكني خائف جداً من أن نفتقدهم كما افتقدنا القائد الحاج أبا منتظر المحمداوي، والقائد الحاج مهدي الكناني.

فقلت له: عندما يكون القائد بين جنوده في خط الصد ويسير بينهم بكل تواضع، فإنّ هذا يعني أنَّ النصر سيكون حليفهم؛ لذلك ترى أنّ الحاج أبا مهدي المهندس والحاج قاسم سليماني في خطوط الصد مع

المجاهدين ولم يكتفوا بدور القيادة فقط، ففي بعض الحالات تراهم يخدمون المجاهدين بأنفسهم.

عزيزي ح/ ر، القادة (أبو مهدي والحاج قاسم) اعتادوا على شمّ عطر البارود لذلك لا يمكن أن تراهم يديرون معركة من خلف المكاتب والشاشات.

فردّ علي: إذا أخبرتك بأمر، هل توصله إلى الحاج المهندس؟

قلت له: نعم أوصله إليه، لكن حسبما أراه مناسباً.

فكتب لي: أبلغ الحاج المهندس مني السلام، وقل له إن ح/ر يقول: لماذا لا تشمون رائحة البارود وأنتم في مكاتبكم، خوفاً من أن نفتقدكم؟! أنا يعتصر قلبي خوفاً حينما أراكم في خطوط الصد.

ابتسمت لطلبه ووعدته بأنّي سأوصل طلبه للحاج المهندس.

وفي يوم ٢٠١٥/١٠/٢١م، تحديداً كنّا نستقل عجلة منطلقين من معسكر سبايكر متوجّهين إلى قضاء بيجي، وكنت جالساً خلف الحاج المهندس في العجلة، فتذكرت هذه الرسالة التي مضى عليها أيام، فقلت للحاج المهندس: حجينا، الأخ ح/ر يبلغك السلام وهو من ذوي الشهداء، ويقول: أنا خائف على الحاج المهندس والحاج قاسم سليماني، ويعتصر قلبي حينما أراهم في خطوط الصد خوفاً عليهم،

فقلت له: الحجاج اعتادوا على شمّ عطر البارود، فقال لي: نأتي لهم بالبارود إلى مكاتبهم وليديروا المعارك من هناك.

ابتسم الحاج، وهو يحدثني قائلاً: **عزيزي سلّم لي عليه كثيراً وقل له: " لو كان استشمام البارود في المكاتب نافعاً لما ذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، ولا قطعت كفوف أبي الفضل العباس عليه السلام، ولا سُبيت زينب عليها السلام إلى الشام، فالعزّة والفخر أن تكون بين جنودك، لا أن تقودهم من خلف المكاتب**، انتهى حديث الحاج المهندس، وبقيت صامتاً حين سمعت الرد الذي أوصلته بأمانة للأخ ح/ر.

بعد عام كامل من إنشاء الحساب علم الحاج المهندس أنني وبعض المحبين من الأصدقاء أسّسنا هذه الصفحة، ولم يطلب منا إيقافها؛ لأنّه تم إيقاف الصفحة من قبل إدارة الفيس بوك المتعسفة بذريعة محاربة الإرهاب.

ها بويه:

هي الكلمة الأكثر استعمالاً وسماعاً، طيلة الزمن الذي قضيته مع الحاج المهندس، والأخوة المجاهدين كلّهم الذين التقوا به سواء في الجبهات أم في أي مكان آخر، فإن سألتهم ما هي أوّل كلمة سمعتها من الحاج المهندس، سيقولون: كلمة (بويه)، فهي كلمة بقيت عالقة في ذهن كلّ محبيه.

فحينما تتحرّر أية مدينة، ويُعلن فيها النصر، يتجوّل الحاج المهندس ميدانياً من قاطع إلى آخر، برفقة الأخوة من القادة الميدانين، وحين ندخل المحور يترجّل من العجلة ليسير بين المجاهدين، فتشعر أنّه لا وجود لقائد بين جنوده، بل هو مثل الأب بين أبناءه، بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، فيسأل أحد المجاهدين، قائلاً:

ها بويه تعال خَلّ أبوسك، أنت من أي مدينة؟

فأجاب: حجي من البصرة.

المهندس: **منين من البصرة؟**

فقال: من قضاء المدَيْنَه.

المهندس: **بويه أنتم أهل المدينه بعد ما عدكم مكان ترفعون بي صور الشهداء، ليش هنا موجودين؟**

فأجاب: حجي إحنه وياك للموت.

المهندس: **أنت شنو اسمك؟**

فقال: محمد البصراوي.

المهندس: **تعال أبو جاسم خل أبوسك، وأرفع الشفقة خل اشوف شعرك الحلو، أي هذا الشعر الزين وين مزين شعرك عند أي حلاق أريد اسوي شعري مثلك؟! شتكول اسوي مثل شعرك، لو أني رجال شايب وأنتم شباب؟**

هكذا يبدأ حديثه مع كلّ الجنود من بداية الجولة حتى نهايتها، سواء أكان المقاتل في الحشد الشعبي أم أي صنف من أصناف القوات الأمنية، لا يترك أحداً خلفه، ولا يقبل بالمصافحة فقط بل يقبّلهم الواحد تلو الآخر، ويعانق أغلب أولئك المجاهدين بقوة.

في هذه الصورة التي التقطتها في عمليات تحرير قرية البو عجيل.

اجتمع المجاهدون جميعاً حوله ليلتقطوا بعض الصور للذكرى، وحينما أردنا الذهاب إلى محور آخر جاء أحدهم نحو عجلة الحاج المهندس ولهفة الشوق تملأ عينيه، وهو يقول: حجي.

المهندس: **ها بويه ليش فحطان؟**

المجاهد: حجي أريد آخذ صورة وياك.

المهندس: **بويه أني أخذ صورة وياك، أنت مجاهد.**

المجاهد: بس حجي خليك بالسيارة وأني أصور وياك.

المهندس: **لا، يا عزيزي أنت، شلون ابقى بالسيارة، أني أنزل وأخذ صورة وياك.**

نظرت إلى عيني المجاهد فرأيت الدمعة واقفة على أعتاب عينيه المتعبات من سهر الليل، وتستمر الجولة فكنا نسير بين المجاهدين، حتى أوقفنا ضابط برتبة ملازم أوّل، لا أعلم إلى أي صنف ينتمي، لكن أظنّه كان في صنف الدروع، طلب من الحاج المهندس أن يلتقط معه صورة وهو يقبّله، ابتسم الحاج وقال له: **شنو تنطيني إذا بستك وأنت تصورني؟ قابل أبوسك ابلاش.**

ابتسم الضابط وقال له: بالخدمة حجي.

المهندس: **بويه أني اتشرف أبوسك أنت بطل من أبطالنا الشجعان.**

فأخذت له الصورة بكامرتي، وهو كلّف أحد أصدقائه فصوّره بهاتفه الجوال.

عشرات المواقف والصور ما زالت عالقة في ذاكرتي من تلك الحرب التي قاد انتصاراتها الحاج المهندس ورفاقه المجاهدون.

وفي عمليات تحرير مصفى بيجي كنا نتجوّل ميدانياً مع الحاج المهندس بين القطعات المنتشرة ضمن محور العمليات، وبينما نحن نسير بين المجاهدين أوقفنا صوت أحد المجاهدين الذي غطّى تراب المعركة ملامح وجهه الكريم، فقال: حجي أبو مهدي.

فأجاب المهندس: **ها بويه خادمك أبو مهدي گول.**

المجاهد: حجي أريدك تشرب لبن وياي.

ابتسم الحاج وهو يرى قنينة اللبن في يده، وقال له: اشرب اللبن لكن بشرط أن تشرب أنت معي وتشرب قبلي وأنا أشرب بعدك، ثمّ أخذ أبو مهدي قنينة اللبن وأعادها له، فشرب المجاهد أولاً، وبعدها تناولها الحاج بكل سرور، فبان الفرحُ على وجه ذلك المجاهد الكريم وهو يشارك الحاج المهندس قنينة اللبن.

هذه الصورة قُطِعَت من ذلك الفيديو الذي سجلته للحاج أبي مهدي مع المجاهد وهما يشربان اللبن، لست أدري من أيّة مدينة كان هذا الشاب المجاهد؟ وهل هو على قيد الحياة أو رحل شهيداً؟، لكنّني على يقين

أنّ هـذا الشـاب إن بقـي حيـاً فهـو سـيتذكر هـذا الموقـف فـي كـل مـرة مـع أهله وأصدقاءه وسيكون مداعاة فخر له.

قولوا لهم سيدي:

لا يخفى أنّ فتوى الجهاد الكفائي، هي التي أسّست ذلك الحشد المبارك، والذين لبّوا نداء هذه الفتوى المباركة هم المجاهدون؛ لذلك لم يؤسّس الحشد الشعبي على بعض السياقات العسكرية، مثل: التحية بين المراتب والضباط، وكذلك مثل: كلمة "سيّدي" لمن هو أعلى منك رتبة، فضلاً عن أننا في هيئة الحشد الشعبي وحتى لحظة كتابة هذه السطور لا توجد لدينا رتب ومراتب، فجميعنا نحمل صفة واحدة من عامل الخدمات حتى قائد القوة، وكذلك تتساوى الرواتب في الحشد الشعبي فالجندي والقائد يستلمان المقدار نفسه.

فنحن مجاهدون، لا نقول لقادتنا "سيّدي"، ولم يقبلوا منّا أن نناديهم بها، فمثلاً: عندما كنت أخاطب الحاج أبو مهدي أقول له: "حجينا العزيز" أو "حجي"، وهذا الاسم أو القول مستعمل لدى جميع المجاهدين مع قادتهم. لكنّنا كنّا نشعر بالحرج أمام القادة العسكريين الذين تجمعنا بهم العمليات العسكرية، وهم يحملون المرسوم الجمهوري، فأنا شخصياً كنت أنادي الشخص بالرتبة العسكرية التي يحملها، مثل: "سيادة العميد" أو "سيادة اللواء"، وهكذا، لكن الحاج أبو مهدي كان له رأي آخر بهذا الخصوص، فعندما كنا نسير في جولة ميدانية معه ومعنا أي قائد عسكري كان الحاج أبو مهدي يناديهم بـ"سيّدي".

التقطت هذه الصورة بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٢م، تحديداً في جبال مكحول، ونحن في جولة ميدانية لزيارة القواطع العسكرية.

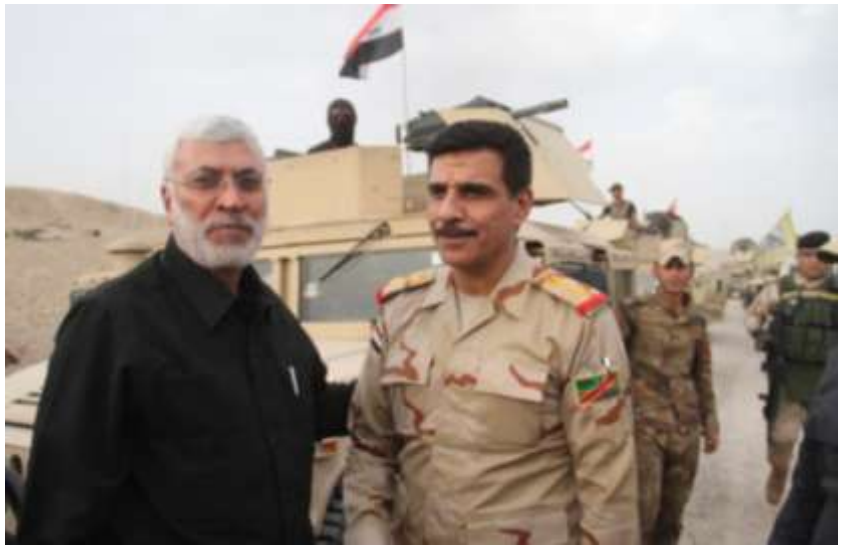

كان برفقة الحاج المهندس الفريق الركن عبد الأمير يار الله[١]، ثمّ وصلنا إلى طريق ضيّق لا يتسع إلاّ لشخص واحد فقط، توقّف الحاج المهندس وفسح المجال للفريق يار الله، ليتقدّم أمامه، لكن الفريق يار الله رفض أن يتقدّم قبل الحاج المهندس، حتى بقي الحاج أبو مهدي مُمسكاً بيده ويلِحّ عليه أن يدخل الفريق أولاً، وكان يناديه بـ "**سيّدي**".

١- الفريق الركن عبد الأمير يار الله اللامي نائب القائد العام للقوات المسلحة في قيادة عمليات القوات المشتركة، والذي يشغل حالياً منصب رئيس أركان الجيش العراقي.

فضلاً عن أنّ الفريق يار الله رفض كلمة "سيّدي" من الحاج أبي مهدي، متسائلاً: لماذا تقول لي سيّدي؟

فقال المهندس: **أنت نائب القائد العام للقوات المسلحة، ونحن جنود تحت إمرة رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة، لذلك نقول لك سيّدي.**

بقي الفريق الركن يار الله صامتاً، ولم يتحدّث بشيء، إلاّ أنّه في مجلس عزاء الشهيد القائد المهندس سُئِل الفريق الركن يار الله اللامي عن أبي مهدي المهندس، فأجاب:

"خسارة كبيرة، أبو مهدي ما يتعوّض ولا تنوصف الخسارة إلي خسرناها، أبو مهدي مو بس للحشد هو للعراق كلّه، هو الأخ والقائد والساند والداعم، هو إلي كان لامنه كلنا [أي: الذي كان يجمعنا سوية] في ساحات المعارك، جيش وشرطة إتحادية وحشد ومكافحة إرهاب، ومن نشعر نوگع بمشكله نگول ماكو غير أبو مهدي يحلها، فأگول لعنة الله على من قتله، لكن هنيئاً له هذه الشهادة ونتمنى أن نبقى نمشي على هذا الدرب، درب الشهداء، أبو مهدي خسارة للعراق بأجمعه، وأنا من أكثر الناس إلي تضررت بإستشهاد أبو مهدي المهندس؛ لأنّ كان العون والأخ والقائد إلي".

حين تشاهدون هذا اللقاء القصير على برنامج اليوتيوب تعرفون مدى مصداقية هذا الكلام، وكمية الحزن التي تسيطر على ملامح هذا الفريق المجاهد، وهذا الكلام لم يكن كلام الفريق عبد الأمير يار الله فقط، بل كان كلام جميع القادة الذين عملوا مع أبي مهدي في ساحات الجهاد.

فحينما كان الحاج المهندس يناديهم بـ"سيّدي"، فهدفه إيصال رسالة لهم مفادها "أنا هنا معكم لست القائد، وإنّما أنا أبو مهدي ذلك الجندي المقاتل الذي يراكم أنتم القادة وأنا أعمل تحت أمركم"؛ لأنّ الهدف الأكثر أهمية عند الحاج المهندس، هو تحرير العراق وليس من يكون القائد.

مهرجان الناصرية:

منذ الأيام الأولى لرفقتي مع الحاج المهندس علمت وتيقّنت أنّ هذا الرجل يتّصف بالذكاء ويتمتّع بذهن عجيب، ليس على المستوى العسكري والإداري فحسب، وإنّما على مستوى قراءة ملامح وجوه الناس أيضاً، فحينما يستقبل شخصاً مُعيّناً، أو يجلس في اجتماعٍ ما، كان يبقى صامتاً تماماً ومستعملاً تلك المسبحة فقط، حتى يظنّ بعضهم أنّ الحاج المهندس لا ينتبه لما يدور حوله، أو أنّ هناك شيئاً ما يشغل تفكيره عمّا نتحدّث فيه لكن في الواقع الذي اطّلعت عليه هو أنّ الحاج أبا مهدي المهندس لم يستمع للحديث فحسب، بل كان ينظر بإمعان إلى وجوه الجالسين جميعاً، فكأنّه يحفظ كلَّ ملامحهم أثناء حديثهم.

ففي مهرجان الشهداء الذي يُقام سنوياً في محافظة ذي قار "الناصرية" لبّى الحاج المهندس دعوة القائمين على المهرجان وحضر بين عوائل الشهداء والجرحى وأبنائه المجاهدين في تلك المدينة الكريمة، وكان من المتعارف في المهرجانات كلّها يبقى الحاج المهندس جالساً في مكانه بعد إنتهاء المهرجان حتى يستمع إلى كلّ مَن يقصده بشيءٍ ما، وبين زخم الناس، الذي يُشكّل أغلبيتهم محبّو الحاج المهندس ممّن جاؤوا ليلتقطوا الصور معه، أو لإلقاء التحية والسلام، فجاء شاب جميل الملامح يحمل في يده طلباً، ويريد من الحاج المهندس أن يضع عليه إمضاءه، فقرأ أبو مهدي ذلك الطلب الذي كان مضمونه:

"إنّ هذا المجاهد لم يتم نشره على ملاك هيئة الحشد الشعبي؛ لصغر سنه؛ إذ كان عمره حينها ستة عشر عاماً، وهو يخالف قانون الهيئة، التي لا تقبل أي متطوع دون سنّ الثامنة عشر، وهو ما ينص عليه القانون العراقي أيضاً.

فقرأ الحاج المهندس الطلب ورفع رأسه لينظر إلى هذا المجاهد الصغير وكلّه خجل، فماذا يقول له؟ القانون صريح، وهذا المجاهد على ساتر القتال منذ عامين حيث كان عمره حينما حمل السلاح أربعة عشر عاماً، وهو يحمل السلاح دفاعاً عن الأرض والعِرض.

وقبل أن يردّ عليه الحاج المهندس قال ذلك الشاب:

حجي سواء وقعت أو ما وقعت والعبّاس ما أرجع للبيت.

ابتسم الحاج في وجهه وقبّله مرَّةً أخرى وقال له:

والعبّاس ما أرجعك للبيت، وراح أكتب إلى آمر اللواء أن يصرفلك راتب شهري من نثرية اللواء حتى يصير عمرك ١٨ سنة، وبعدها نكون قادرين على نَشْرِكَ بالحشد الشعبي.

رحّب المجاهد الصغير بكلام صاحب الشيبة المباركة، وذهب وهو يحمل معه ذلك الكتاب وعيناه يملئهما الفرح والسرور، بينما عاد الحاج المهندس لقراءة ما تبقى من الطلبات حتى أنهى كلّ شيء مع انتهاء ضوء الشمس.

مضى عامان حتى عاد الحاج المهندس إلى تلك المدينة، وإلى ذات المهرجان السنويّ، وحين انتهى المهرجان وقف ذلك الشاب بين الواقفين بيده طلبه القديم الجديد ينتظر امضاء القائد، وحين وصل طلبه إلى الحاج المهندس أخذ يقرأه من دون أن يرفع رأسه ليرى مَن هو صاحب الطلب، لكنّه سمع صاحبه يقول: حاج أنا جئتك قبل عامين، ولم توقّع على إضافتي للحشد الشعبي، فأجاب الحاج المهندس:

عزيزي فلان جئتني وكان عمرك حينها ١٦ عاماً، وكتبت لك كتاباً إلى آمر اللواء كي يصرف لك راتباً شهرياً، أما الآن فصار عمرك مقبولاً وسأوقّع لك كتابك حالاً.

تعجّب ذاك المجاهد فبقيَ صامتاً، لا يدري ما يقول، ثمّ وضع الحاج المهندس إمضاءه على الطلبات جميعها، بما فيها طلب ذلك الشاب المجاهد، وعند هذه الحادثة أبتسم الحاج أبو عقيل الكاظمي، وهو يستمع لكلام الحاج أبي مهدي المهندس، وقال: أنا على يقين أنّ الحاج المهندس لا ينسى شيء، وفي بعض الأحيان يتناسى كي لا يحرج أمام بعض الناس، ولو سألته عن إحدى العمليات العسكرية فسيجيبك عن كمية الذخيرة التي استُخدمت فيها.

العوائل النازحة:

لا يمكن لأيّ شخص أن يصف للمتلقّي تلك الأخلاق الفاضلة التي يتحلّى بها الحاج المهندس، وربّما تعجز الكلمات لوصف مقدار تلك الإنسانية التي كان يحملها المهندس، فحينما أراه يفترش الأرض أمام النازحين، ويتكلّم معهم ويمازحهم، كنت أظنّ أنّ ما يفعله، هو فن من فنون الحرب، وتلاعب بعواطف الناس؛ لكسب الرضا، لكن سرعان ما تبيّن أنّ ذلك الظن كان خاطئاً.

فحينما نتوجّه إلى أية عملية عسكرية في أية مدينة، يكون الاهتمام الأوّل للحاج المهندس أن يطّلع على كامل المدينة جواً وبراً؛ لتتّضح له المعالم ولتكون الصورة واضحة عنده أثناء العمليات العسكرية، وكان من أوائل الأسئلة التي يطرحها على القادة الميدانين، هو قوله:

"بويه تأكدتوا زين ماكو عوائل بالمدينة؟"

وإذا كان ردّ القائد الميداني بـ"نعم حجي أكو بعض العوائل القليلة جداً".

فيكون أمر الحاج المهندس: **عزيزي بلّغ ربعك بطريقة أو أخرى أن يوصلون رسالة للعوائل على أنّ هناك عمليات قادمة، وكذلك بلّغوا الإعلام أن يخبر الناس حول قدوم القوات لتحرير المدينة، حتى يتسنّى للناس الخروج قبل شروعنا بالعمليات، كذلك خلّي**

الأخوة بالقوّة الجوّية ينشرون مناشير على المدينة ويبلّغون الناس احنه هنا لحمايتهم والحفاظ عليهم من كلّ مكروه.

ثمّ يتم العمل سريعاً بتوجيهات الحاج المهندس وتبقى العملية القادمة رهينة أمر مدير الاستخبارات الذي يبلّغ الحاج المهندس حول وجود عوائل في المدينة من عدمه، ثمّ يبدأ العمل على تحديد ساعة الصفر، وحينما تحدّد ساعة انطلاق العملية، يلتقي الحاج أبو مهدي بآمري القوات المقاتلة التي تسند إليها مهام التنفيذ، وأوّل ما يبدأ به في ذلك اللقاء الحديث عن تلك العوائل العالقة بيننا وبين العدو، وهذا ملخّص موجز من توصيات الحاج المهندس للمجاهدين والمقاتلين في الحفاظ على أرواح الناس وممتلكاتها، يقول الحاج: "**أعزائي نحن هنا لنحرّر الناس لا لقتلهم، حتى وإن تأخرت العمليات لأيام أو أشهر اعملوا على أن لا يراق أي دم بريء ولا يحدث أي خطأ مهما بلغ، وإن اتخذ العدو من الناس ملاذاً للفرار أتركوهم ولا تصيبوا أي إنسان بريء بذريعة قتل العدو.**

واعملوا على أن تتركوا مخرجاً للناس ليخرجوا من خلاله، وتعاملوا معهم كما تتعاملون مع عوائلكم، وقدّموا لهم كلَّ شيء،

كذلك أخبرت القوات الأمنية وقائد العمليات أن يحظر باصات لتنقل العوائل العالقة هنا إلى مكان أكثر أماناً.

أنا أعلم جيداً أنَّكم أهل دين ومعرفة بأحكام الجهاد ربما أكثر مني وأنا هنا لست بصدد تعليمكم ماذا تفعلون غداً، لكن أذكّركم فقط، وكذلك أخبركم إنَّ هؤلاء الناس صاروا ضحية، فهم لا حول لهم ولا قوة، إن جاءهم العدو قالوا "نحن معكم" وإن جئناهم نحن قالوا "معكم"، ونحن نعمل على أن يكونوا مع أنفسهم؛ لأنّ عملنا الحقيقي هو تحريرهم من الإرهاب وإعادتهم إلى مدنهم، لا نحاسبهم على شيء وكذلك لا نجبرهم على شيء آخر مهما كان.

وتذكّروا جيداً توصيات المرجعيّة وهي أن نحافظ على الناس ونعيدهم إلى أماكن سكناهم آمنين، كذلك يا أعزائي أبلغوا شبابكم المجاهدين بعدم رفع أي علم أو راية داخل المدن المحرَّرة، وكذلك امنعوا رفع أي صورة مهما كانت سواء لإمام أو مرجع، ولا تكتبوا أيّ شعارات على جدارن المدينة".

هكذا انتهى الإجتماع، إلاّ أنّ وصايا الحاج المهندس لم تنتهِ، ففي كلّ العمليات العسكرية التي لم يكن هو بعيد عن واقعها في الميدان يكرّر تلك الوصايا، وحين يبدأ الشروع بتنفيذ العمليات نجد الحاج المهندس منذ الساعات الأولى واقفاً عند أوّل الحجابات وينظر ميدانياً إلى محور العمليات.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٣م، تحديداً في عمليات تحرير سلسلة جبال مكحول ومنطقة الفتحة ضمن عمليات تحرير بيجي، نزحت المئات من العوائل نحو قواتنا، وما إن سَمِع الحاج المهندس عبر النداء، بأنّ هناك عوائل نازحة تتّجه صوب محاور عملياتنا، حتى أصرّ على أن ينتظرهم شخصياً في المكان الذي خصّص لهم لكي يتسنّى للقوات الأمنية نقلهم الى المخيّمات، وحينما وصلوا وجلسوا على التراب افترش المهندس التراب معهم، وصار يتحدّث اليهم ويمازحهم ليطمئنوا وتطمئن عوائلهم التي سمعت عشرات القصص المزيفة عن الحشد الشعبي والقوات الأمنية، وراح يلاعب الأطفال الواحد تلو الآخر، ويسألهم عن أسمائهم وأعمارهم وفي أي مرحلة دراسية يدرسون، وأجلسهم جميعاً حوله، فأخذتُ لهم هذه الصورة، التي فيها الحاج المهندس جالسٌ معهم.

يقيناً أنّه يرفض مثل هذه الصور، فهو مراراً وتكراراً يرفض التصوير مع النازحين لكي لا يحرجهم أمام الكاميرات، فضلاً عن أنَّ أغلب النازحين من العشائر الريفية والذين يخجلون بشكل عام من أن يتم تصويرهم لأيّ سبب كان.

وربما يسأل بعضكم لماذا صوّرت هذه الصورة للحاج مع علمك التام بعدم قبوله؟

والجواب هو: إنني هنا مع الحاج المهندس أعمل بتكليف شرعي قبل أن يكون عسكرياً، وتكليفي هو أن ألتقط الصور للحاج المهندس حتى وإن رفض،

حيث إنّ أكثر الصور التي كانت تصوّر هي للأرشيف العسكري؛ كي يبقى محفوظاً للتاريخ والأجيال القادمة.

في هذا المكان المعرّض للشمس افترش المهندس التراب ليتحدّث مع العوائل ويشرح لهم لماذا قدمنا إلى هنا وما هو واجبنا اتجاههم؛ ولم يخلُ حديثه معهم من المزاح والملاطفة، منه قوله:

"بويه عزيزي انت كم عمرك؟ انت مشيب مثلي تعال هنا اجلس يمي احنه الشياب نجلس سوى".

ليكمل حديثه بعد ذلك قائلاً:

"عمي عزيزي بما إنَّك انت كبيرهم وشيخهم أنه أتحدّث معك، نحن هنا لنرفع عنكم الظلم، نحن لم نأتِ لنأخذ شيئاً من أرضكم ولا من مزارعكم ولا من ممتلكاتكم، نحن هنا بتكليف من المرجعيّة الدينيّة، وتكليفنا هو أن نقف معكم ونموت دفاعاً عنكم، طمئن أهلك وناسك أنّ هؤلاء الناس الذين يحملون السلاح الآن يحملونه من أجلكم أنتم، لا من أجل أنفسهم، أتينا من البصرة والعمارة وكربلاء وتركنا منازلنا وأطفالنا كي نحمي بيوتكم وأطفالكم، وعرضكم هو عرضنا".

وكانوا يستقبلون حديث الحاج أبي مهدي معهم بالقُبل تارة، وأخرى بالشكر، فضلاً عن شكر المجاهدين لحسن التعامل معهم، وكيف قدموا لهم الماء والطعام.

ثمّ وقف الحاج المهندس وحيّاهم مرَّةً أخرى وألقى عليهم السلام لكي يتركهم، وقبل أن يغادر المكان أمسك بيد أحد الأخوة المجاهدين المكلّفين بأمر النازحين، وقال له:

بويه ابقه وياهم حتى يوصلون للمخيّمات وإذا احتاجوا أي شيء قدّمه انته إلهم، تعامل وياهم مثل ما تتعامل ويه عائلتك، احنه هنا نمثّل المرجعيّة، ما أريد أي خطأ مهما كان.

حدثني صديقي أخ الشهيد:

فقال: مضى كثير على شهادة أخي ولم يطرق بابَنا أحدٌ، ولم يسأل عن عائلته أين استقرّ بهم النوى؟ وأنا بحكم عملي في هيئة الحشد الشعبي، ألتقي وبشكل دوري كلّ سبعة أيام بالشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس، وكل اللقاءات تخص العمل الأمني والعسكري، وكان يأتي في ذهني مرّات متعددة بأنّ أحدّث الحاج المهندس عن عائلة أخي الشهيد، الذي يعرفه الحاج شخصياً، لكن الحياء يمنعني، ويعترني الخجل بحكم العمر والمنصب، فضلاً عن أنّ عائلة الشهيد تسكن الإيجار ومرتب الشهيد لا يكفي ليسد مصرف العائلة الكبيرة.

وذات يوم ونحن منشغلون بإدارة أحد الملفات الأمنية، بادر الحاج المهندس بتوجيه السؤال لي، وهو السؤال عن عائلة أخي الشهيد، وعن وضعهم المادي، وهل هم بحاجة لشيء؟

لم أجبه، وبقيت أحدّث نفسي هل أقول له: إنّ العائلة ما زالت تسكن الإيجار أو أبقى صامتاً؟ فكرَّر عليَّ السؤال مرَّةً أخرى، قائلاً: **حجي عزيزي شوف عائلة أخوك شنو تحتاج گلّي أي شيء يحتاجون وأنا بالخدمة**. فقلت له: حجي من حيث الراتب والمصرف الحمد لله، أنا وباقي أخوتي مع مرتب الشهيد نسد لهم المصرف، لكن أكو شي آخر وهو أنّ عائلة الشهيد ما تزال تسكن الإيجار وأولاده كبروا

ويستحقون الزواج، ولا يرغبون بالزواج وهم ما زالوا يسكنون داراً مستأجرة.

أجاب الحاج المهندس فوراً بلا أي مقدمة: **كم سعر البيت في المنطقة التي تسكنها عائلة الشهيد الآن؟**

قلت له: والله لا أعلم؛ لكن سأتصل بابنه الأكبر.

فاتصلت به، لكنّه كان قد ترك هاتفه عند أحد أصدقائه وذهب هو إلى مكان آخر.

كرّرت الإتصال كثيراً دون أن يجيبني أحد، فقلت للحاج: إنّ ابن أخي لا يجيب على الهاتف.

فردّ علي: **مو مشكله انت أسأل وتأكد لي كم سعر البيت وبلغني.**

ولما أعاد ابن أخي الإتصال بي في وقت متأخر من الليل فأخبرني بأنّ سعر البيت في المنطقة التي يسكنونها الآن يتراوح من خمسة وخمسين مليون دينار إلى خمسة وستين مليون، أي ما يقارب خمسون ألف دولاراً أمريكي.

وبعد أيام التقيت بالحاج المهندس مرَّة أخرى وقبل أن أبدأ بالسلام عليه بادرني بسؤال:

حاج عزيزي عرفت كم سعر البيت؟

فأجبته: نعم حجي من (٥٥ مليون إلى ٦٥ مليون).

فأخرج الحاج المهندس ورقة وكتب فيها "**إلى الأخ (.....)، أرجو تسليم الأخ الحاج (.....) مبلغ وقدره (٥٥) مليون دينار**".

استلمت الورقة التي عليها إمضاء الحاج المهندس، وهممت بالخروج ولكن قبل أن أصل إلى الباب نادى عليّ قائلاً: **حجي أعطيني الورقة**، فأعطيته الورقة، فأخذها وشطب على الرقم وكتب بدلاً عنه (٦٥ مليون) وبينما هو يكتب قال لي:

انت قلت من (٥٥ مليون إلى ٦٥ مليون) وانه كتبت لك(٥٥) فقط، فقد تجدون بيتاً بـ (٦٥) مليون وحتماً لا يوجد لدى عائلة الشهيد (١٠) مليون.

لم أتفوّه بشيء، وبقيت صامتاً، فما عساي أن أقول لهذا الإنسان الذي يحمل في داخله هموم الشهداء وعوائلهم.

ولمّا ذهبت لإستلام المبلغ المالي، فإنني استلمته من رجل لم أشاهده في الحشد الشعبي، ولم أره في مكتب الحاج المهندس.

وعندما سألت المُعرّف الذي كان يرافقني من قبل الحاج المهندس، أخبرني أنّ هذا الرجل مؤتمن من قبل الحاج المهندس على الأموال التي تأتي له من تجار كبار لكي تُصرف على عوائل الشهداء، وأغلبهم

طلبوا من الحاج المهندس أن تصرف هذه الأموال لشراء بيوت لعوائل الشهداء الذين لا يمتلكون بيتاً، وأنت لم تكن الأوّل وحتماً لست الأخير.

ثمّ أخذنا الحديث عن الشهداء وعوائلهم، وعن أثر الدولة وحكومتها في إدارة هذا الملف، وقلت له: إنّ الأمور الإدارية والمالية والرواتب التي يتقاضوها شهداء الحشد الشعبي أفضل من غيرهم، ويعود هذا الفضل للحاج المهندس الذي أشرف بنفسه وبيده الكريمة على إنهاء هذا الملف، وأن يكون راتب شهيد الحشد الشعبي ومخصصاته من أفضل المخصّصات.

فأخبرني ذلك الشخص المُعرّف أنّه في أحد المهرجانات أوقفت زوجة أحد الشهداء الحاج المهندس وأخبرته أنّها هي وأبناء الشهيد الستة يسكنون الإيجار في منطقة عشوائية في أطراف بغداد، فأجابها الحاج المهندس "شنو تأمرين أختي؟ أنا بالخدمة وبخدمة الشهداء وعوائلهم".

فقالت: أنا أريد أي سكن ملك، ولو كان في العشوائيات، المهم أن يكون سقف آمن لي ولأولادي.

فنظر الحاج إلى أحد الأخوة المجاهدين المُكلّفين بمتابعة شؤون الشهداء وعوائلهم، فقال له: **تواصلوا مع الأخت وخذوا عنوانها بالكامل لكي تتواصلوا معهم.**

فأخذنا كلّ التفاصيل، والغريب في الأمر أنّه تبيّن فيما بعد بأنّ زوجها الشهيد ليس من شهداء الحشد الشعبي بل هو من شهداء الشرطة الإتحادية التابعة لوزارة الداخلية.

ولمّا انتهى المهرجان ورجعنا إلى المكتب، فهناك أخبرنا الحاج المهندس بأنّ زوجة الشهيد التي أوقفتنا اليوم كانت زوجة أحد شهداء وزارة الداخلية ولم يكن زوجها في الحشد الشعبي.

فردَّ علينا الحاج بانزعاج من عبارة (لم يكن في الحشد الشعبي)، قائلاً:

ماذا يعني أنّه ليس من شهداء الحشد الشعبي، أليس شهيداً؟ أليس له عائلة وأبناء؟ أين قتل؟ ألم يقتل دفاعاً عنّا وعنكم؟ نسيتم أنفسكم أنّنا كنّا في جبهة واحدة نقاتل عدوّاً واحداً؟ اذهبوا إليهم اليوم وأخبروني بأدق التفاصيل عن وضعهم، واسألوا عن سعر البيت في المناطق السكنية القريبة منهم، على أن يكون البيت طابو رسمي.

فذهبنا إليهم وكان ظنّهم أنّنا لن نذهب اليهم؛ لأنّه سبق وأن وعدهم الكثير من الشخصيات السياسية والعسكرية وأخلفوا بوعدهم، وخلال أيام تمكّنا من شراء

بيت لهم وكان بيتاً جديداً وفي مكان جيد، وسلّمناهم مبلغاً من المال من أجل تأثيث المنزل.

ولما أخبرني صديقي الحاج أخو الشهيد عن قصة أخيه وقصة عائلة الشهيد من قوات الشرطة الإتحادية، كنّا حينها في يوم أربعين الشهيد القائد الحاج المهندس في النجف الأشرف نقف بالقرب قبره الطاهر، وقبل أن نغادر المكان قال لي: تعال لنزور قبر السيد الشهيد محمّد رضا الجابري، فهو مَن كان معي، ونقل لي حديث عائلة الشهيد الذي استشهد ضمن قوات الشرطة الإتحادية.

وقفنا على قبر الجابري وقرأنا الفاتحة، فأخبرت صديقي بأنّ العراق لم يكن محظوظاً ليحفظ لنا أولئك الرجال الذين يحبّهم الله وعباده الصالحون.

كان حسينياً:

لا ريب أنَّ طريق الجهاد الذي سلكه الشهيد الحاج المهندس منذ أربعين عاماً، لو لم يكن هو نفسه طريق كربلاء لما تمكّن من تحقيق هذا النصر، وتلك الشهادة.

ولا يخفى أنَّ تحرير العراق من براثن الدواعش استمرَّ لأكثر من أربع سنوات، فمرّت علينا في تلك السنوات ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام أربع مرّات، وكذلك الزيارة الأربعينية، فكنّا نرى الحاج المهندس منذ اليوم الأوّل لشهر محرم الحرام يرتدي السواد، ولا يتركه حتى بداية ربيع الأوّل، ولا يكتفي بلبس السواد حزناً على ما حلّ بالإمام الحسين عليه السلام وعائلته في معركة الطف، بل كان يطلب منّا ونحن وسط المعارك والعمليات أن تُقام مجالس العزاء حزناً على الإمام عليه السلام، فيكون مجلس العزاء عامراً بحضور المجاهدين، ويقام بعده مجلس لطم على مصاب أبي الأحرار، وهذا يستمر منذ اليوم الأوّل من شهر محرّم الحرام حتى اليوم العاشر منه، وهو يوم شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ويحرص الحاج المهندس في تلك الأيام العشر أن يكون أوّل الحاضرين وآخر المغادرين.

ولمّا ترى صلابة قلب الحاج المهندس في الحرب، وتلك الشجاعة التي يتمتّع بها تقول في نفسك: إنّ هذا الرجل لم يخلق إلاّ للحرب، وكأنَّه خُلق بقلبٍ من الحديد؛ اذ لا يخشى شيئاً، لكن هذا الظن لن يطول كثيراً فحينما نرى المهندس في المجلس الحسيني المقام في موقع العمليات نجده يختلف عن ذلك المهندس الذي نراه في سوح الحرب والعمليات، فمنذ أن يبدأ الخطيب بالقراءة ويقرأ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، ويبيّن ما جرى على أبي الفضل العبّاس عليه السلام في الطف ينهار المهندس باكياً وكأنَّه جالس في الطف ويرى بعينه ما لا نراه.

التقطت هذه الصورة بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٣م، تحديداً في قضاء بيجي.

إذ أقام المجاهدون مجلس عزاء في اليوم التاسع من شهر محرّم الحرام، وهو اليوم المخصّص لإحياء ذكر عليّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام، ودُعي الحاج المهندس ليلقي فيهم كلمة تخصّ هذا اليوم المبارك، ألقى الحاج المهندس تلك الكلمة التي كتبتها هنا تحت عنوان: "سننتقم من السعودية".

ولم ينتهِ عزاء الإمام الحسين عليه السلام، بل ولم يقتصر على هذه العمليات فقط، بل أصبح يقام في كلّ مواقع العمليات، ففي عمليات تحرير قضاء الحويجة[١]، إذ توافق ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام، فأقام المجاهدون في تلك المدينة التي يراد تحريرها، مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وبعد انتهاء المجلس قاموا بتأدية شعيرة "ركضة طويرج"[٢].

في كل تلك المجالس التي كانت تقام وعلى مدار سنوات التحرير، كان الحاج المهندس يرفع يديه عند كل مجلس ليدعو ربّه، ولا نعلم ماذا يطلب منه سبحانه، لكننا حينما رأينا جثمانه الطاهر مقطّعاً إرباً إرباً تيقّنا أنّ ذلك الدعاء كان "اللهم ارزقني شهادة مثل شهادة سيّدي ومولاي الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العبّاس عليهما السلام".

١- قضاء الحويجة هو أحد اقضية محافظة كركوك، احتلّها داعش سنة ٢٠١٤م، وحرّر على يد الحشد الشعبي سنة ٢٠١٦م.

٢- ركضة طويرج من الشعائر الحسينية التي تقام في يوم العاشر من المحرّم.

سننتقم من السعودية:

في التاسع من شهر محرّم الحرام الموافق ٢٠١٥/١٠/٢٣م، وجّه الحاج أبو مهدي المهندس، وهو في قضاء بيجي، رسالةً إلى أمريكا والدول المتخلّفة (المتحالفة معها) مثلما أسماها، وجاءت هذه الكلمة بعد جمع عشرات الأدلة القاطعة، التي تدين الإحتلال الأمريكي في العراق بتقديم المساعدات إلى داعش، منها: السلاح والطعام، الذي وجد مع الدواعش، وهو مصنّع خصيصاً للجيش الأمريكي، فضلاً عن تكرار عمليات التشويش على إتصالات الحشد الشعبي في سوح العمليات مراراً، وضرب الكاميرات الحرارية التي نصبت لتعقب عناصر داعش.

طلب الحاج المهندس في حينها من الحكومة العراقية الخروج من صمتهم والتحدّث إلى الإعلام عن تلك الأدلة وإدانة الإحتلال الأمريكي، لكن لا مجيب، فكأنّهم صُمٌّ، بُكمٌ، عُمي لا يرون ولا يسمعون.

سجّلتُ هذه الرسالة في أحد مساجد قضاء بيجي الذي أقام فيه المجاهدون مجلس شهادة عليّ الأكبر عليه السلام في اليوم المخصّص له من أيام شهر محرّم الحرام، وهذا نصّ حديث الحاج المهندس الذي قمتُ بتسجيله وتصويره: «**السلام عليك وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك**

وألقت برحلك، السلام عليك وعلى أولادك وعلى أبناء عمومتك، السلام عليك وعلى الشهداء وعلى النساء المسبيّات، السلام عليكم ما بقيت وبقي الليل والنهار، ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتكم.

السلام عليكم أيّها الأخوة الاعزاء، السلام عليكم يا شباب عليّ الأكبر، الذين واسيتم عليَّ الأكبر عليه السلام في جهادكم وجهودكم التي بذلتموها، فها هنا سُفكت دماؤكم، وها هنا قُطّعت وتقطّعت أوصال شبابنا، لا لشيء إلاّ لتحرير العراق من دنس هذه الزمرة الفاسدة، زمرة داعش ومَن ساندها من السياسيين والتكفيريين ودول المنطقة المتخلّفين.

بارك الله بكم وبجهودكم، كانت هذه الأرض كربلاء الثانية، وكنتم واقعاً أصحاب الحسين عليه السلام، أصحاب أبي الفضل العبّاس عليه السلام، في هذه الأرض اختلطت دماؤكم مع دماء أخوتكم من التشكيلات الأخرى، على هذه الأرض المقدّسة سُفكت دماؤنا وتقدّست بهذه الدماء، وتقدّست بالأشلاء المتقطّعة لشبابنا. قاومنا داعش على هذه الأرض لأشهر طويلة ما يعادل ستة أشهر وصمّمنا على الصمود وصمّمتم على البقاء بالرغم من قلّة العدّة والعدد، بل العدد كثير الحمد لله لقلّة العدّة.

مواجهة الشباب لداعش ومواجهة المفخّخات بصدورهم العارية، الذين لم يتجاوز أكثرهم العشرينات من عمره، فسطّرتم ملحمة عاشوراء مرَّةً أُخرى.

وفي يوم التاسع من عاشوراء نعاهد إمامنا الحسين عليه السلام، ونقول له: إن لم نكن قد عشنا بعصرك، فنحن لا زلنا في هذا العصر الممتد إلى يوم يبعثون عصر الإمام الحسين عليه السلام، بك ثُبت الدين وبك استمر، ومن دمك الطاهر نستمد العزم والهمّة والجهاد حتى ننهي كلَّ الزمرة الظالمة والفاسدة زمرة داعش ومَن يساعدها.

حقّقتم النصر، تحقّق نصرٌ كبير، كانت هذه كما يقول داعش، وكما يقول خليفتهم يزيد العصر ومن خلفه يزيديون كثيرون - لا أقصد الأزديين فهم من أقلياتنا المحترمة - بيجي الصامدة، فحقّقتم النصر وفتحنا فتحاً عظيماً، فتح الله على أيديكم فتحاً عظيماً، بفضل دماء الحسين عليه السلام وبفضل دماء عاشوراء، تحقّق هذا النصر العظيم.

فكّت هذه العقدة الكبيرة وفتحت أمامنا الموصل وفتحت أمامنا الأنبار، من هذا المكان سنتطلق إلى عاصمة داعش أينما كانت، لن نكتفي بالعراق فقط، لن نكتفي بمواجهة الجنود السعوديين هؤلاء الذين قتلوا الحجّاج[١].

هؤلاء الذين بأموالهم يتصوّرون أنّهم يعيدون الحكم الأموي، والله، والله سنتابعهم أينما كانوا، سنتابعهم في كلّ مكان يختبئون فيه، سنهدم قصورهم على رؤوسهم في الرياض وفي جدّة وفي كل مكان، سننتقم لدماء الشهداء الحجّاج سننتقم لكلّ قطرة دم أُريقت في العراق أو في سوريا أو في اليمن.

سننتقمُ من السعودية وسنحاسب الأمريكان، والله لن نسكت من الآن وصاعداً على الأمريكان، الإمام الحسين عليه السلام قال: "هيهات منّا الذلّة".

فلا يتصوّر السفير الأمريكي ولا يتصوّر الأمريكان ولا تتصوّر المخابرات الأمريكية أنّها تستطيع أن تديم حمّام الدم في العراق وفي سوريا واليمن.

١- يشير الحاج المهندس لحادثة قتل حجاج بيت الله الحرام في سنة ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ‍ق بيد الجنود السعوديين والتي راح ضحيتها أكثر من (٣٠٠ حاج)، وكان الحاج المهندس حاضراً في موسم الحج ذاك ضمن بعثة الحج الخاصة بعراقيي المهجر.

والله بهؤلاء الشباب بهذه العزيمة الحسينية سنوقف أمريكا، وسنوقف كلَّ أذنابها من العراقيين الذين يختبئون بالمكاتب، ويوجّهون إعلامنا ويوجّهون بعض السياسات، والله لن نبقيهم.

لبيّك يا حسين، لبيّك يا حسين، سنستمرّ في طريق الحسين عليه السلام، سنستمرّ في طريق أبي الفضل العبّاس، سنستمرّ في طريق عليّ الأكبر، وهذا يومه، سنستمرّ في هذا الطريق حتى إنجاز كامل التكليف الإلهي ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[1]، فما تحقّق من عند الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، ثبّت ذلك عبر عشرات السنين، قاومنا الأمريكان بأيدي خالية، اليوم أيدينا مملوءة، إن تسكتوا نسكت، أوقفوا تآمركم على العراق، أوقفوا دعمكم لكلّ الأنظمة المتخلّفة، هذه الأنظمة العفنة في السعودية وفي قطر وفي غيرها، لن يكون لهم أمان بعد اليوم، نَصرَكم الله بنصره وحفظكم بحفظه وإلى مزيد من الانتصارات، والحمد لله ربّ العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، في أمان الله».

١- الانفال: آية ١٠.

٢- محمد: آية ٧.

انتهت الكلمة وهتف الحاضرون من الشباب المجاهد بصوت واحد: "هيهات منّا الذّلة".

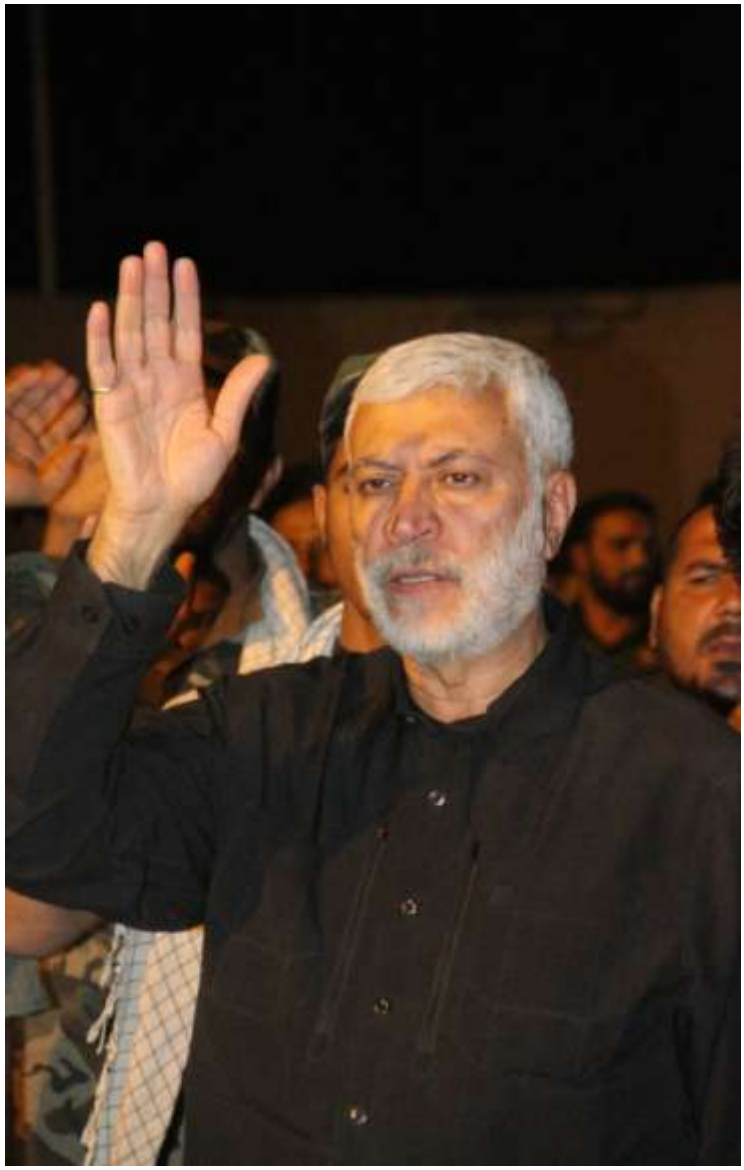

ربما ينال الشهادة غداً:

لم يمض الكثير على تأسيس هيئة الحشد الشعبي، وحين جاء أمر تشكيلها كانت قيادتنا المتمثّلة بالحاج المهندس في ساحات الحرب تقود معارك التحرير. لذلك فمن الطبيعي جداً أن تجد بعض المشاكل الإدارية والمالية التي تخص بعض المجاهدين، لكن هذه المشاكل التي أتحدث عنها الآن والتي كانت تخص نشر الأفراد وتنقلاتهم وأمورهم الإدارية وغيرها في العام الأوّل لتأسيس هذه الهيئة المباركة، لكن بين إدارة العمليات وتشكيل هيئة الحشد الشعبي استطاع الحاج الشهيد القائد أبو مهدي المهندس أن يحقّق تقدّماً كبيراً في إدارة الهيئة وتشكيلاتها حتى أصبحت هذه المؤسسة العسكرية من أفضل

المؤسسات في العراق إدارياً، وهذا كلّه بفضل الحاج المهندس ورجاله.

في كلّ العمليات العسكرية التي نكون فيها مع الحاج المهندس تكون هناك طلبات لبعض المجاهدين تختص بعضها بالأمور الإدارية وبعضها تكون إنسانية وما شابه ذلك، وسرعان ما يستجيب الحاج المهندس لتلك الطلبات كما وأنّ أكثر كلمة كنت أسمعها منه وهو يهمّش على طلباتهم: "**صار بويه، بالخدمة تفضل**".

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٤ تحديداً في جولة ميدانية مع الحاج المهندس في سلسلة جبال مكحول في محافظة صلاح الدين، أوقف أحد المجاهدين المرابطين على تلك الجبال الحاج أبا مهدي المهندس، ليقدّم له طلباً يطلب فيه أن يتم نشره على ملاك هيئة الحشد الشعبي، حيث إنّه لم ينشر منذ أشهر على ملاك اللواء بسبب خطأ إداري، لذلك فهو بحاجة لتوقيع ومتابعة مكتب الحاج المهندس حتى ينفذ الطلب.

وكالعادة أخذ الحاج المهندس ذلك الطلب وهمّش عليه بقلمه الأخضر الذي يستذكره الآن أغلب المجاهدين، وقال له: **صار بويه من عيوني، احسبه انتهى**.

أخذ الحاج أبو مهدي الطلب وسلّمه إلى أحد الأخوة الذين يعملون في مكتب الحاج المهندس ووظيفته هي متابعة طلبات المجاهدين وما يخصهم حتى إنهائها.

قائلاً له: **تابع هذا الأمر بنفسك، أريد إنهاءه اليوم.**

فرح هذا المجاهد حين سمع حديث الحاج المهندس وتشكّر منه كثيراً.

وكان ردّ أبي مهدي له: **عزيزي انت؛ بويه لا شكر على واجب، واجبنه هنا هو متابعة أموركم أنتم أصحاب فضل علينه.**

انسحب المجاهد إلى موقعه وأكملنا جولتنا في جبال مكحول.

مضت على هذه الحادثة بضعة أشهر، ليعود ذات المجاهد ويوقف الحاج المهندس ولكن هذه المرّة في قاطع عمليات جزيرة تكريت ليقول له هذا المجاهد المتعب من تلك الجزيرة وطقسها الحار: حجينا ذات يوم زرتنا إلى موقعنا العسكري في جبال مكحول وقدمت لك طلباً اطلب فيه اكمال عملية نشري على هذا اللواء، إلاّ أنّ الطلب لم ينفّذ إلى الآن ولم تصل أي إجابة على كتابي إلى إدارة اللواء، علماً أنني منذ عامٍ كاملٍ لم أستلم أي راتب!!

تغيّر لون وجه الحاج المهندس في تلك الأثناء وهو يستمع لحديث هذا المجاهد الذي أخذ الحاج أبو مهدي يده كي يقبلها معتذراً له عمّا حدث، ثم عاد وقبّله من رأسه وطلب منه الإعتذار لعدّة مرات حتى صرنا نظنّه جندياً يعتذر من القائد وليس العكس.

أخذ طلبه مجدداً مع رقم هاتفه، ووضعهما في جيبه وقال له: **قسماً بالله سأتابع هذا الطلب بنفسي، وسيتم صرف كل رواتبك منذ اليوم الأوّل الذي التحقت فيه للجهاد ضمن صفوف الحشد الشعبي، وهذا وعد.**

أكملنا واجبنا وعدنا إلى مقرّ إقامتنا في معسكر سبايكر، وطوال الطريق لم يتحدّث الحاج المهندس بشيء.

لكننا نعلم جيداً أنّ الحاج كيف سيتصرّف حال الغضب والتعب، فإنه إذا غضب ستجده صامتاً عن الحديث كما أنّه لا يستمع لأي حديث، وحين وصلنا إلى المكتب طلب الحاج المهندس من أحد الأخوة مناداة الأخ الذي سلّمه طلب ذلك المجاهد، وما إن جاء حتّى سأله أبو مهدي عن الطلب، نسي هذا الأخ عن أي طلب يتحدّث الحاج المهندس وحين ذكّره به تذكر أنّه قام بإرساله في البريد إلى مديرية المالية ولم يتابع الموضع بعدها.

فردّ عليه الحاج المهندس بغضب وعصبية: **انت واجبك متابعة الطلب، لا أن ترسله وتبقى تنتظر الجواب، أنا قلت لك حينها تابع الموضوع بنفسك، لماذا لم تنفّذ الأمر؟ تضحك على شيباتي انت؟!**

لا حجي العفو.

شنو لا والعفو، نحن مجاهدون ولسنا سياسيين كي نعطي وعداً ونخلف وعدنا. انت هنا تستلم راتب وأمورك مرتّبة، لكن ذلك

المجاهد الذي يقف الآن على الساتر لم يستلم أي راتب منذ عام كامل وأنت تنتظر الإجابة.

هذا المجاهد يقف في خط الصد وربما يستشهد غداً وهو لم يستلم حقوقه؟! ماذا نقول لله ونحن مسؤولون عنهم؟ هذه المرة الأولى والأخيرة التي يأتيكم فيها طلب من مجاهد ويترك في المكتب أو يهمل، كل طلبات المجاهدين تقدّم على الفور وتنجز ولكم كافة الصلاحيات لمتابعة أي أمر يخص طلبات المجاهدين أو عوائل الشهداء والجرحى.

بويه عزيزي، اعلم جيداً أننا هنا لكي نخدم هؤلاء الناس، لا لنستلم طلباتهم ونهملها في مكاتبنا.

هذا الرجل المجاهد إذا نال وسام الشهادة وعلمت أنك مقصر بحقه ستبقى تشعر بالندم طوال حياتك، لذلك تعامل مع كلّ المجاهدين على أساس أنّهم شهداء؛ لأنّهم مشروع شهادة ولا نعلم من منّا سينال الشهادة غداً.

وبالفعل أُقسم بالله تعالى بعد هذه الحادثة لم يبقَ أي طلب معلّقاً، بل حين يصل طلبٌ إلى المكتب أو ورقة عليها هامش الحاج أبي مهدي، يأخذها فوراً حتى ينهي أمرها.

ينقل لي صديقي المجاهد أمير معلّة هذا الموقف الذي كنت حاضراً فيه لكنّي لم أكن ملمّاً بكل تفاصيله، يقول أمير: حين قلت للحاج المهندس أنا أخو الشهيد القائد (علي معلّة)، ترك كل شيء وأخذ برأسي وقبّلني في جبيني، وقال لي: **ها بويه عزيزي قل ما تريد فأنا بالخدمة؟**

فأخبرته إني الأخ الوحيد للشهيد علي معلّة، ومنتسب في هيئة الحشد الشعبي / مديرية الدروع، ودوامي في محافظة الموصل وأنا أسكن في النجف الأشرف وعلماً أنني متزوّج ولدي عائلة وأرعى كذلك عائلة أخي الشهيد كما وأنّ أمي – والدة الشهيد – تعاني من أمراض مزمنة بعد فقدان أخي الكبير.

فردّ علي الحاج المهندس قائلاً: **هذا العراق كله كدامك، وين تريد أنقلك بأي مكان انت يعجبك وترتاح بي أخبرني عنه الآن؟**

بحثت عن ورقة وقلم فلم أجد سوى قلم، وفي نهاية القاعة وجدت ورقة مرميّة على الأرض، فقمت بقصّ جزء منها وكتبت عليها اسمي الكامل ومكان دوامي والمكان الذي أريد الإنتقال إليه، ومن ثم وقعتها وكتبت تحت اسمي "أخ الشهيد القائد علي معلّة".

أخذ الحاج المهندس الورقة منّي ووضعها في جيبه، دون أن يبلغني بشيء.

كنّا حينها في مهرجان الذكرى الأولى لرحيل الشهيد القائد الشيخ كريم الخاقاني[١]، في محافظة النجف الأشرف.

مرّ شهر ولم أبلّغ بشيء وكذلك لم يصل أي كتاب إلى دائرتي، فظننت بالحاج المهندس سوءاً، وقلت مع نفسي مرَّ شهرٌ ولم يصل الكتاب بعد، فهل يعقل أن يتأخر الكتاب عند الحاج المهندس لأكثر من شهر؟! أكيد لا يعقل، فهو أعلى شخص في الحشد الشعبي وإذا أراد شيئاً فسينجز خلال ساعات، لكنّه حتماً أهمل كتابي ونسيه.

أظن أنّ الله أراد أن يختبر صبري وهل أظن سوءاً بمن أحسن لي، فلم يمض الكثير من الشهر الثاني حتى جاءني ذلك الإتصال الذي أخبرني بضرورة مراجعة مديرية الإدارة لإستلام كتاب فك ارتباطي من مديريتي السابقة والإلتحاق إلى المكان الجديد.

وصلت إلى بغداد والفرحة لا تسعني، وحين وصلت مديرية الإدارة أدخلوني إلى مدير الإدارة، فقلت له: أنا ظننت بالحاج المهندس سوءاً، فقلت: إنّه قد أهمل كتابي حتماً.

١- الشهيد القائد كريم عبد الحسين ابراهيم امر اللواء الثاني في هيئة الحشد الشعبي ومدير مكتبها في محافظة النجف الاشرف وقائد عمليات شرق الانبار استشهد بتاريخ ٢٠١٨/٥/٥م اثناء تأدية الواجب.

فـردَّ عليّ مـدير الإدارة: أليسـت هـذه ورقتـك التـي كتبتهـا للحـاج المهندس.

نظرت إليها فإذا هي ذات الورقة الصغيرة التي كتبت فيها اسمي، فقلت له: نعم، هي ذاتها التي أعطيتها للحاج المهندس وقد وضعها في جيب قميصه الذي كان يرتديه.

قال: نعم سلّمها لي الحاج المهندس شخصياً وقال لي حينها: "سيدنا **أنجز هذا الكتاب سريعاً؛ لأنّ صاحب هذا الكتاب من ذوي الشهداء، ولا أريده أن يقول: إننا لم نفِ للشهداء وعوائلهم**".

حين سمعت كلام الحاج أبي مهدي المهندس واستلمت الكتاب بيدي شعرت بالخجل من نفسي، كما اعتراني الفرح والفخر حين عرفت مدى أهتمام الحاج المهندس بنا نحن ذوي الشهداء.

بلّغ السيد عادل عبد المهدي:

من المصاعب التي كان يواجهها الشهيد القائد أبو مهدي المهندس هي روتين بعض أصحاب القرار، فمراراً وتكراراً كان يقول: "هم جالسون في المكاتب ولا يعلمون ماذا نفعل هنا؟! وماذا نقدّم؟! وكأنَّ ما نقدمه ماء وليس دم! حتى الشباب الذين يستشهدون بعمر الورود لا يهمونهم كثيراً".

قبل الشروع بعمليات تحرير بيجي ومحيطها، طلب الحاج المهندس من وزير النفط آنذاك الدكتور عادل عبد المهدي أن يرسل لنا كادراً متخصّصاً من جهد الوزارة كي يقوموا بإنشاء ساتر ترابي يحيط بمصفى بيجي والصينية، حتى تتمكّن القوات من الصمود أمام هجمات العدو الذي نفّذ في يوم واحد(١٩) هجوماً بعجلات مفخّخة على كلّ محاور عمليات بيجي، وعرف هذا اليوم بيوم المفخّخات.

وبالفعل تقدّم أبطال الحشد الشعبي وتم تحرير قضاء بيجي بالكامل كما حرّروا مصفى الصينية ومصفى بيجي ومنطقة الـ (٦٠٠) حتى سلسلة جبال مكحول ومعمل الأسمدة.

في هذه العمليات المباركة التي كسر فيها ظهر العدو على يد أبطال الحشد الشعبي والقوات الأمنية، قدّمنا عشرات الشهداء والجرحى، ولم يقدّموا لنا كفّاً من التراب بحسب تعبير الحاج المهندس.

بعد هذه العمليات الدامية لم ترسل وزارة النفط آليّة واحدة كما تعهدوا للحاج المهندس قبل الشروع بعمليات التحرير.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٤ تحديداً في مقرّ عمليات المزرعة طلب الحاج المهندس من الأخ العزيز الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري أن يتّصل فوراً بالوزير.

عندما أتصل السيّد الجابري بالوزير أجاب وكيل الوزير قائلاً: "إنَّ السيد الوزير مشغول باجتماعٍ ما".

كنت أنا واقفاً عندما تكلّم الحاج المهندس مع وكيل وزير النفط ــ الذي أجهل اسمه ـ ولم أكتفِ بالوقوف فقط، بل رفعت كامرتي

وسجلت كلّ ما دار في تلك المكالمة بالصوت والصورة، وهذا نص ما تحدّث به الحاج المهندس مع وكيل وزير النفط:

"السلام عليكم سيادة الوكيل، بلغ أستاذ عادل گلّه يگول الحجي أبو مهدي خل يحط تراب گبالنه ما معقولة بس تتفرّجون علينه؟

جيبوا معداتكم يا أخي، نفط الشمال شيصخم كاعد، بي معدات عدكم (١٠-٢٠) مُعدّة (٣٠) مُعِدّة جيبولياهن خل يشتغلن أسبوعين، ثلاثة، منعوا قتل الشباب، أنتم مسؤولين أمام الله سبحانه وتعالى ليش گاعدين.

الدولة گاعد تتفرّج علينا، دولة گاعدة تتفرّج بويه، الوزراء گاعدين يتفرّجون، كلمن گاعد بقصره.

گله السيّد عادل من عندي، گله احنه منعبث، أولاً گله هاي حچايتك راح تثبت بالتاريخ، ثانياً تعالوا أوگفوا ويانه هذا المصفى مالتكم، مسؤوليتكم، ميصير گاعدين انتو كلمن بمكتبه واحنه گاعدين هنا نتذبّح، شباب صغار بعمر أولادكم جاي يتذبحون.

أي دزوا معداتكم يا أخي، آنه بالتواسيل جاي أتوسل بالدولة على ما تنطينه فد شيء، الله يرضى؟!

جيبولي مسؤول هندسة هنا، مو تجيبولي فد واحد يكتب تقارير تدزولي "أبو ميثم" مدري شسمه هنا بالأمن مالتكم يكتب تقارير، دزولي مسؤول هندسة مال الوزارة عنده صلاحيات، حبيبي دزلي مسؤول مشاريع عنده صلاحية خل يوصلي اليوم خل يلزملي القضية، هذا ما يصير احنه جاي نتذبح هنا.

موجود انه بالعمليات گاعد، وين طالع گاعد ما طالع من مكاني، عندي غرفة عمليات أستقر بيها، تليفوني ما يشتغل، عندي غرفة عمليات تگعدون بغرفة العمليات تنتظروني.

دزولي واحد مسؤول مشاريع يگعد يمي، عنده صلاحية يجيب بلدوزر يجيب لوري يجيبله سيارة، مو دازيلي مفتشين كاتبين على السيارات هدايا مدري شنو، شسوي بالهدايا، أني لا أريد بسكت ولا أريد غير البسكت، أريدلي ناس تحط تراب كدام المجاهدين، يا أخي ما يصير حرّرنا آلاف الكيلومترات ومحد يوگف ويانه، جيبلي مسؤول عمليات الوزارة، اعتبرونه شركة (بنغلادشية) (نيجيرية) توكفون وياها تنطوها دولارات، دوكفوا ويانه يا أخي فد ساعتين.

يلاّ أنتظركم، هذا عدكم مسؤول مشاريع خلي يجي، يجيب معداته ويجي.

أنه منتظر هنا، كل الناس تندل غرفة العمليات معروفه بالمزرعة.

انه موجود عزيزي غرفة العمليات موجودة يريد يجي ينتظرني ساعتين ثلاثة انه أجي وين أروح بين الخط وبين الغرفة ما رايح مكان آخر.

في أمان الله حبيبي، شكراً جزيلاً".

أنتهت المكالمة التي سجّلتها منذ الحرف الأوّل.

وكان يقف إلى جانب الحاج الشهيد أبو مهدي المهندس، السيد الشهيد محمد رضا الجابري والحاج أبو حوراء الأحمدي والسيد أبو منير الحيدري وبعض الأخوة المجاهدين الذين لا أعرف أسمائهم.

الاهتمام بالجرحى:

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٥م تحديداً في محافظة صلاح الدين زرنا برفقة الحاج المجاهد أبي مهدي المهندس مستشفى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف [١].

وفي هذه الزيارة تفقّد الحاج المهندس برفقة الدكتور المجاهد عليّ الخفّاف [٢] تلك المستشفى التي أعاد الحشد الشعبي تأهيلَها بعد أن تعرّضت للتخريب على يد تنظيم داعش الإرهابي.

١- مستشفى دجلة العسكري الذي أعاده الحشد الشعبي إلى الخدمة واسماه (مستشفى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف) والذي يقع في قضاء العوجة أحد أقضية محافظة صلاح الدين.

٢- الدكتور علي شاكر الخفّاف مدير عام معاونية شؤون المقاتلين ومعاون رئيس الأركان في هيئة الحشد الشعبي.

وفعلاً تمَّ إعادة هذا المستشفى إلى الخدمة بجهود كوادر الحشد الشعبي الأبطال؛ ليكون مستشفىً عسكريّاً لكلّ أصناف القوات الأمنية بكادر متخصّص للعمليات الجراحية وغيرها.

وهنا بقي الحاج المهندس يتساءل عمّا تحتاجه المستشفى ليتمَّ توفيره، سواء عن طريق وزارة الصحة أو عن طريق هيئة الحشد الشعبي.

وبينما نحن في الجولة الميدانية برفقة الحاج المهندس، جاء الأخ العزيز الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري ليخبر الحاج المهندس أنّ الحاج المجاهد معين الكاظمي[1] على الهاتف ويطلب لقاءك برفقة ضيفه.

فأجاب الحاج المهندس: "**بويه محمّد خلّ يجي هنا للمستشفى**".

وبعد مرور أقل من ساعة جاء الحاج الكاظمي مع الضيف، وكان هذا الضيف رجل متوسط العمر ذو بشرة خفيفة السمار، يظهر عليه الوقار دون أن تظهر عليه الملامح العسكرية.

بعد السلام والتحيّة بينه وبين الحاج المهندس وتعريف الحاج الكاظمي له، عرفت أنّ هذا الرجل من تجّار بغداد وجاء إلى هنا ليقدّم الدعم للمجاهدين، ويكون شريكاً لهم بهذا النصر.

١- الحاج معين حميد الكاظمي معاون الحاج أبي مهدي المهندس لشؤون المقاتلين سابقاً.

بعدها بدأ التاجر يسأل الحاج المهندس عن الاحتياجات التي يجب توفيرها للمجاهدين.

فأجاب الحاج أبو مهدي: **ماذا تستطيع أن تقدّم؟**

فردّ عليه: حجينا العزيز أنا هنا الآن معك وحدي، لكن في بغداد معي عشرات التجار الذين هم على استعداد ليقدّموا ما تريد، دعماً للمجاهدين وتلبية لنداء المرجعيّة.

وبينما الأخ التاجر يتحدّث، كان الحاج أبو مهدي صامتاً لا يتحدّث واكتفى بالتسبيح وهو يستمع لكلام التاجر، وحين أنهى التاجر كلامه أعتصر الحاج المهندس تلك المسبحة بيده مرّتين ثمّ وضعها في يده الأخرى، وشرع بحديثه قائلاً: **عزيزي بويه أنا أحيّيك على هذه الروحية العظيمة كما أحيّي مَن يقف خلفك ويدعم المجاهدين لكنَّك وكما ترى الآن وربما حدّثك بذلك الأخ الكاظمي، فنحن والحمد لله لا نحتاج لشيء، وهذا بفضل المرجعيّة التي حثّت الناس على التبرّع وبفضل المواكب الحسينية المجاهدة التي لبّت ذلك النداء.**

أنا أشاهد يومياً عشرات المواكب الداعمة للحشد الشعبي، حتّى أنّ بعضها صار لا يجد مكاناً يقدّم فيه ما جاء به للمجاهدين.

وكما تعلم أنّ الحشد الشعبي هو قوّة هجومية مهامها تحرير المدن لذلك لا نبقى فيها كثيراً، اليوم وأنا في زيارة ميدانية لإحدى القواطع العسكرية رأيتُ بعيني هذا الكرم الحسيني الذي يقدّم من أصحاب المواكب الأبطال، وكذلك رأيتُ حجم المواد التالفة التي تبقى عندما تتحرّك القوات لمدينة أخرى؛ لذلك يا عزيزي أنا لا أريد أن نكون من المبذّرين.

يعني حجينا أفهم من كلامك هذا أنّكم لا تقبلون بدعمنا لكم؟

لا، أنا لم أقل هذا، ما أحببت أن أقوله هو أنّنا من الناحية اللوجستية لا نحتاج لشيء، بل أريدك أن تتبرّع أنت ومن معك من الشرفاء الغيارى على دينهم وبلدهم، لكن ليس بالغذاء والماء وما شابه ذلك.

نحن منذ عام ونصف العام نقاتل هنا ولدينا عشرات الشهداء وربما آلاف الجرحى، والذي يعلم به الجميع أنّ أغلب من التحق بالحشد الشعبي هم من الطبقة الفقيرة وبعضهم من المناطق العشوائية؛ لذلك نريدكم أن تهتمّوا بمن هم أفضل منّا جميعاً، وأقصد بذلك عوائل الشهداء والجرحى، فلدينا بعض الشهداء له أكثر من (٥ أيتام وبعضهم

حتى ٧ وأكثر)، وأغلبهم ممّن يسكن الإيجار أو العشوائي، نحن نريد منك أنت ومَن معك أن تزوروا تلك العوائل وتقدّموا لهم ما يحتاجونه.

فبعضهم يحتاج إلى ترميم منزله، وآخر استشهد وهو ملتزم بسلفة أو عليه دينٌ فأوفوا لهم ديونهم حتى لا تكون عبئاً على رواتب عوائلهم.

كما ولدينا عشرات الجرحى تصل نسبة عجزهم لـ (١٠٠٪) مقعدين عن الحركة بشكل كامل، اذهبوا لهم وقدّموا إليهم ما يحتاجونه، إذ يحتاج بعضهم لعربة متحرّكة، وبعضهم الآخر يحتاج لسرير كهربائي، وآخرين يحتاجون لبناء حمّام غربي وغيرها.

فإن أخذتم على عاتقكم مساعدة عوائل الشهداء والجرحى فأنا على يقين من أنّكم ستجدون عشرات اللذين يحتاجونكم ويحتاجون دعمكم.

طيلة الحديث الذي اختصرتُه كثيراً في هذا الموقف لم يتحدّث التاجر بشيء وكان صامتاً وينظر إلى وجه الحاج المهندس بتمعّن.

حتى انتبه عليه الحاج أبو مهدي وقال له: **ها بويه شتگول؟**

فردّ التاجر قائلاً: منذ أيام ونحن نجتمع كلّ يوم مع الأخوة التجّار لنعرف ماذا نقدّم لكم، وطيلة هذه الأيام التي أجتمعنا فيها لم يأتِ على بالنا عوائل الشهداء ولا حتى الجرحى، وأنت بحديثك هذا أبهرتني

ونبّهتني على شيء كنّا في غفلة عنه، كن على يقين من الآن سنسعى لتقديم ما هو أفضل لعوائل الشهداء والجرحى بكلّ ما نستطيع.

أكتب لكم الآن هذا الموقف بتاريخ ٢٠٢٠/٥/٢٦ أي بعد مرور ما يقارب ستّة أشهر على شهادة الحاج المهندس الذي أوصانا عشرات المرّات بجلسات خاصة وعامة، مصوّرة ومسجّلة وبعضها مكتوبة على أن نهتم بعوائل الشهداء والجرحى وأن نكون عوناً لهم.

في إحدى الزيارات التي قام بها شهيدنا القائد إلى مديرية الطبابة وجد مجموعةً من الجرحى فوقف وسلّم عليهم وقبّلهم الواحد تلو الآخر.

فقال له أحد الجرحى: حجّينا أنا صرفت على وحدة من العمليات الجراحية من جيبي الخاص.

فردّ عليه قبل أن يكمل عبارته: **أنا شخصياً سأصرف لك ما صرفته على نفسك واحنه بخدمتك، وهذا الدكتور عليّ الخفّاف أنا عيّنته علمود يكون خادم إلكم.**

الآن عندما أتحدّث مع جريح من أصدقائي الجرحى وأسأله عن حاله، يقول لي: "ذهب شهيداً من كان عوناً لنا وسنداً".

ومن أهم أقوال الحاج الشهيد أبي مهدي المهندس بحقّ الشهداء، والذي كنت شاهداً عليه، هو: "**نصرنا الحقيقي ليس بالبندقية وتحرير الأرض، نصرنا هو أن نستثمر هذه الدماء ونكون أوفياء لها**".

فلنكن جميعاً أوفياء للشهداء كما أراد الشهيد المهندس.

بسبب أمريكا:

سبق وأن ذكرت لكم ما قاله الحاج المهندس عن عمليات قضاء بيجي، وهنا سيتحدّث لكم الحاج أبو مهدي المهندس شخصياً عن تلك العمليات التي راح بسببها مئات الشهداء كي ترضى الإدارة الأمريكية عن البعض من الذين ما زلوا يرون أمريكا درعهم.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٧م تحديداً في قضاء بيجي غرفة العمليات، جاء هذا اللقاء الإعلامي مع مدراء القنوات الفضائية وبعض الإخوة الصحفيين بعد رسالة الحاج المهندس التي تحدّث فيها عن بعض القنوات وسياساتها والتي كتبتها لكم بعنوان (الإعلام الأمريكي في العراق)، هنا في بيجي وضّح لهم الحاج المهندس لماذا تحدّث عن

الإعـلام ومـاذا خسـرنا بسـبب الإعـلام الأمريكـي الـذي مـازال إلـى الآن يستهدف الحشد الشعبي.

قال الحاج المهندس:

الأمريكيون يقتلون فينا ونستقبل سفيرهم ونقول له تفضّل يالعزيز!! ونخشى أن يمس بكلمة، المفترض أن يكون السفير كأي سفير يمارس عملة الطبيعي، لا أن يحرّض علينا سياسيي الحكومة كما يمنعهم من إيصال السلاح لنا، كما عمل السفير الأمريكي على تحريض المكوّن السني على أخيه الشيعي بلا أي وجه حقّ. حرّض العشرات من الضباط علينا ولا نعرف السبب.

ماذا فعلنا لكم؟ لا نعلم!!

يفترض أن نقول له كفى تحريضاً علينا، كما يفترض على وزير خارجيتنا أن يعترض كما تعترض دول العالم؛ احتراماً لسيادة بلادها.

أنا كنت متابعاً للقناة وأرى ماذا يجري فيها من مظلومية إعلامية للحشد الشعبي، علماً أنَّ هذا حديثي عن سياسة قناة (العراقية) لا عن العاملين فيها؛ فهم أعزائي أولادي وأخوتي، وأنا شخصياً أعرف نسبة كبيرة منهم، وربما البعض منكم يعرف علاقتي بالعراقية علاقة قديمة.

أنا هنا أريد الإعلام والإعلاميين أن يقولوا كفى لسياسات خاطئة لم ولن تنفع العراق يوماً ما. في محافظة صلاح الدين تحديداً اثناء تحرير قضاء تكريت دمَّرنا الإعلام بحملة ظالمة يقودها الأمريكيون، حرّرنا ٥٠٠٠ كيلو متر من شرق قضاء تكريت إلى حمرين والعلم حتى الدور والفتحة، كل هذه العمليات بشهدائها وجرحاها لم يذكرها الإعلام؛ لأنَّ أمريكا لم توافق عليها، ذهبنا لفك الحصار عن الضلوعية وقضاء بلد، لم نقل هذه المدينة سنية أو تلك شيعية لكن أمريكا تريد أن تعيدنا إلى منهجها القديم وهو الطائفية حتى في التحرير، كل تلك المدن حرّرناها سيراً على الأقدام بمئات الشهداء وآلاف الجرحى في كل متر وشبر لنا فيه دم وبإمكانات الدولة المتواضعة، عمل الإعلام الأمريكي على أن يهزمنا بانكسار نفسيتنا كما فعلها في الموصل، في محافظة الموصل انكسر الجيش نفسياً أكثر ممّا هو عسكرياً، منذ الأيام الأولى التي أُخذ فيها شباب سبايكر أنزلنا شباب من المجاهدين فيها، كما أنزلنا قوات في قضاء بلد للحفاظ عليها، وفي مصفى بيجي أنزلنا المئات لخدمة وتقوية قواتنا المسلحة البطلة، لدينا جيش بطل وجهاز مكافحة إرهاب وقوات اتحادية أبطال أتينا نحن ساندناهم عندما أقول نحن أعني فيها

الجميع، نحن الحشد الشعبي في أغلب عملياتنا إن لم يكن معنا جيش وشرطة لم ولن نستطيع تحرير مدينة، كنت أذهب إلى قضاء تلعفر مع طيّارين سنة وهم شبه استشهاديين؛ لأنَّ العدو كان في كلّ مكان، أنا كنت في مدية تلعفر قبل ثلاثة أيام من سقوطها وأستطلع القطعات مع طيار من قضاء الفلوجة وآخر من محافظة الموصل، ما عدنا هذا سني أو شيعي عدنا وحدة قلوب شجاعة هدفها التحرير الذي تريده الإدارة الأمريكية أن يصل إلى سنوات. من الشهر الثامن عام ٢٠١٤م أتينا إلى محافظة صلاح الدين حرّرنا جنوبها وغربها وطوّقنا شمالها وأبقينا جسر قضاء العلم ليكون ممرّاً لهم وحين حرّرنا العلم نسف العدو ذلك الجسر بصهريج مفخّخ، لم تكن مدينة تكريت عاصية علينا فهي لم تكن بتلك المساحة الكبيرة حيث تعد مساحتها بـ (٥٢ كيلو متر مربع) وفيها شارعان رئيسيان فقط، وكان هدفنا هو تحرير(٢٠ كيلو متر مربع) من المدينة أمّا باقي المدينة ستسقط تدريجياً، هنا الأمريكي لم يوافق (دخّل خشمه) وقال: أنا يجب أن أحقّق النصر في هذه المدينة، لذلك أرسلوا وفداً عسكرياً بقى سبعة أيام في بغداد للضغط على الحكومة حتى يشتركوا معنا، وإلاّ لن نسمح لكم في تحريرها، كأنَّه مملكة أبوهم

العراق ونحن تحت وصايتهم، وعادوا من جديد بطلب آخر وهو أن نقصف المدينة. كذلك رفضنا طلبهم كما نحن متّفقون مع السيّد القائد العام لا نحارب مع الأمريكان في أي مدينة مهما كانت، الأمريكيون لم يكونوا جديين في حربهم مع داعش، في عام ٢٠٠٣م حين كانوا يقصفون جيشنا يطلعون باليوم(٥٠٠٠ طلعة) جوية اليوم ومنذ ثلاث أيام لم يقدموا على طلعة واحدة، يخبرني أحد الضبّاط يقول: كنا نبلّغهم عن إحداثيات للعدو لم ينفّذوا وهم في الجو والعدو تحت مرماهم يقولون: لا هذه خارج قواعد الاشتباك ليس من هدفنا، تغيّرت أمريكا مع داعش أصبحت حمامة السلام، سرقوا النصر في مدينة تكريت وقالوا: الحشد الشعبي حرقها وسرقها كما دمّرها بالكامل، أنتم الآن إعلاميون وبعضكم مدراء قنوات حين ننتهي من هنا اذهبوا إلى المدينة التقوا في محافظها أهلها أي شخص تشاؤون وانظروا نسبة الدمار هل فعلاً دُمّرت كما يقول الإعلام الأمريكي؟ أنا شخصياً تحدّثت مع المحافظ وقال: أكثر من٩٠٪ من سكان المحافظة عادوا لها ولم يدمّر شيء منها أو يحرق، لو كانت تكريت لغيرنا لم يبقَ فيها حجر على حجر على الأقل في قضية سبايكر الذين أخذوهم أمام أعين الناس

والكلّ ترى ولم تفعل شيء (٥ أيام) وهم يقتلون فيهم والناس تسمع ولم تنتفض حتى في كلمة، لكن أنا قلتُها منذ اليوم الأوّل يمنع كلمة ثار أو كلمة سبايكر، نحن دخلنا كحشد شعبي وبكلّ قوّتنا حتى نعيد أهلها لها وليس للثأر كما يشاع من قبل الإعلام الأمريكي. الأصل هو عودة الناس لا يوجد انتقام الذي عنده شيء يذهب إلى المحكمة، بعد تحرير مدينة تكريت اجتمعنا في منطقة القادسية حينها كنا نجلس على التراب تحديداً يوم الأربعاء فقلنا سنتوجّه إلى تحرير قضاء بيجي يوم الأحد، الجمعة أصدر رئيس الوزراء أمر الانسحاب من تكريت وترك قضاء بيجي، وبسبب هذا القرار الذي كنا فيه على دراية أنَّ أمريكا تريد هكذا أعطينا أكثر من ألف شهيد وآلاف الجرحى في عام كامل في معركة كان محسوب لها أن تنتهي بـ (٥٪) من الذي خسرناه الآن، هذا هو الإعلام الأمريكي وهذا ما يريده سرقة أي نصر.

اليوم وبعد تحرير قضاء بيجي بتلك الدماء المقدّسة أصبحنا مليشيات قاتلين سارقين. الإعلام الأمريكي لم يتحدّث حين نتعرّض في يوم واحد إلى (٢٨ عجلة مفخّخة) يقودها انتحاريون ومنها صهاريج وآليات

هندسية مثل (الشفل) (البلدوزر) الإعلام الأمريكي لم يتحدّث عن منصّات الصواريخ الحرارية التي أتت إلى داعش من تركيا، وكذلك السلاح السعودي وتلك العجلات التي ما زالت تحمل لوحات تسجيل سعودية.

أمريكا أرادت وبكلّ قوة عدم تحرير قضاء بيجي لسبب عقدة المواصلات فيها، فهي تعتبر الباب الأولى لتحرير الموصل كما تعتبر بوابة كركوك وحتى الأنبار، أمريكا حاربتنا في بيجي أكثر من حربها على داعش إن وجدت، عشرات المرّات عطّلت لنا الكامرات الحرارية كما أوقفت لنا الاتصالات اللاسلكية حتى عندما كنا نشفّر الاتصالات على العدو بعد ساعات تأتي الطائرات الأمريكية وتفتح لهم الشفرات، علماً بلّغنا رئيس الوزراء وكلَّ القادة العسكريين لكن لا فائدة؛ فهم يعلمون الحقيقة لكن لا يستطيعون قولها... !!!

لا أعلم لماذا أمريكا تخاف من وجودنا كحشد شعبي مع العلم لم يمض على تأسيسنا حتى عامين، علماً أنَّ كل

عملياتنا هي تحت أمرة القائد العام للقوات المسلحة، لم نخطوا في كلّ عملياتنا إلا بخُطّة وخريطة وهذه خرائطنا أمامكم.

انتهى الاجتماع الذي ترك حديث الحاج المهندس أثراً واضحاً بالإخوة الإعلاميين وهم يستمعون له.

أنا أعتذر منك و سأقبّل يدك:

بحكم عملنا مع الحاج المهندس وقربنا منه تيقّنّا أنّ من أحبّ الأشياء على قلب هذا القائد هو أن يساعد الناس ويستمع للمجاهدين ليقدّم لهم ما يريدون مهما بلغ؛ لذلك كثيراً ما كان يهتم لشكاواهم ويستمع لطلباتهم، حتى وإن كانت طلبات شخصية، كمساعدة للزواج أو مساعدة لإجراء عملية لوالد مجاهد أو أخيه.

لذا عندما نعلم أنّ شخصاً ما يريد لقاء الحاج المهندس، سريعاً ما نلبّي له طلبه ونحن على يقين تام أنّ لقاء الحاج المهندس به سيفرحه كثيراً مهما كان سبب اللقاء.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٧ تحديداً في مقر عمليات المزرعة في قضاء بيجي، وجدت أحد المجاهدين يقف عند باب مقر العمليات التي يتواجد فيها الحاج المجاهد أبو مهدي المهندس طالباً الدخول لرؤية المهندس، لكن القوات المكلّفة بحماية المقرّ رفضوا دخول هذا المجاهد بسبب عدم معرفته وعدم حمله لأي شيء يثبت أنّه من مجاهدي الحشد الشعبي؛ فلذا تعاملوا معه على أساس أنّه شخص غريب، فرفضوا دخوله إلى مقرّ العمليات.

إلاّ أنّ عصبيته كانت سبباً في سماعي لصوته، فذهبت إليه وقلت له: ماذا تريد؟ وصل صوتك إلى المقرّ والصلاة قائمة حينها كانت صلاة المغرب.

قال: أنا هنا أريد لقاء حجي مهدي ولا أتزحزح عن مكاني حتى التقي بالحاج مهدي.

ابتسمت له وقلت: لا يوجد هنا شخص اسمه الحاج مهدي.

لا أعلم ما هو اسمه، لكنّه صاحب اللحية البيضاء.

تقصد الحاج أبو مهدي المهندس؟

نعم هو، أريد أن ألتقي به، وحتى أن أطلقتم النار عليَّ فلن أذهب من هنا.

طريقة حديثه مع الغضب الذي يعتريه وشكله العصبي يجعلك تبتسم في وجهه، فقلت له: لا نطلق النار عليك ولا تطلق النار علينا، ولكن قل لي: ماذا تريد من الحاج أبو مهدي؟!

أريده هو شخصياً.

طلبت من الأخوة في الحماية أن يسمحوا له بالدخول، لكنَّهم رفضوا. فقلت لهم: أنا سأدخله على مسؤوليتي شخصياً وإن تعرضتم لشيء قولوا لهم أبو لواء هو مَن سمح له بالدخول.

وفعلاً سمحوا لي وأدخلتُه معي بعد أن قمت بتفتيشه بشكلٍ كاملٍ؛ خوفاً على حياة الحاج المهندس، وكذلك فقد دخل على مسؤوليتي الشخصية وهذا ليس واجبي لكنّي شعرت أنّ هناك موضوعاً مهمّاً أتى بهذا المجاهد إلى هنا وبهذه الهيئة.

نظرت إليه وقلت له: مهما بلغ أمرك وطلبك سيقضيه لك الحاج أبو مهدي.

دخلنا سوية إلى صالة مقر العمليات، وكان الحاج المهندس يصلّي بالمجاهدين المتواجدين في مقر العمليات الصلاة جماعة، فجلسنا معاً على السلّم حتى ينهي أبو مهدي صلاته، وحين انتهى من الصلاة تقدّمت للحاج المهندس وقلت له: حجي هذا أحد المجاهدين يريد لقائك ولم يقل ماذا يريد؟!

فرد بتلك الكلمة المعهودة عند جميع من عرف الحاج المهندس: **أي بويه خل يجي بخدمته، وينه؟**

ناديته فجلس بجانب أبي مهدي على الأرض، فقبّله الحاج وبقي يلعب في شعره الذي كان عالياً.

فقال له الحاج المهندس: **شعرك حلو، شلون اسوي شعري مثلك؟**

بقي المجاهد حائراً بين غضبه الذي يعتريه والابتسامة التي فاجأته، فقال له المهندس: **گول بويه شعندك، گالوا تريد تلتقي بيه؟**

فردّ: حجّي - إلاّ أنّه لفظها بصوت عالي جداً أثار انتباه جميع المتواجدين في الصالة - أبتسم الحاج أبو مهدي وقال له: **طيّب انته ليش عصبي؟ قل: ما تريد وسأقضيه لك بنفسي مهما بلغ طلبك، فقط تكلّم.**

حجّي ذوله أذّوني!

من هم الذي آذوك؟

كان يتكلّم لكننا لم نفهم شيئاً من كلامه لشدّة العصبية التي لا نعرف سببها أصلاً، فصار الحاج المهندس يقبّله ويقول له: **انته ليش عصبي بويه؟**

فكرّر تقبيله لعدّة مرّات كي يتمالك الشاب أعصابه ويستطيع إكمال كلامه، وفعلاً بعد دقائق نجح الحاج أبو مهدي بتهدئة الشاب المجاهد ليتكلّم بتأنّي وبلا صوتٍ عالٍ، ولكن قبل ذلك أخرج الشاب ورقة من جيب قميصه، كتبها مسؤوله للحاج المهندس ليشرح له ماذا يريد هذا المجاهد، فرفض الحاج قراءة الورقة وقال له: **بويه عزيزي انته، هذا الطلب في جيبي ولن أقرأه، أجبني انته ما بك؟ لكن بلا عصبية كي أفهم ما تريد.**

ابتسم الشاب المجاهد وأعتذر عن علوّ صوته وصار يبرر للحاج المهندس سبب ذلك، والحاج لا يزال مبتسماً في وجهه ويقبّله، فردّ عليه: **انت ابق عصبي على راحتك، بس ما نفتهم شي من حديثك وأنت عصبي، گول شنو تريد وبعدها عصّب علينا براحتك.**

رفعت كامرتي لأصوّر الموقف، فطلب الشاب أن يتم إيقاف التصوير حتى يتحدّث، وفعلاً أوقفت الكاميرة التي لم تسجّل سوى عدّة ثوانٍ يظهر فيها الشاب وهو يشير إليّ لأوقف التصوير.

تحدّث المجاهد بعدها قائلاً: أنا قبل أن التحق بالحشد الشعبي كنت أعمل مع أخي في محل صغير لكبس أنابيب الهيدروليك الخاصة بالجرافات وهذا عملنا منذ زمن طويل.

بعد سماع الفتوى المباركة بالجهاد تركت أخي الأكبر في محلّنا والتحقت لأكون ضمن صفوف المجاهدين، وأثناء تلقينا للدورة العسكرية سألونا عن أصنافنا فتحدّثت لهم عن عملي، لذلك تم تحويلي للعمل على آليات الهندسة العسكرية في هيئة الحشد الشعبي، وأنا هنا في قضاء بيجي منذ عام كامل أعمل مع بقية زملائي على حفر الخنادق للمجاهدين وبناء السواتر الترابية.

كان قنّاص العدو يستهدف أنبوب الهيدروليك؛ لأنه يعلم جيداً أنّ هذا الجزء من الآلية لا يمكن تصفيحه، وإن تمكّن من إصابته فإنّه يوقف العجلة عن العمل فوراً.

لذلك كانت مهمّتي هي فكّ هذا الأنبوب بعد تعرضه لإطلاق النار، وإرساله إلى بغداد لكبسه مرة أخرى؛ وبما أنّ هذا يتسبب بإيقاف العجلة عن العمل لعدّة أيام بسبب وعورة الطريق وخطورته أيضاً؛ أقترحت على مسؤولنا وقلت له: أنا لدي مكينة لكبس الأنابيب، وهي موجودة في بغداد في محل أخي الذي توقّف عن العمل فيه بعد

التحاقي بالحشد الشعبي، وأحتاج فقط لعجلة كي أنقلها إلى هنا وسأعمل على إصلاح الأنابيب بواسطتها هنا، فأنا أتقن العمل بها.

وفعلاً باشرت بعملي في إصلاح الأنابيب هنا بعد أن جلبت المكينة، وصارت الآلية لا تتوقف عن العمل إلاّ لدقائق قليلة وتعود بعدها للعمل مجدداً.

في أحد الأيام وأنا أقوم بفكّ الأنبوب أطلق العدو النار عليَّ فأصابني بيدي ـ فأخرج في هذه الاثناء يده كي يريها للحاج المهندس الذي بادر بتقبيلها بذات المكان الذي أصيبت فيه ـ وعلى أثر هذه الإصابة تركت الواجب لعدّة أشهر من أجل تلقي العلاج وبعدها عدتُ من جديد إلى مكان واجبي وبنفس مدينة بيجي، لكن القناص هذه المرة كان أكثر فتكاً بي، فأصابني في ظهري ولقوة الإصابة بقيت طريح الفراش لأكثر من (٧ أشهر).

في تلك الفترة التي كنت فيها مصاباً أراد أخي المكينة منّي، ولم يكن بوسعي أن أنقلها إلى بغداد؛ فأنا لا أستطيع الوصول إلى بيجي وكذلك لا أستطيع نقلها، فطلبت من الأخوة نقلها إليّ لكنَّهم اعتذروا لأسباب مجهولة، حتى كثرت أعذارهم لي في قبال الحاح أخي على استعادة مكينته فاضطررت اليوم للمجيء إلى قضاء بيجي كي أنقلها بنفسي،

فأخي لا يعرف جهاداً ولا فتوى ولم يقبل بأي فكرة، بل في كلّ مرّة يهدّدني إن لم أجلبها له فسيأخذ قيمتها منّي، وأنا لا أمتلك قيمتها.

طال حديث المجاهد والحاج المهندس مازال يصغي له وهو صامت تماماً، ويسبّح بمسبحته فقط، وحين ذكر المجاهد قصّة أخيه، قال له الحاج: **أعطيني رقم أخيك وأنا سأتصل به شخصياً.**

فقال: لا حجي، فهو حين يسمع صوتك يظنّ أنك المسؤول عن المكينة فيبقى يتجاوز عليك بالحديث، وأنا لا أريده أن يتجاوز عليك.

فقال له: **طيب أكمل حديثك.**

حين وصلت إلى مقر عملنا وجدت أنّ المقر قد استهدف بعجلة مفخّخة حوّلت المقر والمكينة إلى حطام، وأنا ليس بإمكاني الذهاب إلى بغداد من دون أخذ المكينة فأخي أقسم إن لم آتيه بها فسيقتلني.

وماذا تريد أن أقدّم لك الآن؟

فردّ بعصبية: والعبّاس حجي أقطع عليك طريق بغداد وما أخلّي أي شخص ينزل من الهندسة العسكرية.

ابتسم أبو مهدي ابتسامة طويلة واحتضنه مجدّداً، وقال له: **أني أعتذر بالنيابة عنهم وسأقبّل يدك إن لم تقبل اعتذاري، بويه انت خوش زلمه ومعدّل؛**

لكن احنه مو خوش ناس وخسرناك، انته المثلك كون يتكرّم، انت بطل. الآن أخبرني عن قيمة المكينة وكم يبلغ سعرها؟

فقال: ثلاثة ملايين دينار عراقي ـ أي: ما يقارب ٢٤٠٠ دولار أمريكي ـ

فنادى الشهيد المهندس على الشهيد محمّد رضا الجابري وقال له: **أصرف ثلاثة ملايين لهذا المجاهد البطل.**

ثمّ سأله الحاج أبو مهدي: **هل استلمت تعويض الجراح؟**

فأجابه: لا، لم أستلمه بعد.

فقال الحاج المهندس للجابري: **اعطيه بعد مليونين تعويض الجراح.**

وعاد وسأله الحاج المهندس مجدداً: **هل أنت متزوّج؟ ألديك أبناء؟**

فردّ عليه: لا حجي، أنا خاطب وعاقد وبعدني ما متزوّج، كان المفروض زواجي قبل إصابتي الثانية، لكن إصابتي الأخيرة أخّرت زواجي.

فقال له الحاج أبو مهدي المهندس: **هذا مبلغ مليونين دينار منّي أنا شخصياً هدية زواجك.**

بكى هذا المجاهد الجريح واحتضن الحاج المهندس الذي قبّله القبلة الأخيرة قبل أن يدخل قاعة الإجتماعات، ثم قال له: **ابق في الحشد الشعبي وبنفس مكانك وأنا سأفتح لك ورشة كاملة كي تخدم المجاهدين.**

وفعلاً غادر الحاج المهندس المكان وبقيت أنا وهذا المجاهد البطل ننتظر الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري كي يأتي بالمبالغ التي أمر الحاج المهندس بصرفها.

وبينما كنّا ننتظر قلت له: هل تذكرت كلامي حين قلت لك مهما كان أمرك وطلبك سيقضيه لك أبو مهدي.

فقال: والله العظيم ما شايف بحياتي نور مثل نور هذا الرجل ولا حتى تواضعه، ما تقبلون أجي هنا اشتغل وياكم بأي مكان، حتى لو بالخدمات بالمطبخ المهم أكون ويه هذا الرجل، تعرف كأنّه إمام؟

ابتسمت وقلت له: لا يوجد لديه خدمات ولا مطبخ فحاله كحال المجاهدين في الجبهة.

لم أعرف اسم هذا المجاهد ولا أين يسكن في بغداد، لكنّي على يقين تام أنّ هذا المجاهد بعد سماع خبر رحيل الحاج المهندس شهيداً سيبكي عليه وسيبقى يتذكّر هذا الموقف وربما يذكره لأبنائه حين يسألونه هل رأيت الشهيد المهندس عندما كنت في الحشد الشعبي؟

هذه الصورة من التصوير الذي صورته للمجاهد مع إخفاء وجهه كما أراد حينها.

من الأخوة الذين كانوا معي حين تحدّث الحاج المهندس مع الشاب المجاهد في مقر العمليات، الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري والأخ الحبيب الحاج المجاهد أبو عقيل الكاظمي، والأخ المجاهد المصوّر سجاد رسول، وبعض الأخوة الذين لا أتذكّر أسماءهم الآن.

❖ ❖ ❖

أنا مدعو على حزامٍ ناسف:

أغلب المدن التي شرع الحشد الشعبي بتحريرها كانت مدن ذات طابع عشائري وأغلب سكّانها من الفلاّحين، وكثيراً ما حرّر الحشد الشعبي مناطق كان أهلها مازالوا فيها أو خرجوا منها إلى مناطق قريبة؛ لذلك عندما نصل إلى المدينة ونحرّرها من أيادي الإرهاب يُرحّب بنا الناس، وبذلك الترحيب تزيد عزيمتنا على أن نحقّق النصر.

هنا على أطراف محافظة صلاح الدين كانت العمليات العسكرية جارية لتحرير المدينة من أيادي داعش واستعادة أرضها وأمنها، وعندما تريد أن تصل إلى مدينة تكريت عليك أولاً تحرير المدن والقرى المحيطة بها حتى تستطيع تحرير وتأمين المدينة بالكامل.

وقبل أن نشرع بالتقدّم نحو تحرير القرى عملنا على التنسيق مع أهلها أولاً كي يتسنّى لنا معرفة من هم الغرباء فيها، وفي هذه العمليات استطلع الحاج أبو مهدي المهندس القطعات العسكرية التي ستتقدّم غداً لتحرير أطراف مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين، وأثناء الاستطلاع وصلنا إلى المكان الذي خُصّص لإيواء العوائل مؤقّتاً حتى تحرير مدنهم، فاجتمع شيوخ وشبّان المدينة ليتحدّث لهم القائد حتّى يطمئنوا أنَّهم بسلام، لكن مفهوم القائد في العراق يعني رتلاً من العجلات المصفّحة والعشرات من العناصر المسلّحة التي تحيط به.

إلاّ أنّ حضور القائد هذه المرّة كان بمثابة الصدمة لشيوخ المدينة الذين رأوا أنّ القائد الحاج المهندس الذي سمعوا باسمه مراراً وتكراراً يترجّل من عجلة نوع بيك آب بلا أي مرافقين ولا حتى عناصر مسلحة.

رجلٌ شيبة بزيٍّ عسكري لا يحمل بيده سوى المسبحة التي اعتاد على حملها، سلّم عليهم الواحد تلو الآخر، وقبّل صغيرهم قبل كبيرهم، وحين أراد الجلوس أختار أن يجلس معهم على التراب.

الصمت يعمّ الأرجاء وعيون الحضور تتساءل هل هذا هو قائد الحشد الشعبي الذي يتحدّثون عنه؟

ظنّوا أنّه سيحدّثهم عن العمليات العسكرية والعدو وكيف ستتحرّر المدن، لكن الواقع كان مختلفاً، فحين تحدّث الحاج المهندس كان حديثه عن العشائر في تلك المدن وعن عاداتهم وتقاليدهم وعن مشايخهم الكبار وبعض مواقفهم المعروفة.

حتى شدّهم بحديثه وكأنّه ساكنٌ معهم أو منهم أصلاً.

طلب أحد مشايخهم الكبار من الحاج المهندس -وأظنّه كان شيخهم العام- طلباً لم يكن غريباً عن عاداتهم وعادات العرب، حيث قال: "حجي أبو مهدي أقسم عليك قسم بكلّ ما هو مقدّس لديك أن تقبل

دعوتي لك بوسط عشيرتي على مائدة العشاء ونتحدّث كحديثنا هذا، لكن هذه المرَّة في مضيفي".

ابتسم الحاج في وجهه وقبّله على جبينه وقال له: "**إن شاء الله بعد تحرير مدينتكم والرجوع لها بسلامة وعافية سأكون عندكم ونتناول العشاء معاً**".

أبو مهدي هذا وعد ووعد الحرّ دين.

وعد إن شاء الله إن بقينا أحياء سآتي اليكم أما الآن فنحن في ساحة حرب ولا نعلم من منّا سينال الشهادة غداً.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٨م تحديداً في غرفة عمليات بيجي أوفى الحاج المهندس بذلك الوعد الذي قطعه للشيخ أمام عشيرته، فأخبر أحد الأخوة في الأمن أن ينسّق مع الشيخ ويقول له: **إنَّ الحاج المهندس سيكون غداً عندكم ليتناول العشاء معكم.**

فسأل الأخ المسؤول عن الأمن مستغرباً من موافقة الحاج المهندس على تلك الدعوة، فقال: كيف للحاج أن يوافق ويعطي موعداً للعشاء قبل يومٍ كامل، مستحيل أن يتم هذا الأمر فربما يستهدف هناك.

لكن لا حيلة في يده إلاّ أن ينفّذ ما قاله الحاج المهندس.

فعلا ذهب ليخبر الشيخ بما أبلغه به الحاج المهندس، وعاد مرّةً أخرى ليقنع المهندس بعدم الذهاب غداً قائلاً له: حاج كيف توافق على هذه الدعوة؟

ولماذا لا أوافق؟

حجي هذا الشيخ طيّب النفس وكريم كما هو اسمه وسألنا عنه وهو أمنياً جيد جداً، لكن الدعوة عامة، ونحن ليس لدينا سيطرة كاملة على المدينة ومزارعها الكبيرة، فربما تستهدف بحزام ناسف.

أنا أعطيت وعداً للرجل وسأذهب غدًا حتى لو جئتني باسم الإنتحاري وليس مجرد تكهنٍ وخشية من أن يكون موجوداً بيننا.

ماذا تريد أن تخبرهم، أبو مهدي يخشى على نفسه من أن يحضر بينكم؟!

أنا سأذهب غداً ومن يريد مرافقتي فأهلاً به، ومَن يخشى الحزام الناسف فليبقَ في غرفة العمليات كي يستقبل جثامينا.

ما إن أنهى الحاج المهندس كلامه حتّى نظر إليَّ وقال: **بويه البهادلي تروح ويانه، ينتظرنه حزام ناسف؟**

ابتسمت وقلت له: والله حجي لو صهريج مفخّخ هم أروح وياك، بس كون نتعشى وبعدين نموت خو ما نموت جوعانين؟!!

استيقظنا صباحاً وذهبنا إلى مقرّ العمليات حيث كان هناك شيخٌ معمم ينتظرنا، ولأنّ الحاج المهندس كان على موعداً آخر قال للشيخ أراك غداً هنا على الغداء.

فقال له الشيخ: أراك اليوم مساءً على العشاء.

فردّ عليه أبو مهدي وهو مبتسم: **شيخنا أنا اليوم مدعو على حزام ناسف، فهل تأتي معي؟**

صمت الشيخ وبقي على موعد الغد.

فنظر الحاج إلى الأخ المجاهد قاسم مصلح وقال له: **هل تذهب معنا أنت؟**

فأجابه: لا حجي، أنتم روحوا وألف عافية على العشاء والحزام.

طبعاً الموضوع كان مزاحاً فقط.

وقبل أن يحين موعد العشاء بساعات اقترح الأخ المكلّف بأمن الحاج المهندس على الحاج أبي مهدي أن يرسل قوة وعناصر يقفون في باب المضيف لتفتيش كل الداخلين.

فرفض الحاج هذا المقترح قبل أن يكمل حديثه، وقال له: **لا، عزيزي من المعيب أن نقوم بعمل كهذا في باب مضيف دعينا له، كما يعني أننا خائفون من الموت.**

جاء ذلك المساء الذي أكملنا فيه صلاتنا وتوجّهنا إلى مضيف الشيخ الذي رأيناه واقفاً عند باب المضيف مع كبار عشيرته، وكانت الفرحة تملأ وجوههم الكريمة، وبقينا معهم حتى منتصف الليل، ثم قال لهم الحاج المهندس: **شنو عمي نروح لو لا، لو انتو عازمينه على عشه وريوك؟**

وقبل أن نخرج طلبوا من الحاج المهندس أن يلتقطوا معه بعض الصور.

انتهت الدعوة وعدنا إلى مقر العمليات، وليومين كان الحاج المهندس كلّما ينظر في وجه مسؤول الأمن يبتسم ويقول له: **وين حزامك؟! كان حرمتنه من العشاء بسبب الحزام.**

لـم أكـن مصـوراً مـع المهنـدس فقـط، بـل كنـت أدوّن كـل شـيء أراه بعينـي، ومـن أجمـل مهـام الحـاج المهنـدس التـي كـان يقـوم بهـا هـي زيـارة أولئك الناس والجلوس معهم.

هـذه السـاعات التـي كنّـا نجلـس فيهـا معـاً، كانـت كافيـة لكـي تُبقـي حـبّ الحـاج المهنـدس والحشـد الشـعبي فـي قلـوبهم مـدى العمـر؛ لأنّ مَـن يسـمع لـيس كمَـن يـرى وجـه الحـاج المهنـدس ويسـمع حديثـه ويعـرف كـم هـو يخاف الله فيهم، وحضوره إلى مدنهم من أجلهم لا من أجل نفسه.

الشباب السني:

طلب أحد وجهاء وشيوخ قرية مكيشيفه التي تقع في محافظة صلاح الدين من الحاج المهندس زيارة مدينتهم بعد تحريرها، وفعلاً لبّى الشهيد المهندس ذلك الطلب بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢٨م تحديداً في قرية مكيشيفه كنّا برفقة الحاج المهندس في تلك الزيارة.

استمرّت الزيارة لأكثر من ثلاث ساعات تحدّث فيها الحاج المهندس عن دور الحشد الشعبي في تحرير المدن، وكذلك نقل لهم توصيات المرجعيّة التي حثّت على حفظ أرواحهم وأموالهم.

ومن جملة ما قاله الحاج المهندس في تلك الزيارة المصورة فوتوغرافياً: "**نحن هنا للحفاظ عليكم وعلى عوائلكم وأموالكم، لم نأتِ إلى هنا لطلب المال أو الثأر، بل أتينا تلبيةً لنداء المرجعيّة ونصرة لكم، فأنتم أهلنا وأخوتنا وعوائلكم عوائلنا وكذلك أبناؤكم أبناؤنا.**

يشهد الله على ما أقول أنا أبكي عندما أرى النساء والأطفال مهجّرين من بيوتهم قسراً؛ إذ لا ذنب لهم، لكن لعن الله أمريكا ومَن يقف خلفها لدعم تلك المجاميع الإرهابية التي تزرع الفتنة بين أهل العراق ليعطوا شرعيةً لبقائهم هنا.

مَن بعمري الآن يذهب ويسكن بين عائلته وأحفاده ويقول: لا شأن لي فيكم، لكنّي أرى أنّ من واجبي العقائدي والأخلاقي وكذلك الوطني أن أقف معكم وأكون لكم عوناً في هذه المحنة التي سينصرنا الله فيها حتماً.

أنا قلتها سابقا وسأقولها مراراً وتكراراً: نحن جميعاً إذنٌ صاغية لكم ونستمع أي شكاواكم، وهنا الأخوة في جهاز أمن الحشد الشعبي في خدمتكم إذا حصل لكم أي شيء، فقط أبلغوهم".

طيلة تلك الساعات وحديثها الطويل أعاد الأمل لأولئك الناس الذين أخافهم الإعلام الأمريكي من شبح الحشد الشعبي، الذي صوّره لهم على أنّه يريد التأثير على عقائدهم وقتلهم ثأراً وما شابهها من الأخبار المزيّفة.

وقبل أن يودّعهم الحاج المهندس ويغادر المكان جاءه هذا الشاب الجميل الذي كان يحمل هاتفه بيده، ليشاهد الحاج المهندس صوره في هاتفه، فقال له: حجي أنا أحبك منذ زمن وكثيراً ما أتابع أخبارك، وهذه صورك في هاتفي أحتفظ بها.

قبّله الحاج أبو مهدي المهندس وقال له: **وأنا أحبّكم كثيراً فأنتم أبنائي.**

وبينما الحاج المهندس يشاهد صوره في هاتف الشاب التقطت لهم هذه الصورة.

غادرنا المكان لنعود إلى مقرّ إقامتنا في معسكر سبايكر، وقبل أن نصل للمعسكر أوقفنا رتل عسكري كان ينوي زيارة قضاء تكريت، فترجّل الحاج المهندس ليستقبلهم، إذ كان في الرتل العسكري النائب شيروان الوائلي، عضو البرلمان العراقي والذي كان يشغل سابقاً منصب رئيس جهاز الأمن الوطني.

سلَّم عليهم الحاج المهندس وصار يتحدّث مع الوائلي عن العمليات العسكرية ومحاورها، وقبل أن نغادرهم طلب الأخوة المرافقين للوائلي

أن يلتقطوا بعض الصور مع الحاج المهندس، فوقف إلى جانبه ضابطان برتبة نقيب ليلتقطا صوراً بهاتفيهما، حينها سألهما الحاج المهندس عن اسميهما فقال له أحدهما: "أنا اسمي عمر"، وعرّف الآخر اسمه فكان "عمر" أيضاً، ابتسم الحاج المهندس ونظر لي وقال: "أبو لواء التقط لي صورة بين العمرين".

وفعلاً التقطت له هذه الصورة.

من لعوائل الشهداء والجرحى؟

منذ اليوم الأوّل الذي أسّس فيه الحشد الشعبي بتلك الفتوى المباركة، أخذ المهندس على عاتقه إدارة تلك المؤسسة العسكرية التي أنشأت في ساعة الحرب، وهذا ليس بالأمر الهيّن أن تأخذ على عاتقك إدارة تشكيل حديث في ظلّ معارك شرسة تخلّف لك يومياً عشرات الشهداء والجرحى.

لكن الحاج المهندس كان على ثقة تامّة بالله، فهو يعمل من منطلق "ما كان لله ينمو"، وفعلاً نما هذا الحشد المبارك على يد هذا الرجل الذي يخاف الله حقّا، فيخشاه في عباده.

طلب الحاج أبو مهدي المهندس من الأخ الشهيد السيد محمّد رضا الجابري أن يتّصل بكلٍّ مِن مدير إدارة هيئة الحشد الشعبي المرحوم اللواء مجيد رحيم الواسطي[١] وكذلك الإتصال بمدير المالية الشهيد قاسم ضعيف الزبيدي[٢] وطلبهما لإجتماع فوري في مكان تواجده، إذ كان حينها يتواجد في مقر هيئة الحشد الشعبي في بغداد المنطقة الخضراء، وفعلاً بعد أقلّ من ساعة وصل مدير الإدارة مع مدير المالية إلى مقر الهيئة الذي يتواجد فيه الحاج المهندس، انتظرا حتى أنهى الحاج المهندس مهامه في غرفة الاجتماعات وعقد معهم اجتماعاً في غرفة صغيرة تقع بالقرب من غرفة الإجتماعات.

استمع الحاج المهندس لبعض المشاكل التي تواجههم بإدارة شؤون المقاتلين وأيضاً مشاكل المخصّصات المالية، وما إن أكملا حديثهما حتى تحدّث إليهما قائلاً: **أعزائي أنا دعوتكم إلى هنا ليُقضى هذا الأمر سريعاً، نحن هنا في ساحة حرب، والحرب تعني شهداء وجرحى، ولا نعلم من منّا سيرحل غداً شهيداً أو جريحاً مقطّع الأوصال؛ لذلك يجب علينا من منطلق**

١- المرحوم اللواء مجيد رحيم الواسطي مدير مديرية الإدارة في هيئة الحشد الشعبي، وافته المنيّة عام ٢٠١٧م في بغداد.

٢- الشهيد قاسم ضعيف مدير مديرية المالية في هيئة الحشد الشعبي، قُتل بسطو مسلّح على داره في بغداد عام ٢٠١٨م.

شرعي وإنساني أن نقف مع هؤلاء المجاهدين الذين رحل بعضهم شهداء مخضّبين بدمائهم، ومنهم من هو مشروع شهادة يقف الآن على الساتر، عليكم أن تعملوا جاهدين على إدراج كلّ المجاهدين في هيئة الحشد الشعبي ولا أريد أن يبقى مجاهدٌ واحدٌ بلا حقوق مهما كلّف الأمر.

لم ينهِ المهندس حديثه حول حقوق المقاتلين، بل طلب منهم إرسال كتاب إلى مكاتب الهيئة في المحافظات يحمل المضمون التالي: **(أن يتولّوا شخصياً إنهاء معاملات الشهداء والجرحى حتى إحالتهم على التقاعد وإصدار البطاقات الذكيّة لهم. لا أريد أن أرى أو اسمع أنّ عائلة شهيد تقف على أبواب دوائر الدولة التي أصبح روتينها قاتلاً لعوائل الشهداء.**

كذلك وصلني من أحد الأخوة المجاهدين أنّ هناك بعض عوائل الشهداء استلمت البطاقة الذكيّة لكن لم يستلموا فيها حقوقهم لعدّة أشهر).

علّق مدير المالية على حديث الحاج المهندس قائلاً:

نعم حجي صحيح ما تفضلت به.

نظام التقاعد في العراق كل (٦٠ يوماً) وبعض الأحيان تصرف البطاقة بعد نزول الرواتب؛ لذلك ينتظر المحال للتقاعد وصول الشهرين القادمين كي يستلم رواتب أربعة أشهر معاً.

أنا أعلم أنّهم سيستلمون كلَّ حقوقهم بعد تفعيل البطاقة، لكن ماذا ستفعل عائلة الشهيد بتلك الأشهر التي ينتظرون فيها قدوم رواتبهم، وأنتم تعلمون جيداً أنّ أغلب شهدائنا هم من العوائل الفقيرة التي ربما بعضها لا يوجد لديها قوتٌ ليومٍ واحدٍ.

ماذا تأمرنا أن نفعل؟

اكتب إلى مدراء المكاتب أن يتم صرف رواتب الشهداء المحالين على التقاعد لحين استلام رواتبهم بالبطاقة الذكيّة.

هذه العوائل صاحبة فضل على العراق وعلينا جميعاً؛ حيث إنّها قدّمت أعزّ ما تملك للدفاع عن العراق؛ لذلك علينا جميعاً أن نعمل من أجلهم وفاءاً لدماء أبنائهم الزكيّة.

وكذلك لا تنسى الأخوة الجرحى المحالين على التقاعد أن يجرى لهم ما يجري لعوائل الشهداء.

وما إن انتهى الحديث عن الشهادة والجرحى ذكر الحاج المهندس بلقائه بالإخوة شريحة المجاهدين الذين عبّر عنهم بالنص(**مشروع شهادة**).

حيث قال لهم:

"من الآن أريد أن تأخذوا على عاتقكم استكمال كافة الأوامر الماليّة والإداريّة للمقاتلين من أجل تطبيق مشروع البطاقة الذكية التي نضمن من خلالها حقوق كلّ المجاهدين".

ثم قال بعدها: **أُريد استكمال هذا المشروع بأسرع وقت ممكن؛ لأنّ بعض المجاهدين من أقصى جنوب العراق يتحمّلون مشقّة الطريق ذهاباً وإيّاباً من أجل الحصول على حقوقهم، لذلك أريد أن ينتهي هذا الأمر وأن تقدّموا لي دراسة كاملة متكاملة حول كيفية عمل البطاقة الذكيّة وكيفيّة تفعيلها.**

وبينما يسجّلان كلّ النقاط التي تحدّث بها المهندس، أكمل قائلاً: **إن حصلت موافقة رئيس الوزراء على زيادة عدد المجاهدين في هيئة الحشد الشعبي أريد أن تكون الأولوية لأبناء الشهداء وعوائلهم، وكذلك الجرحى، كما أنّ هناك جرحى تصل نسبة جراحهم إلى ١٠٠٪**

ويحتاجون إلى معيل متفرّغ لهم من عوائلهم سواء أكانت زوجته أو أخيه أو حتى أخته، اعملا على توظيفهم كمجاهدين متفرّغين لخدمة الجريح.

كذلك أريد منكم تشكيل فرق ميدانية مشتركة بينكم وبين مديرية الطبابة لزيارة الجرحى العاجزين على أن يختار الجريح بنفسه مَن يريد أن يكون معيلاً له.

كل هذه النقاط التي حدّثتكم بها لا أُريدها أن تكون نقاطاً على ورق فقط، اعملا جاهدين على استكمالها فوراً، وأنا سأتحدّث لكما مع الأخ مدير المكتب ليقدّم لكما ما تريدان.

انتهى حديث الحاج أبي مهدي المهندس كما انتهى الإجتماع الذي طال لأكثر من ساعتين، كنت طيلة هذا الحديث استمع لما يقوله الحاج المهندس، والله وأنا استمع قلت في نفسي: مَن لعوائل الشهداء والجرحى إذا نال الحاج المهندس وسام الشهادة في يومٍ ما؟!

لو تمّ تسجيل كلّ ما تحدّث به المهندس منذ اليوم الأوّل الذي استلم فيه مهام قيادة الحشد الشعبي وحتى استشهاده، ستجدون أنّ ثلثي حديثه يتمحور حول عوائل الشهداء والجرحى وكيفيّة الاهتمام بهم.

أكتب لكم هذا الموقف وقد مضى على شهادة القائد الحاج أبي مهدي المهندس عدّة أشهر، وخطر في بالي ذات السؤال الذي سألته لنفسي قبل أربع سنوات، من سيهتم بعوائل الشهداء والجرحى بعد رحيل والدهم؟!

زيارة مستشفى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف:

لم تكن الساعة تعني لنا شيئاً حين كنّا نرافق الحاج المهندس، فنظام الوقت لا يعمل مع الحاج المهندس كما المكان أيضاً.

فمن الطبيعي جداً عندما نخرج لقراءة الفاتحة في أحد مساجد بغداد أن ينتهي بنا المطاف في النجف الأشرف بلا أي سابق إنذار، وإن عدنا بعد منتصف الليل فهذا لا يعني أنّ الحاج المهندس سيبقى راقداً في فراشه حتى الغد، حيث نعود أحياناً في ساعات متأخرة من الليل، وبعد ساعة واحدة يخرج بنا مجدداً إلى مكان آخر، ولا نعود منه حتى اليوم الثاني.

بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٣٠ تحديداً في معسكر سبايكر الساعة (١١:٠٥ م) عدنا مع الحاج المهندس من مقرّ عمليات بيجي إلى مقرّ إقامتنا في قاعدة سبايكر.

ومن الطبيعي جداً عندما تعود في هذا الوقت المتأخر من الليل أن تكون منهكاً، خصوصاً وأننا عدنا بعد أن خرجنا منذ صلاة الفجر، وكنّا على مدار الساعة نسير بين القواطع العسكرية والمناطق المحرّرة؛ لذلك عندما دخل الحاج المهندس إلى غرفته الشخصية، ألقينا بأنفسنا كالموتى من دون أن نغيّر شيئاً أو نغتسل.

لم تمض على استراحتنا ساعة واحدة حتى وقف أبو مهدي المهندس على الباب قائلاً: **بويه راح أطلع منو بيه حيل يطلع وياي؟**

طبعاً عندما ترى هذا الرجل المجاهد وهو في هذا العمر الذي يساوي ضعف أعمارنا، تستحي أن تقول له: بأنّك متعب، لذا فالرد كان سريعاً: جاهزين حجي. انطلقنا في عجلة واحدة دون أن نعلم وجهتنا، حتى خرجنا من باب قاعدة سبايكر وهنا قال أريد الذهاب إلى مستشفى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف تساءلنا جميعاً مع أنفسنا: ماذا يريد الحاج المهندس من هذا المستشفى العسكري وفي هذا الوقت المتأخّر من الليل؟!

وصلنا إلى المستشفى الذي يقع في قضاء العوجة بقي الأخوة المرافقون في داخل العجلة، وترجلنا أنا والأخ السيّد الشهيد محمّد رضا الجابري مع الشهيد القائد أبي مهدي المهندس.

زار الحاج في هذا الوقت كلَّ أقسام المستشفى كما واطّلع على سير عملهم، ومن ثم طلب من الأخ المجاهد الدكتور علي الخفّاف ـ الذي كان يشغل حينها منصب مدير المستشفى ـ أن يخبر جميع الأطباء للحضور إلى جلسة ودّية بعد الانتهاء من اكمال زيارة أقسام المستشفى.

أخبر الخفّافُ المهندسَ أن بعض الأطباء منشغلين بإجراء عملية الآن في غرفة العمليات.

فسأله الحاج المهندس: **لماذا؟ فليس لدينا جرحى اليوم؟**

فأجابه: نعم، لم يكن لدينا جرحى اليوم، ولكن الجريح رجلٌ من المناطق الريفيّة وقد تعرّض اليوم لانفجار عبوة ناسفة زرعها الدواعش.

فطلب الحاج المهندس من الأخ الخفّاف أن يذهب إليهم في غرفة العمليات.

وفعلاً تم تجهيزنا بالملابس الخاصة لغرفة العمليات ودخلنا عليهم وهم يؤدّون عملهم في إجراء العملية للجريح، فسألهم الحاج عن بعض الأجهزة وماذا يحتاجون أيضاً.

التقطت هذه الصورة أثناء دخول الحاج المهندس لغرفة العمليات ولم تكن الصورة واضحة بسبب تعرّض عدسة الكامرة للكسر أثناء الواجب صبيحة ذلك اليوم.

أكمل الحاج المهندس زيارة المستشفى ميدانياً وذهبنا إلى مكتب الإدارة، وهناك إجتمع حولنا كلّ الأطباء والكوادر الطبية، وكانت الجلسة عبارة عن دردشة وتساؤلات عن حياتهم العامة وعن المشاكل الذي يتعرّضون لها.

بعد ذلك طلبوا من الحاج المهندس أن يتناول معهم العشاء في هذا الوقت المتأخر من الليل، فما كان منه إلاّ أن قال لهم: **لا بأس سأتناول معكم العشاء، فحتماً عشاؤكم صحيٌّ في هذا الوقت؛ لأنَّكم جميعاً أطباء.**

وفعلاً جهّزوا لنا الطعام وكان عبارة عن ألبان وزيتون وعسل، ابتسم الحاج المهندس وهم يعدّون لنا بالعشاء ثم قال: **أموركم عدله، هيج طعام عدنا بالجبهة؟!**

بعدها وجّه الحاج المهندس إليهم سؤالاً وهو يمدّ يده إلى الطعام: **هل لديكم مشاكل مع دوائركم الصحية؟**

أجاب بعض الأطباء ـ وهم من أهالي محافظة البصرة ـ: نعم حاج، لدينا مشاكل مع إدارة صحة المحافظة، فنحن أطباء تخدير وجراحة عامة أتينا إلى هنا خدمةً للمجاهدين وكذلك تلبية لنداء المرجعيّة بالجهاد الكفائي، لكن إدارة صحة البصرة ترفض انفكاكنا والتحاقنا إلى هنا مع

أنّ كتاب وزارة الصحة صريح جداً، ويعطي الخيار للطبيب في حال أراد التطوع أو البقاء.

طلب الحاج المهندس من الشهيد الجابري وفي هذا الوقت المتأخر من الليل أن يتّصل فوراً بوزيرة الصحة والتي كانت حينها الدكتورة عديلة حمود.

تحدّث الحاج المهندس مع الوزيرة وطلب منها حلّ مشكلة إدارة صحة البصرة التي ترفض منح الأطباء كتب انفكاك وهذا مخالف لما جاء بكتاب رئيس الوزراء والوزارة، خصوصاً في ظلّ حاجتنا الماسة لهم هنا في الجبهة.

وفعلاً بعد دقائق أعادت الوزيرة الإتصال بالحاج المهندس وأخبرته أنّ المشكلة قد حُلّت وأنّ مدير الصحة سيحال للتحقيق بسبب مخالفته تعليمات رئيس الوزراء والوزارة.

التفت الحاج المهندس إلى شاب صغير بالعمر يعمل في مطبخ المستشفى وقال له: **بويه أريد چاي بس كون مثل چايي.**

أجاب الشاب: حجي ما أعرف چايك.

أجبته قائلاً: يحب الحاج أن يكون الچاي في كوب زجاجي ويشربه خفيف جداً مع بعض حبّات التمر بلا سكّر.

التفت إليَّ الحاج قائلاً: **انت مو تعرف الچاي مالتي، ليش توصيه روح انته وسويه بيدك؟!**

ذهبت لتحضير الشاي للحاج ومن ثمّ جئتُ به وقدّمتُه إليه وكانت الساعة تشير إلى ما بعد الثانية صباحاً.

وقبل أن ينهي الحاج المهندس الزيارة ويخرج طلب مسؤول الإدارة من المهندس أن يمرّر أسماء هؤلاء المجاهدين الذين تطوّعوا هنا للخدمات وإعداد الطعام والذين يبلغ عددهم ثلاثون شخصاً، فهم لم يستلموا رواتبهم منذ أشهر؛ بسبب بعض المشاكل الإدارية.

التفت الحاج إلى الدكتور الخفّاف وسأله عن وضعهم فقال له: نعم حجي، لكن إن شاء الله هذا الشهر يضافون إلى البودرة ويستلمون كامل حقوقهم.

نظر الحاج إلى الشهيد الجابري وطلب منه أن يتّصل بالحاج أبو موسى ويخبره أن يصرف لكلّ من هؤلاء المجاهدين مليون دينار من الأموال التي تأتي تحت عنوان تبرّعات للمجاهدين فهؤلاء أحقّ بها، فهم مجاهدون وأصحاب عوائل ومنذ أشهر لم يستلموا شيئاً.

رأيت الفرحة بانت على وجوههم وهم يستمعون لحديث الشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس.

عدنا إلى مقر إقامتنا منهكين وكلنا أمل في أن يتأخّر الحاج المهندس غداً في منامه حتى نستريح قليلاً، لكن هذا لم يحصل ولم يتحقّق أملنا بالنوم لوقت أطول، فقد دخل علينا الحاج المهندس بعد صلاة الفجر وهو جاهز والمسبحة في يده ليقول لنا: "**ها بويه منو جاهز؟**"

والله لم نسترح حينها حتى لساعتين بحيث خرجت من النوم مهرولاً إلى العجلة كي ألحق بالحاج المهندس دون أن أغسل وجهي، حينها تساءلت مع نفسي، هذا الرجل لا يستريح أبداً فمن هو الشاب نحن أم هو؟!

حتى لا يقولون جاء للتصوير؟

عندما نكون مع الحاج المهندس في الدار التي يسكنها، كنّا نجلس في صالة استقبال الضيوف، فيكون الحاج المهندس معنا أحياناً وأخرى يكون في غرفته الخاصة.

علماً أنّ الحاج المهندس كان يسكن في دار حكوميّة تابع لجهاز الأمن الوطني والذي أصبح فيما بعد تابعاً لهيئة الحشد الشعبي، فاتخذ الحاج المهندس من هذه الدار التي تقع في المنطقة الخضراء الأمنية مقراً للعمل ومكاناً للاستراحة.

بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٠ تحديداً في بغداد المنطقة الخضراء عند الساعة الحادية عشرة مساءً وقف الحاج المهندس في باب الصالة وقال لي: **تعال معي؛** فذهبت معه ورافقنا أيضاً الحاج أبو علي الكوفي والأخ المجاهد أحمد العسكري وأحد الأخوة المرافقين.

وما إن خرجنا من باب الدار حتى وجدنا عجلة أحد المرافقين وهي (كرايسلر C300) التي تسمّى في العراق (اوباما)، استفسر الحاج المهندس عن عائديتها، فأجابه الأخ المرافق أنّها لأحد الأخوة المرافقين، فقال له الحاج المهندس: **هل يسمح لنا فلان أن نذهب بعجلته الخاصة؟**

طبعاً هذا الطلب مدعاة فخر لصاحب العجلة التي يطلب الحاج المهندس استخدامها، وفعلاً جاء الأخ المرافق بمفتاح العجلة التي طلب الحاج المهندس أن يقودها بنفسه.

ركبنا العجلة مع الحاج المهندس دون أن نعرف الوجهة التي نحن ذاهبون إليها، فجلس الحاج الكوفي في مقدّمة السيارة وأنا والأخوة المرافقون جلسنا في المقاعد الخلفية.

خرجنا من المنطقة الخضراء وتوجّهنا نحو منطقة الكرادة داخل، حتى وقفنا عند أحد البيوت وطرقنا الباب وما إن فُتحت عرفتُ بأنَّها دار السيد أبي منير الحيدري، وكان الغرض من الزيارة هو تقديم العزاء للسيّد بوفاة عمّه، فالتقطت هذه الصورة للحاج المهندس وهو في دار السيّد الحيدري.

بقينا هناك حتى الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، ثم خرجنا من هناك وتوجّهنا نحو الجادرية التي كانت الحركة فيها شبه معدومة؛

بسبب الأجواء الماطرة والطقس البارد، حتى وصلنا إلى تقاطع فندق بابل، حينها كانت الإشارة حمراء، ولم نرَ هناك أي عجله متوقّفة سوى عجلتنا التي يقودها الحاج المهندس.

طال وقوفنا كثيرًا ومازالت الإشارة حمراء، فقلنا للحاج أبي مهدي: إنّ أغلب الإشارات لا تعمل، وهذه ستبقى حمراء حتى وإن طال وقوفنا للصباح.

فردَّ علينا الحاج قائلاً: **عزيزي والكامرات أخشى أن أُقدم على عبورها وتقطع غرامة لصاحب العجلة التي استعرتها منه؟**

ابتسمنا جميعنا للحاج المهندس وقلنا له: لا توجد كامرات كما لا توجد إشارات.

أكملنا مسيرنا حتى التقاطع الآخر الذي منه اتّجهنا نحو تقاطع جامعة بغداد في منتصف الطريق وجدنا أنّ الطريق مغلق موقتاً، والعسكري يشير للعبور إلى الطريق الآخر، كان الطريق مغلقاً بواسطة عجلة عسكرية تابعة إلى لواء (٥٦) المكلّف بحماية المنطقة الرئاسية وهو لواء يشكّل أغلبيته الأخوة من القومية الكردية.

اتّجهنا نحو الطريق الآخر (الرونك ساید) فتسائل الحاج المهندس عن سبب قطع الطريق؟

فقلنا له: ربما بسبب مجلس عزاء أو مناسبة، ومن المعتاد هنا قطع الطرق خوفاً من استهداف الحاضرين بعجلة مفخّخة كما حصل لعشرات المرّات في بغداد.

وفعلاً عندما اقتربنا أكثر وجدنا أنّ السبب وراء قطع الطريق هو موكب يقوم بطبخ الطعام إحياءً لذكرى شهادة السيدة الزهراء عليها السلام حسبما أتذكّر، وتقريباً كما هي الليالي الآن وأنا أكتب لكم في ذات الذكرى الأليمة.

أخبرنا الحاج المهندس أنّنا سنتوقف هنا لنشترك معهم بالثواب وهم يعدّون الطعام ليوم غد كي يوزّع على الناس.

وقبل أن أضع قدمي على الأرض قال لي الحاج أبو مهدي المهندس: **أبو لواء عزيزي لا تأتي بالكامرة معك حتى لا يقولون جاء للتصوير!**

فقلت له: نعم حجينا العزيز بالخدمة.

ترجلنا جميعاً نحو الأخوة أصحاب الموكب الذين لم يعرفوا الضيف القادم نحوهم وأقصد به الحاج المهندس.

وقفنا قليلاً ثم بادر الحاج لأخذ آلة الطبخ (الطخماخ) - وهي آلة تستخدم لهرس الطعام أثناء طبخه وكثيراً ما تستخدم عند طبخ القيمة النجفية - وفعلاً بدأ يشاركهم في عملهم، وبينما نحن واقفون جاء

عناصر من الجهاز المكلّف بحماية الموكب وكانوا من الأخوة الكرد وطلبوا من الحاج أن يسمح لهم بالتقاط الصور معه، فسألهم الحاج: **من أي الكرد أنتم؟**

فقالوا له: من هنا.

هل أنتم من جماعة مام جلال؟

نعم، نحن جماعة مام جلال.

كنت أعمل مع مام جلال منذ ١٩٨٠م وكان من أصدقائي المقربين وكنت أحبّه وهو يحبّني أيضاً.

طبعاً هنا إذا أردنا الحديث عن الوضع الأمني للحاج المهندس فهذا المسير كلّه كان يمثّل خطراً عليه، فمن السهل جداً استهداف الحاج المهندس في هذا الوقت المتأخر من الليل، والطرق شبه فارغة فهذه العوامل كلها تسهّل عملية استهداف أو لنقُل: اغتيال الحاج المهندس.

لكني منذ اليوم الأوّل الذي رأيت فيه الحاج المهندس وعملت معه وجدته يعمل بالاتكال على الله أكثر من أن يهيئ لنفسه وضعاً أمنياً خاصاً.

في هذه الأثناء خرج صاحب الموكب ورأى الحاج المهندس واقفاً وهو يمسك بيده الطخماخ، فسلّم عليه ورحّب به كثيراً وكان الوحيد

الـذي عـرف الحـاج المهنـدس، وأخبـر الحـاج أنّـه يتـابع أخبـاره بالعمليـات العسكرية، ويتابع كلّ الانتصارات التي قادها الحاج المهندس.

شكر أبو مهدي صاحب الموكب على حفاوة الاستقبال والكلمات الطيبة، وأخذ يتحدّث معه لبرهة من الزمن حتى طلب الحاج من صاحب الموكب أن يسمح له بمغادرتهم، فطلب صاحب الموكب أن يبقى الحاج المهندس جالساً معهم، وفعلاً أخرجوا لنا الكراسي وجلسنا جميعاً على الطريق العام وطال الحديث حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وعندها طلب الحاج من صاحب الموكب أن يسمح له بالذهاب، فطلبوا من الحاج أبي مهدي المهندس أن يسمح لهم بالتقاط الصور معه، ذلك الطلب الذي اتخذته ذريعة لإخراج هاتفي النقّال والتقاط هذه الصورة التي ترونها أمامكم الآن.

لم تكن دقّة الصورة عالية؛ لأنّها التقطت بواسطة الهاتف وكانت الإنارة غير كافيه للتصوير.

وقبل أن نذهب طلب صاحب الموكب من الحاج المهندس أن يرسل غداً عجلة من أجل أخذ الطعام للثواب له ولمرافقيه.

ابتسم الحاج المهندس وقال له: **وزّعه على الفقراء أفضل منّا.**

لكن صاحب الموكب أقسم عليه أن يرسل عجلة غداً؛ لأنّهم لا يستطيعون دخول الخضراء بسبب الطوق الأمني.

وفي اليوم الثاني استيقظنا مع الحاج المهندس لنخرج إلى مقر هيئة الحشد الشعبي، فطلب الحاج من الأخ المرافق الذي كان معنا أن يذهب ويأتي بالطعام من صاحب الموكب الذي أقسم علينا البارحة.

وبعد ساعة تقريباً جاء الأخ إلى الحاج المهندس وقال له: حجي وين أودي هذا الطعام؟

فردّ عليه الحاج: **عزيزي تناولوا الطعام أنتم والأخوة الموجودون في الدار.**

ابتسم الأخ بوجه الحاج المهندس وقال: حجي الطعام كثير جداً وربما يكفي للعشرات.

فخرج الحاج المهندس إلى باب الدار ليرى كمية الطعام بعينيه، وفعلاً عندما خرجنا وجدنا أنّ الأخ صاحب الموكب قد أرسل قدراً كبيراً من الرز وآخر من المرق يكفيان لأكثر من (٣٠٠ شخصاً).

ابتسم الحاج المهندس وهو يقول: **تصوّر صاحب الموكب أنّ لي جيشاً من المرافقين وظنّ أنّ الطعام ربما لا يكفي لهم فأرسل هذا الكم الهائل منه، خذوا الطعام ووزّعوه على القطعات العسكرية المنتشرة هنا في المنقطة الخضراء.**

فعلاً كان أغلب الناس يظنّون أنّ للحاج المهندس جيشاً من المرافقين وأرتالاً من السيارات، لكن الواقع وكما ذكرت لكم في مواقف سابقة من هذا الكتاب، أنّ الشهيد القائد الحاج أبا مهدي المهندس كان يستقل سيارة الأجرة أحياناً وهو في ذات المنصب، وفي مرّات عديدة كان يرفض رفضاً قاطعاً أن يرافقه أيّ شخص مهما كان ويبقى هو يسير بمفرده بين الناس.

زيارة وزارة المالية:

لم يكن الحاج المهندس قائداً عسكرياً فقط، بل كان بمثابة الروح التي تمنح الحياة للحشد الشعبي.

بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٣ تحديداً في محافظة بغداد أخبر الحاج المهندس السيّد الشهيد محمّد رضا الجابري أن يعمل على ترتيب موعد سريع مع وزير المالية وكان حينها الوزير هوشيار زيباري، وفعلاً تم تحديد الموعد في نفس اليوم.

تحرّكنا على الفور إلى وزارة المالية وكانت الساعة العاشرة صباحاً، دخلنا مقر الوزارة وتوجّهنا إلى مكتب الوزير وتوقّفنا هناك لدقائق معدودة وبعدها خرج علينا الوزير والابتسامة تعلو وجهه وقد فتح ذراعيه لاستقبال الحاج المهندس.

وقبل أن يشرع الحاج المهندس بالسلام قال له: **هل هذه الابتسامة لحفاوة الاستقبال أو هي تمهيداً لقطع الميزانية؟ ثمّ ابتسمنا جميعاً ودخلنا إلى مكتب الوزير.**

كان الغرض من هذه الزيارة هو إطلاق مستحقات الحشد الشعبي التي توقّفت بسبب التقشّف كما يدّعون، بينما كان الحاج المهندس يقول دائماً: "التقشّف لا يصيب سوى الحشد الشعبي"؛ ويقصد بذلك أنّ التقشّف سياسي أكثر ممّا هو واقعي.

جلسنا في مكتب الوزير والتقطت هذه الصورة للحاج المهندس مع وزير المالية.

وهنا شرع الوزير بحديثه عن التقشّف والوضع المالي للبلد وكيف يعملون على قطع جزء من الميزانيات حتى وصل بعض القطع إلى النصف.

فردّ الحاج المهندس معلّقاً على حديث الوزير الذي أشار للقطع قائلاً: **سيادة الوزير نحن مجاهدون وفي ساحات الحرب ولدينا يومياً عشرات الشهداء ومئات الجرحى ولهم حقوق في أعناقنا، فحين تريدون قطع شيء من الميزانية فاقطعوا من أصحاب المكاتب المترفة وأرتال العجلات.**

أنا الذي أتحدث معك الآن وقد وصلت قبل أيام قلائل من معارك بيجي، وجئت إلى هنا من أجل حقوق هؤلاء الناس الذين تقطّعت أجسادهم بالمفخّخات والعبوات الناسفة.

أتعلم أنّ لدينا مقاتلين لم يستلموا رواتبهم منذ شهرين وثلاثة أشهر؟!

أتعلم أنّ لدينا شهداء لم تصلهم أي رواتب أو مستحقّات حتى الآن؟!

إذا أردتم قطع شيء فاقطعوا ممّن يستحقون القطع وليس منّا نحن.

عاد الوزير إلى نفس الحديث الأوّل وهو الإشارة إلى القطع، لكن هذا المرَّة قالها وهو يبتسم: "حجي راح نقطع نص موازنتكم فقط".

فردَّ عليه الحاج المهندس برد أنهى فيه أحلامه بالقطع: "**قم بإعطائنا نصف موازنتنا إضافة للموازنة الحالية، وسنبقى مدينين لك بهذا النصف إن شاء الله تعالى، وبعد انتهاء المعارك إن عدنا سالمين نرجع ما ندين لكم به**".

غيّر الوزير الحديث عن المالية والمخصّصات وذهب ليستذكر صدام ونظامه الإجرامي مع الحاج المهندس، وانسحبنا أنا والسيّد الشهيد الجابري إلى المكتب الثاني.

وبعد ما يقارب النصف ساعة خرج الحاج المهندس علينا وتوجّهنا نحو الخضراء، ونحن في العجلة سأل الشهيد الجابري الحاج المهندس عن الميزانية وهل أُطلقت أو قطع منها شيء؟

فردّ المهندس: **نعم يا عزيزي أطلقها، لكن بمعاناة، فالرجل يقول: إنّ لديَّ أمراً من رئيس الوزراء بإعطاء نصف الميزانية للوزارات.**

وبينما نسير صوب المنطقة الخضراء كنت أحدّث نفسي: لو كنت خارج هذه الإدارة واسمع أنّهم يقولون: إنّ الحاج المهندس تحدّث هكذا مع وزير المالية من أجل حقوقكم وهكذا عانى حتى أطلقها، فلم أكن لأصدّق؛ لكن بحكم عملي القريب من الحاج المهندس كنت

أسمع وأرى ما لا يتخيّله العقل؛ إذ كان الحاج المهندس مستعداً لشن حربٍ على نفسه من أجل حقوق المجاهدين.

وصلنا الخضراء حيث مقر هيئة الحشد الشعبي، ومع وصولنا حان وقت صلاة الظهر، فأخبر الجابري المهندس أنّ الإجتماع الأمني لقيادة العمليات عقد منذ دقائق وهم بانتظارك.

فأجابه المهندس: **عزيزي محمّد أخبرهم بوصولي، وقل لهم: أحتاج لـ١٥ دقيقة من أجل الصلاة فقط.**

فعلاً أتممنا الصلاة ودخلنا الإجتماع برفقة الحاج المهندس، فجلست على الكرسي الذي يقابل وجه المهندس؛ كي أستطيع تأدية دوري بتصوير الإجتماع.

انتهى حجم سعة ذاكرة الكامرات ولم ينتهِ الإجتماع بعد، فخرجنا للصلاة وتناول العشاء، لنكمل بعدها الإجتماع الذي استمرَّ حتّى منتصف الليل، كنت أنظر إلى وجه الحاج المهندس وقد بان التعب عليه، فقد استيقظنا مع الحاج المهندس منذ صلاة الفجر وما زلنا مستيقظين ولم تبقَ سوى ساعات كي ندرك صلاة الفجر لليوم التالي.

كنت أتساءل مع نفسي، هل يعلم عامة الناس في العراق ماذا يقدّم لهم الحاج المهندس؟ هل يعلم المجاهدون كيف يحارب هذا المجاهد من أجل حقوقهم؟ هل يعلمون أنّ الشهيد القائد الحاج أبا مهدي المهندس لم ينم من هذا الليل سوى ساعات قلائل من أجل أن نبقى نحن وعوائلنا بسلام؟!

حتماً أغلبهم لا يعلم؛ فهو لم يؤسّس لنفسه قناةً فضائيةً لتنقل أخباره، ولم يفتح حساباً مموّلاً كي تتصدّر صورُه مواقع التواصل الإجتماعي وشاشات التلفاز.

حتى بعد شهادة الحاج المهندس وأنا أكتب لكم الآن، فإنّ أغلب الناس لا يعرفون قيمة هذا القائد، ومَن سمع خبر استشهاده لم يدرك مَن هو الحاج المهندس الذي اغتالته أمريكا وسط مطار بغداد الدولي.

باب الخضراء:

كان تعامل الحاج المجاهد أبي مهدي المهندس مع الإعلام مقتصراً على ما هو ضروري فقط، وكان يخشى من الظهور الإعلامي ونشر صوره كثيراً؛ وذلك خوفاً من أن يقع في الرياء؛ فحين كنت مصوّراً معه كان يعلم أنّ هذا التصوير يذهب للأرشيف فقط، وما كان يتم بثّه ونشره فهو قليل جداً ومن دون علمه أو طلبه.

أتذكّر جيداً في يوم من أيام العام (٢٠١٦ م) رفع اللواء (٤٠) في هيئة الحشد الشعبي، صورة للحاج المهندس وهو يقبّل جبين السيّد محمد العذاري – رجل الدين الكبير في السن والذي تواجد في أغلب العمليات العسكرية ويعمل مسؤولاً للتوجيه العقائدي في اللواء – وكان حجم الصورة كبيراً ويلفت انتباه جميع المارة بين مدخل ومخرج بوّابة الخضراء باتجاه جسر الطابقين.

حين خرج المهندس ورأى الصورة أمام عينيه قال: مَن الذي رفع هذه الصورة ومَن قال لهم أن يضعوها هنا؟!

طبعاً لم يجبه أحد؛ لأنّنا لم نعرف مَن قام برفعها في تلك اللحظة، لكنّها كانت تحمل اسم وشعار اللواء، فعندها أوقف الحاج المهندس العجلة، وطلب من المرافقين إزالة الصورة فوراً، وبالفعل تم إنزال الصورة بعد يومٍ واحدٍ من وضعها في بوابة الخضراء.

قال الحاج المهندس بعد هذه الحادثة: "أخبروا كلَّ ألوية الحشد الشعبي والمديريات أنّه يمنع رفع صورة لي سواء داخل المديريات أو حتى في الطرق العامة".

في إحدى مهرجانات الحشد الشعبي التي تقيمها مديرية الإعلام في هيئة الحشد الشعبي داخل قاعة الشهيد حيدر الميّاحي[١] وكان الحاج أبو مهدي المهندس من المدعوين للحضور، فحين دخل إلى المهرجان رأى صورة شخصية له موضوعة في البوستر الكبير الذي رفع على الجدار خلف منصّة المهرجان، فنادى الحاج مهنّد العقابي وطلب منه فوراً إزالة الصورة من على البوستر وذلك قبل أن يجلس في مكانه.

طبعاً إزالة الصورة في هذا الوقت وأمام الكاميرات مع بدء المهرجان يعدّ أمراً بالغ الصعوبة، لكن الحاج المهندس أصرَّ على إزالة الصورة رافضاً اعتلاء المنصة قبل إزالتها.

فما كان أمام الحاج العقابي سوى أن يطلب من الأخوة كادر المديرية أن يضعوا بوستراً ورقياً على صورة الحاج المهندس في البوستر الرئيسي حتى انتهاء المهرجان وتغيير كامل البوستر.

١- الشهيد حيدر عبد الواحد الميّاحي، مسؤول فريق المراسلين في مديرية الإعلام، استشهد عام ٢٠١٧م أثناء تحرير مدينة الحضر في محافظة الموصل.

وفعلاً وضع البوستر الورقي على صورة الحاج المهندس طيلة وقت المهرجان، وهذه الصورة لصورة الحاج المهندس وهي مغطّاة بذلك البوستر الورقي.

كان هذا درساً عظيماً لجميع مَن حضروا هناك، وأيضاً مَن شاهدوا صور البوستر أو تابعوا المهرجان مفاده هو أنّني خارج هذا الإعلام الذي يذهب بعمل الفرد سدى؛ حيث لا يخلو من الرياء.

حتى وإن كان للمريخ:

لو عمل كل مسؤول وقائد بمقدار الربع ممّا قام به الحاج المهندس لما بقي هناك إنسانٌ مظلومٌ أبداً، لا أريد أن تقولوا وصل الأمر إلى حدّ المغالاة بالحاج المهندس فهو كغيره من سائر الناس؛ صحيح هو من سائر الناس لكنّه ليس مثلهم إطلاقاً.

الذي يعرف المهندس عن قرب ويعمل معه سيعي ماذا أقول، نعم كتبت لكم في مقدّمة الكتاب أنّي سأكتب ما سيقبله العقل فقط، وإلاّ لو أردنا الحديث عمّا رأيناه من الحاج المهندس لقلتم إنَّكم تغالون.

في العام ٢٠١٤م تحديداً في عمليات تحرير جرف النصر كتب الله لنا شرف المشاركة فيها كما زادنا الله شرفاً من خلال التعرّف على هذا الشاب الخلوق والأخ العزيز خالد الغزالي[1] ذو الـ٢٤ عاماً، وطالب المرحلة الأولى قسم القانون في الجامعة الإسلامية التي تركها وترك

١-الجريح خالد زهير الغزالي أحد مجاهدي الحشد الشعبي، والذي أُصيب بقذيفة (SPG-9)أثناء تحرير قضاء جرف النصر (الصخر).

كلَّ شيء خلفه حتى تلك الأحلام التي رسمها خالد لنفسه، فلبّى نداء المرجعيّة مدافعاً عن الأرض والعرض والمقدّسات.

لم أكن أعرف شيئاً عنه سوى أنّه صديق لصديقي، كما أعرف أنّه من سكنة النجف الأشرف.

أشرقت الشمس على تكبيرة لعدوّ لا يُكبّر إلاّ لقتل المسلمين، وبعدها نزل علينا وابل الرصاص كالمطر الغزير، اشتبكنا واستمرَّ ذلك الاشتباك لساعات، وفي تلك الساعات حُسم النصر لنا، لكنّه كان نصراً تنقصه ابتسامة خالد؛ إذ أخبرني صديقي أنّ خالداً قد أُصيب أصابة بالغة جداً ونحن لا نعلم هل نال وسام الشهادة أو لا يزال حيّاً؟!

مـرّت السـاعات لتبـيّن لنـا أنّ الأخ خالـد مـازال حيّـاً لكـن جراحـه توزّعـت على كلّ أجزاء جسمه ولم تُبقِ فيه شيئاً سليماً.

نُقـل خالـد إلـى الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة ليتلقّـى العـلاج هنـاك، فأُجريـت لـه ستّ عمليـات كبـرى بقـي علـى أثرهـا راقـداً فـي مستشـفى بقيّـة الله في طهران لأكثر من عام.

بقيـت علـى تواصـل مـع خالـد، لكنّـه لـم يكـن تواصـلاً قويّـاً جـداً؛ لأنّـي كنـت فـي العمليـات العسـكرية لأغلـب الوقـت، والفتـرة التـي كلّفـت فيهـا مـع الحـاج المهنـدس كانـت شـبه إنعـزال كامـل عـن النـاس، بسـبب تواجـدي لفتـرات زمنيـة طويلـة مـع الحـاج أبـي مهـدي المهنـدس الـذي يبقـى فـي العمليـات العسـكرية لأشـهر مـع عـدم وجـود أي وسـيلة أتصـال، وخالد أيضاً كان في أغلب الأيام يتلقى العلاج خارج العراق.

فـي عـام ٢٠١٧م زرت هـذا الجـريح البطـل، الـذي يسـتحقّ بجـدارة أن يُطلـق عليـه لقـب "الشـهيد الحـيّ"، لكـن خالـد لـم يكـن علـى مـا يـرام ومـن خلال كلامه ظهر لي أنّ هناك أمراً ما يضايقه.

طلبـت منـه أن يتحـدّث عمّـا إذا كـان هنـاك شـيء يضـايقه، لكنّـه كـان يتهـرّب مـن السـؤال بسـؤالي عـن الجبهـة والحـرب، وهـل يمكـن لـه أن يعـود مـرَّة أخـرى إلـى سـاحات الجهـاد؟! لكـن إصـراري عليـه أجبـره أن

يخبرني بأنَّ الطبيب في الجمهورية الإسلامية قد أبلغه بأنني غير قادر على عمل شيء لك أكثر مما عملته لك.

ماذا ستفعل إذن؟

ذهبت إلى لبنان والتقيت هناك بطبيب معروف جداً في بيروت وهو من أصحاب الإختصاص بمثل هذه الإصابات، وحين رأى جراحي أعاد لي الثقة بإمكانية معالجتي كثيراً وفي نفس الوقت أحبطني بتكاليف العملية.

ماذا قال لك؟

قال إنّ عمليات فتح الرأس وفتح قدمي وزراعة الفك تكلّف ١٠٠ ألف دولار، وأنت تعلم جيداً أنّي لا أمتلك شيئاً من هذا الرقم، وتلك العمليات كلها تجري ضمن عملية واحدة.

هل لديك تقرير الطبيب الذي التقيته في بيروت؟

نعم لدي تقريره، كما أنّ لدي صور الأشعة التي تبيّن حجم الدمار في وجهي.

أرسلْ كل تلك الصور مع تقارير الطبيب إليّ، وكذلك صورة لك قبل الإصابة.

أرسل لي خالد كل الصور والتقارير الطبية، دون أن يعلم ماذا سأفعل بها.

قمت بطباعة جميع الصور والتقارير وجمعتها معاً ووضعت في أعلى الملف صورة للجريح خالد قبل الإصابة لتظهر شدّة جراحه التي أصابت جسمه بشكل كامل، ومنطقة الرأس والوجه بشكل خاص.

أخذت التقرير وتوجّهت إلى بغداد حيث مقر سكن الحاج المهندس، لكنّني علمت هناك من الأخوة المرافقين أنّ أبا مهدي قد توجّه إلى مقر العمليات في تل عبطة[1].

كنت حينها مجازاً وكان هذا وقت استراحتي، لكن أمر هذا الجريح كان معلّقاً بين الحياة والموت؛ فالالتهابات بدأت تنهش عظام وجهه وفكّه.

تحدّثت مع الحاج أبي عقيل الكاظمي فقال سنذهب أنا وأنت معاً، فأنا أيضاً أريد لقاء الحاج المهندس بخصوص عملي.

بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٠م توجّهنا من بغداد إلى منطقة تل عبطة التي تبعد عن بغداد ما يقارب ثمان ساعات، حيث كان طريقها عسكري فقط وهو طريقٌ وعرٌ جداً.

١- قرية تل عبطة هي إحدى قرى محافظة الموصل التي احتلها داعش عام ٢٠١٤م، وتمَّ تحريرها في عام ٢٠١٧م على يد أبطال الحشد الشعبي.

وصلت إلى مقر العمليات ووجدت هناك بعض الأصدقاء فسألتهم عن الحاج المهندس، أخبروني أنّه في إجتماع مع قائد العمليات المشتركة الفريق الركن عبد الأمير يار الله.

بقيت منتظراً حتى انتهى الاجتماع، وحين خرج الحاج ورآني إبتسم في وجهي وهو بتلك الهيئة النورانية الجميلة، التي تشعر بالفخر والسعادة كلّ من نظره إليها.

ها بويه اليوم هنا؟

نعم حجي جئتك من أجل صديقي الجريح خالد الذي أصيب في إحدى العمليات العسكرية وأُهمل من قبل الجهة التي قاتل تحت لواءها، وبينما كنت أشرح للحاج المهندس أخذ الملف وصار يتصفّحه حتى وصل إلى صورة جراح خالد.

فأغلق الملف فوراً وقال: **بويه عزيزي انت؛ آني بعد ما عندي قلب أتحمّل مشاهدة هكذا صور انت سولفلي شنو تريد يجرى لك؟**

أجبته: حجّينا العزيز خالد يحتاج لعدّة عمليات كي يرجع جزء من وجهه الطبيعي، وعلاجه هذا موجودٌ حصراً في لبنان وأوّل عملية فقط لزراعة الفك تكلّف ١٠٠ ألف دولار.

والله لو للمريخ أدزه مو لبنان، حتى ولو كلفت العمليات مليون دولار هم مو مشكلة، هذا جريح انطه دمه من أجل أن يبقى العراق واقفاً، كيف ينسى الآن؟!

سحب قلمه ووقّع على صورة خالد، وأثناء التوقيع على ملف خالد التقطت للحاج المهندس هذه الصورة.

سلّمت الملف مع توقيع الحاج للأخ المجاهد الدكتور علي الخفّاف الذي أستلم الأمر شفهياً مع التوقيع لمتابعة الحالة.

وفعلاً أرسل الجريح خالد إلى بيروت وأجريت له عدّة عمليات، ومازال إلى الآن تحت العلاج الذي لولا فضل الله علينا بالحاج المهندس لبقي خالد أسير تلك الجراح.

لم يلتقِ خالد بالحاج المهندس إطلاقاً، لكن بسبب هذا الموقف لم تجف دموع خالد منذ ليلة شهادة الحاج أبي مهدي المهندس وحتى الآن وبين يوم وآخر نذهب إلى قبره فيجلس ويتحدّث مع القبر ثم يلتفت إليَّ قائلاً: أبو لواء هنا دفن والدنا وليس قائدنا فقط.

عندما نحزن ونبكي على فراق الحاج المهندس ليس بسبب رحيله فقط، فهو رحل شهيداً وهذا ما كان يتمنّاه؛ لكن بكاؤنا على أبي مهدي لخسارتنا له.

غرفة العمليات:

عندما يوضع اسم المدينة الفلانية على طاولة غرفة العمليات لوضع خطّة التحرير، يبتدأ كادر الحاج المهندس من المجاهدين الأبطال بإنشاء غرفة عمليات متكاملة بأبسط الإمكانيات المتاحة، لكن بأفضل جودة.

عادة لم تكن غرفة العمليات بعيدة عن موقع العمليات، فربما لا تتجاوز المسافة بينهما الكيلومترين، وأحياناً لا تفصلها مسافة كبيرة عن مواقع العدو.

وهنا يشرع الحاج المهندس بهندسة العمليات، عندما أقول هندسة فإنّني أعي ما أقول؛ لأنّي كنت أرى أدق التفاصيل بعيني وأسمع كلَّ شيء، ومن هنا كنتُ على يقين أنّ الحاج أبا مهدي المهندس مهندسُ نصرٍ عظيم.

من أولويات غرفة العمليات هو أن يجلس فيها كل قادة الأصناف في هيئة الحشد الشعبي، وكل المدراء العامّين باستثناء المالية والإدارة، كما ويتواجد فيها كل المراتب من القوات الأمنية التي ستشرع معنا لبدء عمليات التحرير.

يوعز الحاج المهندس بأمر فوري للإتصالات أن تنهي مهامها خلال ساعات بتأمين كل المحاور والقطعات العسكرية بالاتصالات، كما يوعز إليهم بربط الكاميرات الحرارية وغيرها التي ترصد تحرك العدو وتنقل الصورة مباشرة إلى غرفة العمليات.

كما يكلّف الأخوة في جهاز الاستخبارات لإنهاء عملهم الإستطلاعي الجوي والميداني، وطباعة الخرائط الحديثة للمناطق مع تحديد مواقع قواتنا لتميّزها عن مواقع العدو.

وهنا يجمع الحاج المهندس كلَّ أبناءه من المجاهدين والقوات الأمنية تحت سقفٍ واحد، وبعد قراءة سورة الفاتحة على أرواح الشهداء يبدأ الحاج المهندس بالحديث عن موقع العملية وحيثياتها.

ربما يتساءل القارئ ماذا أستفيد أنا من تلك المعلومات التي تتحدّث عن المواقع العسكرية وغرف عمليات؟

ما أريد الإشارة إليه في حديثي هذا يستكمل لكم في آخر القصة مع الصورة.

فمنذ ساعات الفجر الأولى يبدأ الحاج المهندس عمله المتواصل في غرفة العمليات حتى يصل بنا الحال في بعض الأيام إلى أن ندرك صلاة الفجر لليوم الثاني ونحن لم نغادر غرفة العمليات إطلاقاً.

فيبدأ بدارسة المحاور ميدانياً أولاً، فيكون قريباً من مواقع العدو ويشاهد بعينه كلَّ شيء، وأخرى عن طريق المعلومات التي يقدّمها جهاز الاستخبارات له.

ومن ثم يقوم الحاج المهندس بدارسة كلّ ما تم جمعه من المعلومات ميدانياً وجوياً مع واقع العملية المراد القيام بها، وإمكانات المجاهدين في الحشد الشعبي، وحتى إمكانات القوات الأمنية التي ستشرع معنا بعملية التحرير.

وهنا يقوم بتوزيع المهام والمحاور حسب الإمكانات العسكرية المتوفّرة، فبعض ألوية الحشد الشعبي تكون مهامها رأس الحربة في العمليات، وأخرى تكون مهامها الإسناد حسب القدرة القتالية وكفاءة المقاتلين، فيتم توزيع مهام العمليات وتقع مهمّة التقييم على عاتق المهندس فقط.

عندما ينتهي الإجتماع ويغادر القادة غرفة العمليات، يبقى المهندس في مكانه لساعات وفي أغلب المرّات يكون وحده، كانت لي الحرية المطلقة بحكم عملي أن أبقى معه أو أدخل عليه حتى وإن كان جالساً لوحده.

حين تقترب ساعة الصفر يبقى الحاج أبو مهدي طيلة تلك الساعات في غرفة العمليات ولا يغادرها حتى تشرع قواتنا بالتقدم بنداء يبدأه الحاج المهندس بآية قرآنية واسم العمليات.

وهذا نصّ نداء عمليات تحرير قرى محافظة الموصل عام ٢٠١٧م:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

صدق الله العليّ العظيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في هذا اليوم الشريف يوم المبعث النبوي ٢٧ رجب المصادف ٢٠١٧/٤/٢٥م تبدأ عملياتنا بنداء محمّد رسول الله، تقدّموا وتوكّلوا على الله سبحانه وتعالى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وما إن ينتهي النداء تشرع القوات بالتقدّم، وحين يسمع أبو مهدي صوت أوّل إطلاقة قذيفة يقول: "**يلّه بويه خل نطلع**".

فيقوم بمتابعة كل المحاور ميدانياً بلا أي مرافق سوى الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري والأخ المجاهد الشيخ أبي عقيل الكاظمي، وأنا والسائق الشخصي.

تبدأ الجولة من محور إلى آخر مع قادة المحاور، "**ها بويه شلونه وضعكم؟! شنو تحتاجون الآن يا أبطال؟!**"

فيكون ردّ الجميع بلا أي اتفاق مسبق: حجي نريد شيء واحد أن ترجع إلى غرفة العمليات فقط.

فيبتسم ويقبّلهم بتلك القبلة التي اعتاد عليها كل المجاهدين وهو يقول: "**بويه أنّي واحد منكم شلون أرجع؟!**"

١- محمد: آية ٧.

يحين وقت الصلاة فيقيمها على الساتر الذي لا يتركه إلاّ عندما يزّف ذلك النداء إلى المجاهدين، نداء النصر المُهْدى إلى صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف)، فحين يسمع الحاج المهندس نداء النصر، يطلب من الحاج الكاظمي جهاز النداء ليزفّ النصر ويشكر القوات المتقدّمة بتلك الكلمات الجميلة.

هذا نص نداء تحرير عمليات القيروان عام ٢٠١٧م:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]

صدق الله العليّ العظيم

السلام عليكم أيها المجاهدون جميعاً ورحمة الله وبركاته.

مبارك لكم هذا النصر الكبير وهو الوصول إلى نقطة التلاقي بين الحدود العراقية السورية، آملين إن شاء الله أن نستمر في تطهير كلّ الحدود من تنظيم داعش وإنهاء هذا التنظيم من أرض العراق.

هذا النصر لم يتحقّق لولا جهودكم ودماء الشهداء والجرحى، وكرم الناس، ودعاء مرجعيتنا الرشيدة.

١- المؤمنون: آية ١.

موفّقين إن شاء الله، ومن نصر إلى نصر، حتى إكمال صفحات هذا العمليات المباركة، وفقكم الله لكلّ خير.

وبنداء يا فاطمة الزهراء عليها السلام حقّقنا ما حقّقناه، وببركة وجود إمامنا المعصوم عجل الله فرجه سيكتمل إن شاء الله تحقيق هذا النصر.

وفّقكم الله جميعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عندما ترى وجوه المجاهدين وهم يسمعون هذا الصوت وتلك الكلمات تشعر فعلاً بطعم النصر.

ما مرّ عليكم في حديثي عن العمليات وقيادتها ربما يراه البعض بسيطاً، أو يرى أنّ هذا هو دور القائد، والمهندس كان يؤدّي واجبه فقط.

لكن عندما ترون هذه الصورة التي هي أمامكم ماذا ستقولون؟

هذه الصورة التقطتُها للشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس في غرفة عمليات المزرعة والتي منها كان يقود الحاج عمليات تحرير سلسلة جبال مكحول ومنطقة الفتحة، وفي تلك العمليات لم يكن الوضع الصحي للحاج المهندس على ما يرام، فقد بان عليه التعب والإرهاق حتّى صار يشعر بتعبه ووضعه الصحي كل مَن يجلس في غرفة العمليات، فهو لم يكن على ما يرام.

طلب من الأخ المجاهد الدكتور عليّ الخفّاف أن يتفحّص وضعه الصحي، وحين قام بفحصه طلب من الحاج المهندس أن يترك غرفة العمليات ويرجع إلى بغداد ليتلقّى كامل العلاج هناك ويرتاح جسدياً في داره.

فما كان من المهندس إلاّ أن ردّ على الدكتور بالرفض، والإصرار على البقاء في غرفة العمليات حتى ينتهي الواجب ويزفّ النصر.

فعلاً بقي الحاج المهندس يتابع سير العمليات وهو تحت متابعة الأطباء الذين اتخذوا من غرفة العمليات ردهة طبية لمتابعة وضع المهندس الصحي بين ساعة وأخرى.

عندما كنت أرى الحاج المهندس بهذه الصورة وأشعر بتعب بدنه من حيث الحركة وحتى الكلام، كنت أتساءل مع نفسي، ماذا يقدّم العراق وشعبه للحاج المهندس حين يتحرّر العراق؟

لكن ولله الحمد ردّ العراق وشعبه الكريم ذلك الفضل بذلك التشيع المهيب والدموع الغزيرة التي أصبحت أحر من نار جهنّم على الشامتين برحيل قادة النصر.

أقولها لكم، وأنا على يقين تام، يمكن للعراق أن يخرّج آلاف المهندسين من كلّ الأصناف لكن يستحيل أن يخرج لنا مهندساً واحداً للنصر كالحاج المهندس.

التقينا في القائم[1]:

منذ أشهر وأنا لم أرَ الحاج المهندس ولم ألتقِ به بسبب انشغاله الكبير والكثير، كنتُ في بعض المرّات أذهب إلى الخضراء فأجده في إجتماعٍ ما وأحياناً لم أجده.

كانت أيام تحرير مدينة القائم تقترب فطُلب منّا الذهاب إلى هناك، وكان واجبي حينها عسكرياً، وفعلاً وصلنا إلى مطار (H3)القريب من الحدود العراقية السورية على متن طائرة القوة الجوية العراقية (C130) بصحبة الأخ المجاهد الحاج حيدر البهادلي، والأخ المجاهد أبي منتظر الحسيني، والحاج أبي علي الكوفي، والحاج المجاهد أبي إيمان الباهلي، وعدد من الأخوة المجاهدين، بقينا تلك الليلة في مطار(H3) وكانت ليلة متعبة جداً بسبب الطقس البارد.

بتاريخ ٢٠١٧/٩/١٥م تحديداً في مطار(H3) خرجنا لنستقبل الحاج أبا مهدي المهندس الذي وصل برفقة الفريق الركن عبد الأمير يار الله، وعندما رآني قام باحتضاني وهمس في أذني: "**ها صاير عصائب**؟ ابتسمت وقلت له: حجي أنا أحارب مع مَن يحارب لله.

١-قضاء القائم أحد أقضية محافظة الأنبار احتلته داعش عام ٢٠١٤م وحُرّر على يدي أبطال الحشد الشعبي عام ٢٠١٧م.

بقي ممسكاً بيدي والتفت إلى الفريق عبد الأمير يار الله وقال له: **شوف عزيزي هذا يقول من يحارب الله أني وياه!!**

لا حجي إلي يحارب لله أني وياه، مو إلي يحارب الله.

أبتسم واحتضنني مرَّة أخرى ليهمس بأذني مرَّةً أخرى: **بويه أنتم أبطال.**

حينها أُلتقطت لي هذه الصورة من قبل أحد الأخوة الذين كانوا معنا.

بعد (٢٤) ساعة من وصول الحاج المهندس شرعنا بالتقدّم على مدينة عكاشات والقائم، وقبل أن نباشر بدخول المدينة اتخذنا من إحدى تلالها نقطة للإستطلاع على المدينة، وكان معنا الحاج أبو مهدي المهندس.

في هذه الأثناء تقدّمت نحونا عجلة مفخّخة، فكان الأقرب والأدق على استهدافها صاحب منصّة التاو[1] الذي أتخذ من أعلى التلة موقعاً له.

١- منصّة إطلاق صاروخ موجّهة ومضادة للدروع.

وبنداء "يا حسين" تقطّعت أوصال تلك العجلة المفخّخة ومَن يقودها حتى أصبحا رماداً.

وفي هذه الأثناء جاء الحاج المجاهد أبو إيمان الباهلي ليخبر الحاج المهندس أنّ العدو قد أخذ احداثية التلّة التي نقف عليها الآن وسيستهدفها بصواريخ الكاتيوشا، وهذا ما سمعه قسم الرصد من خلال التنصّت على نداءات العدو، وفعلاً طلب الحاج المهندس من الجميع مغادرة المكان قبل أن يغادره هو.

كانت التلّة مرتفعة جداً ولا يوجد فيها أي طرق معبّدة ومهيأة للنزول، ومَن يريد النزول منها عليه أن يحذر بشدّة من السقوط، وهنا أمسكت بيد الحاج المهندس ونزلنا سوية، أثناء النزول أوشكت على السقوط لكن الحاج المهندس منعني عن السقوط، وحين وصلنا إلى الأرض قلت له ممازحاً: شفت حجي شلون كان وقعت لو ما لازم ايدي.

نظر لي وهو يبتسم ثم قال: **شوف آني صح مركز بتقدّم القوات بس انت إلي ردت تسقط لو ما لازم ايدي، مو العكس.**

قلت له: حجي حتى هاي انته منتبه إلها!!.

تحرّرت القائم وعاد أهلها بسلام إليها، وعدنا نحن إلى ديارنا بعشرات الشهداء والجرحى.

وأُرسلت لي هذه الصور من أحد الأصدقاء، حيث التقطها بغير علمي أثناء نزولنا من التلّة أنا والحاج أبو مهدي المهندس.

والتي أعتبرها الآن من أجمل الصور التي جمعتني بالحاج الشهيد أبي مهدي المهندس.

مواقف قصيرة:

الإتصال:

في محافظة صلاح الدين تحديداً عمليات تكريت.

من المعتاد أنَّ الحاجَّ أبا مهدي المهندس حين يتناول الشاي يكون مع التمر بدل السكر؛ لذلك دائماً الإخوة المرافقون يأتون بعلب تمر في عجلاتهم.

ذلك اليوم كانت علبة التمر في عجلة الحاج أبي عقيل الكاظمي، علماً أنَّ أغلب الإخوة في مكتب الحاج المهندس وحتى الحاج أبو مهدي شخصياً ينادون الكاظمي بلقب الشيخ أبي عقيل الكاظمي أكثر من أن ينادوه الحاج.

طلب الحاج المهندس من الأخ الشهيد محمّد رضا الجابري أن يأتي له بكوب من الشاي.

فتذكّر الجابري أنَّ التمر بقي في عجلة الكاظمي الذي ذهب إلى سامراء منذ دقائق.

فبادر بالاتصال سريعاً فأجاب نعم حبيبي محمّد تفضّل؟

شيخنا الحاج طلب شاي ونحن نسينا علبة التمر في عجلتك.

أستغرب الشيخ من حديث الجابري!!!

محمّد أنت عن أي عجلة تتحدّث وأي علبة تمر؟ أنا لم أأتي إلى العمليات بعد.

شيخنا عزيزي بقت علبة التمر في العجلة التي تستقلّها الآن.

حبيبي محمّد قلت لك: أنا ما زلت في بغداد ولم أأتي إلى العمليات بعد.

شيخنا هل أنت تمازحني أو تتحدث صادقاً؟!

والله لم أأتي إلى العمليات بعد.

الآن تأكدت من الإخوة المرافقين وأنا أتحدّث معك قالوا: إنَّ علبة التمر بقيت في عجلة الكاظمي.

محمّد أنا الشيخ قيس الخزعلي وليس الشيخ أبو عقيل الكاظمي.

لم يُنسَ هذا الموقف طيلة أشهر العمليات فكل ما أرد الحاج المهندس الشاي تذكّر الموقف وقال: **بويه محمّد أريد كوب شاي بس بلا أن تتصل بالشيخ الخزعلي.**

فلسطين المحتلّة:

في مدينة بيجي تحديداً مقر العمليات قبل صلاة الظهر حيث كنّا على وشك الخروج للصلاة.

وقبل أن نغادر الغرفة أوقفتنا تلك النشرة الإخبارية والصور التي تتحدّث عن عملية عسكرية نفّذتها المقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

حينها كان التلفاز على قناة الميادين التي كانت تبثُّ صوراً حصريةً من الأراضي المحتلة.

بقي الحاج المهندس واقفاً وهو بذلك الوجه الجميل المستبشر بتلك الأخبار والصور التي كان يرى من خلالها خوف ورعب الاحتلال وهم أمام الكاميرات.

شعرت وأنا أقف إلى جنب المهندس بالفرحة التي حلّت عليه وهو ينظر إلى صور تلك العملية في العام ٢٠١٥م.

❖ ❖ ❖

ماذا تفعل بصوري؟

في محافظة صلاح الدين تحديداً عمليات بيجي.

كنا نسير معاً بين مصفى بيجي وسلسلة جبال مكحول، أثناء عمليات تحريرها الذي كان فيها يصادف شهر محرم الحرام. الطقس كان جميلاً جداً ووجه الحاج المهندس مع لبس السواد والشفقة السوداء جعل صورته أمامي جميلة، فالتقطت هذه الصورة وهو مبتسم، والله حينها كأني رأيت القمر قد ابتسم وليس المهندس.

لم أنتبه إلى نفسي كم التقطت من الصور لتلك الابتسامة، حتى نبّهني هو ونظر إليَّ قائلاً: **هذا إسراف أن تلتقط لي هذا العدد من الصور!!**

ابتسمت وقلت له: حجّي هذا رام وأنا كل مساء أقوم بتفريغ كل الصور ولا نخسر شيء.

فسألني: **ماذا تفعل بكل تلك الصور؟**

فقلت له: حجّي تبقى للأرشيف محفوظة.

صمت وسار وهو ينظر إلى الطيار العراقي الذي يرافق القوات وعاد ليحدّثني: **أنا لم ولن أرشّح إلى الانتخابات؛ فهذه الصور لا تفيدكم مستقبلاً.**

حجّي:

في سامراء تحديداً مقر العمليات.

منذ الصباح الباكر عجّت صفحات الفيس بوك وهي تنشر وتشارك صور لجريح يقال إنّه في الحشد الشعبي، وقد فقد البصر على إثر الجراح، وهو يشتكي الآن من إهمال القوة التي كان معها.

أخذت الصور المنشورة مع نص الكلام ودخلت إلى القاعة التي يجلس فيها الحاج المهندس.

فقلت له: حجّي فأجاب **سريعاً ها بويه.**

حجّي هذا جريح يقال إنَّه من الحشد الشعبي وقد فقد البصر وهو متروك الآن.

لكن لا أعرف اسمه وأي لواء يتبع ولا حتى من أي محافظة.

نعم بويه شفت الصور وصلتني على الواتساب منذ صلاة الفجر وهو اسمه عبّاس من أهالي محافظة ميسان والآن وجّهت الإخوة بمتابعة أمره مع ذكر الجهة المقصّرة بتأخير حقوقه.

الشهداء:

في قضاء بيجي تحديداً منطقة المزرعة، كنا في زيارة إلى المستشفى الميداني الموجود في المنطقة، تفقّد الحاج المهندس الجرحى والكادر الطبّي وعدنا نسير على الأقدام إلى مقر العمليات الذي يبعد عنا تقريباً (٥٠٠ متر).

لم ننتبه إلى شيء سوى أنَّ الحاج المهندس تركنا وعبر إلى الجهة الأخرى من الطريق، ليقف أمام تلك الناقلة العسكرية حتى يقبّل صورة الشهداء القادة الذين نالوا وسام الشهادة معاً بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٣م وبتلك السرعة التي فيها تركنا الحاج المهندس كي يوقف الناقلة، التقطت له هذه الصورة التي كلّ مَن فيها شهداء في جنّة الفردوس إن شاء الله تعالى.

سلفي:

في منطقة المنصور تحديداً محل حلويات الخاصكي.

رأيت الإنارة جميلةً جداً وأنا اليوم قد اقتنيت موبايلاً جديداً والذي كان حينها (نوت ٥)، أخرجت الموبايل وفتحت الكاميرا على وضع السلفي وقلت له: حجّي خل نأخذ صوره. ابتسم وقال: **هذا سلفي رقم ألف** (وهو يعني أنك تلتقط كثيراً من الصور معي).

فقلت له: لا حجي اليوم الموبايل جديد فهذه أوّل صورة تعتبر.

ابتسم بذلك الوجه ـ الذي لم أره إلاّ مبتسماً ـ وقال: "**انتم جماعة مهنّد العقابي عدكم هواي فلوس، احنه فقره بعدنا على الموبايلات القديمة**".

همس الأمين:

في محافظة صلاح الدين تحديداً عمليات تكريت.

أخبر أمين المقاومة وقائدها، قائدَنا الشهيد همساً عن شيء جعل ذلك الوجه الملائكي يبتسم وهو في ساحة حرب. وعندما همس الخزعلي بإذن الحاج المهندس رفعت كامرتي لألتقط لهما تلك الصورة.

حينها وضع الأمين يده هكذا خشيت من أن تلتقط عدسة الكاميرا شيئاً وتترجم حركات الشفاه.

رسالة:

في بغداد تحديداً المنطقة الخضراء.

كنت وسيطاً بنقل تلك الرسالة التي كانت بين سطر وآخر ترى فيها ألم تلك العائلة المضحيّة.

أوصلت الرسالة بيد الحاج المهندس عندما كنا في بغداد، اطّلع على الرسالة سريعاً وأحالها إلى ذوي الاختصاص لينظروا بطلب عائلة الشهيد.

وفعلاً جرى اتصال سريع من ذوي الشأن بتلك العائلة وأبلغوهم سلام الحاج المهندس وقال لهم: إنَّ طلبكم وصل بيد الحاج ونحن من تكلّفنا بمتابعة الأمر.

لم يمض كثيراً على تلك الرسالة حتى رحل مَن كان يقرأ للشهداء وعوائلهم، لتهمل تلك الرسالة مع آلاف الرسائل الذي فيها تلاشت أحلام عوائل الشهداء برحيل مَن كان يرون في الحاج المهندس مرادهم.

حجّي ممكن سيلفي؟

في محافظة الموصل تحديداً عمليات قضاء تلعفر.

حجّي ممكن أن ألتقط معك سيلفي.

أي بوية كلش ممكن بخدمتك.

حجّي بروح أبوك ممكن تعيّني؟

أريد أتعيَّن.

بويه عزيزي هو أنت الآن متعيّن بالحشد الشعبي حالك حال أي موظّف بالقوات الأمنية.

صدك حجّي؟

أي والله صدك. راح أسألك الفريق يار الله الآن واسمع أنت الإجابة.

سيادة الفريق. الحشد الشعبي مو صاروا حالهم حال القوات الأمنية وحتى لهم تقاعد كسائر الموظّفين؟

نعم حجّي صحيح.

شوف بويه مثل ما كتلك أنت الآن موظّف بس موظّف مجاهد.

وقبل لا تروح تعال أنطيني بوسة.

إبراهيم:

في بغداد تحديداً دار الحاج المهندس.

أخبر الأخ مهنّد العقابي الحاج المهندس أنَّ هناك شابّاً جميلاً وصغيراً في العمر وكذلك يتيم الأب يحبّك كثيراً، وكل ما أراه يقسم عليَّ أن أخبرك أنَّ إبراهيم يحبّك كثيراً ويريد أن يسلّم عليك ويلتقط معك صورة.

أبتسم الحاج المهندس وقال له: **أنا بالخدمة.**

شوف أنت الوقت المناسب وائت به معك.

وفعلاً جاء الحاج العقابي مع الشاب إبراهيم إلى دار الحاج المهندس فخرج المهندس شخصياً ليستقبله بذاته وسلّم عليه.

وقال له: **أنا أحبّك أيضاً.**

طلب الحاج المهندس مني أن ألتقط لهم هذه الصورة معاً قبل أن يطلب إبراهيم بنفسه.

فرح إبراهيم كثيراً حتى شعرت أنَّ الدنيا بأكملها لا تسع تلك الفرحة.

عبطان:

في محافظة صلاح الدين تحديداً جامعة تكريت.

زار قاطع العمليات الأخ المجاهد عبد الحسين عبطان الذي كان يشغل منصب وزير الرياضة.

فاعتلى سطح جامعة تكريت بصحبة الحاج المهندس والفريق عبد الوهاب الساعدي كي يستطلعوا مدينة تكريت. أكملوا الاستطلاع سريعاً فاتجهوا للنزول فحينما وصلوا إلى الباب المؤدّي إلى السلّم رفض عبطان أن ينزل أوّلاً احتراماً للحاج المهندس الذي رفض هو الآخر أن يكون أوّلاً.

أصرَّ عبطان على المهندس فأصرَّ المهندس بالرفض.

فقال عبطان: حجّي ميصير شلون أكون قبلك.

فأجاب الحاج وهو مبتسم: **يصير بويه أنت وزير آني منو حتى أكون أمام الوزير.**

ابتسم عبطان وهو يحتضن المهندس.

الخاصكي:

في بغداد تحديداً حي المنصور محل حلويات الخاصكي.

طلب الحاج المهندس من الأخ السائق أن يذهب بنا إلى محل الخاصكي في المنصور.

وفعلاً توجّهنا إلى هناك، حينها كانت المنطقة مزدحمة جداً، فأخذ منا الطريق بسبب زحمة السير أكثر من ساعتين.

فحين وصلنا إلى المحل لم نجد صاحب المحل الذي عرفت حينها يعرفه الحاج المهندس شخصياً.

سأل الحاج المهندس الموظّفين فقالوا: ربما في المنزل.

فبينما نحن نتجوّل داخل المحل طلب أحد الموظّفين فيه أن يتحدث الحاج المهندس مع صاحب المحل بالهاتف.

سلّم عليه الحاج المهندس وقال له: **أنا أتيت لك كما وعدتك لكن لم أجدك.**

فردَّ عليه: حجّي إذا تنتظرني دقائق سأكون داخل المحل.

فسأله الحاج: **أنت في المنصور أو خارج المنصور؟**

قال: خارج المنصور لكن دقائق أكون يمك.

ابتسم الحاج المهندس قائلاً: **كيف دقائق وتصل وأنا قضيت ساعتين في الطريق إليك؟**

ضحك وقال: نعم أعلم زخم جداً في المنصور لكن مشتاق أن أراك حجي.

الخزعلي:

في بغداد تحديداً منطقة الجادرية.

ذهبنا برفقة الحاج المهندس إلى مقرّ سماحة الشيخ قيس الخزعلي الذي دعا الحاج المهندس على وجبة غداء ليتحدّثا بآخر مجريات الحرب على داعش، طال الحديث لساعات وبعدها استأذن الحاج المهندس من الخزعلي كي يذهب.

فخرج الخزعلي مودّعاً المهندس فحينما وصلوا إلى الباب رفض الأمين أن يخرج أمام أبي مهدي.

فأصرَّ المهندس على أن يخرج الخزعلي أوّلاً.

فحينما رفض ذلك قال أبو مهدي: **شيخنا عزيزي أنت عندك عصائب أهل الحق آني ما عندي شيء شلون تريدني أن أكون أمامك.**

ابتسم أمين المقاومة واحتضن والده ليكونوا بتلك الصورة.

الأسدي:

في محافظة صلاح الدين تحديداً في عمليات مصفى بيجي.

استطلع الحاج المهندس ميدانياً القطعات العسكرية المنتشرة داخل المصفى وكان برفقتنا الفريق الركن عبد الغني الأسدي، والحاج أبو عقيل الكاظمي، واللواء الركن معن السعدي.

وأثناء الجولة الميدانية وقف أحد جنود الجهاز مخاطباً الأسدي: سيّدي الآن رجعت الدبابة إلى الخدمة بعد تعرّضها صباحاً إلى صاروخ (RBG) حيّاهم الأسدي وطلب منهم فوراً التقدّم فيها حتى خطوط الصد.

ابتسم الحاج المهندس وهو يستمع لأوامر الأسدي وهمّة جنوده.

فسأله الأسدي عن سرّ تلك الابتسامة؟

فأجاب الحاج المهندس ـ وهو بذلك الوجه الملائكي ـ: **سيادة الفريق أنتم المفترض يسمّونكم جهاز مكافحة الإرهاب عصائب أهل الحق؛ لأن أنتم حقاً أبطال.**

مجاهد:

في محافظة صلاح الدين تحديداً منطقة الصينية.

استطلع الحاج المهندس المدينة ميدانياً.

طلب مني هذا المجاهد ـ الذي يظهر في الصورة ويقود العجلة النوع بيك آب ـ أن التقط له صورةً مع الحاج المهندس بدون أن يعلم بها الحاج؛ لسبب أنه يخجل أن يطلب من الحاج المهندس أن يلتقط صوره معه.

أكمل الحاج أبو مهدي تلك الجولة وعاد يسير على الأقدم تاركاً خلفه العجلات التي ذهبنا فيها.

فحينما وصل إلى هذه السيارة البيك آب.

فتح بابها وطلب من صاحبها أن يسير به إلى قضاء بيجي.

التقطت لهم تلك الصورة التي فيها يظهر ذلك المجاهد بين الشهيدين وهو مبتسم.

وعندما رأى هذه الصورة قال: لم أصدّق نفسي عندما رأيت الحاج المهندس معي في نفس العجلة التي أقودها.

وكل ظنّي أنّي كنت في رؤيا، تمنّيت فيها أن يطول ذلك الطريق حتى وإن وصل إلى ألف ساعة؛ فتلك الدقائق كانت الأجمل في حياتي.

صورة:

في محافظة صلاح الدين تحديداً قرية المزرعة.

التقطت هذه الصورة للحاج المهندس وهو يبتسم في حديث مع أحد المجاهدين، وحين انتهى حديثهما أظهرت الصورة كي أريها للحاج المهندس. فحين رآها ابتسم وقال:

بويه هاي الصورة مال دعاية إعلانية عن الأسنان.

العقابي:

في محافظة بغداد تحديداً المنطقة الخضراء.

اتصل على هاتفي الشخصي الأخ العزيز مهنّد العقابي.

حينها كنت أستقلّ ذات العجلة التي فيها الحاج المهندس تحديداً كنت في المقعد الذي خلفه مباشرةً، فسألني الحاج العقابي عن الحاج أبي مهدي.

فقلت له: هذا هو يجلس أمامي. قال: أخبره أنّي أريد الحديث معه ضروري جداً.

فأخبرت الحاج المهندس فطلب هاتفي ليكمل الحديث مع العقابي.

لا أعلم ماذا أخبر العقابي الحاجَّ المهندس، لكن من خلال حديث أبي مهدي علمت أنَّ الموضوع فيه محذور من أن يتحدّث العقابي في كلّ تفاصيله؛ خوفاً من تجسس الأمريكيين على هواتفنا الشخصية.

لذلك ابتسم الحاج المهندس وأكمل حديثه بكل التفاصيل بلا أي خوف أو حذر.

وقبل أن يشرع في حديثه مع العقابي قال ــ وهو مستهزئ بتلك الإدارة التجسسية الفاشلة ـ: **أعلم جيداً أنكم تراقبون حتى أنفاسي؛ لذلك أنا سأخبركم نحن غداً سنفعل كذا وكذا سجّلوها واضربوا رؤوسكم الفاشلة بحائط سفارتكم.**

مهدي:

في محافظة صلاح الدين تحديداً مدينة تكريت.

جاءه سماحة الشيخ قيس الخزعلي ليلتقي الحاج أبا مهدي المهندس ليستطلعوا القطعات العسكرية ميدانياً، كان هناك طفل جميل يرافق الشيخ الخزعلي وهو مدجّج بالسلاح فسأله الحاج المهندس **هل هذا ولدك؟**

ابتسم قائلاً: هذا هو ابن أحد الأصدقاء المرافقين وطلب أن يكون ولده معنا في هذه الواجب.

ناده الحاج المهندس كي يكون بجانبه فسأله عن اسمه؟ قال: أنا اسمي مهدي.

فردَّ الحاج المهندس قائلاً: **أنا اسمي أبو مهدي، لكن لا يوجد لدي مهدي، أتقبل أن تكون أنت ولدي.** بقى مبتسماً حتى ردَّ الشيخ الخزعلي حجّي هذا لقبه مهدي مو اسمه الحقيقي.

فسأله: **شنو اسمك الحقيقي؟**

قال: مقتدى. **إذاً لماذا غيّرته إلى مهدي؟**

أجاب: حبّاً بالشهيد الحاج مهدي الكناني.

فاحتضنه الحاج المهندس وقبّله وقال له: **هذه القبلة لأنَّك مهدي، وهذه لأنَّك مقتدى.**

الدراجي:

في محافظة بغداد تحديداً في أحد مقرّات الحشد الشعبي.

التقى الحاج المجاهد أبو إيمان الدرّاجي بالحاج المهندس.

في العام ٢٠١٦م ومن هذا العام استذكر الحاج المهندس تلك السنوات التي كان فيها الدرّاجي قائداً للجزيرة في محافظة ميسان.

فاستذكر الحاج أبو إيمان الدرّاجي ذلك الموقف الجهادي عام ١٩٩٨م.

فقال الدرّاجي للمهندس: حجّي حين كنت أنت قائداً لبدر وأنا مسؤول الجزيرة في العمارة أرسلتَ لي أحد الإخوة من المجاهدين ليستعير مني إحدى العجلات التي تمتلكها قواتي آنذاك.

وحينها حبّاً لك أعطيتهم أفضل عجلة أمتلكها وهي بيك آب موديل ١٩٩٨م ليستقلّوها في عملهم الجهادي في بادية السماوة.

ونحن الآن في العام ٢٠١٦م وأنا أريد عجله كتلك العجلة وبذات الموديل لقوّاتي في الحشد الشعبي.

أخذ الحاج المهندس ورقة وكتب فيها أمراً بتسليم عجلة جديدة للفوج الذي يقوده الحاج المجاهد أبو إيمان الدرّاجي.

الإفطار:

في محافظة صلاح الدين تحديداً جامعة تكريت.

كنا برفقة الحاج المهندس أنا والأخ العزيز الحاج أبو عقيل الكاظمي والسيّد الشهيد محمّد رضا الجابري. في مقر عمليات صلاح الدين تأخر الوقت كثيراً حتى أخبرنا الشهيد الحاج أبو مهدي المهندس أننا سنبقى هنا هذه الليلة، فجلسنا منذ الصباح الباكر فأخبرنا الفريق الركن عبد الوهّاب الساعدي أن نذهب مباشرةً إلى مطعم القيادة.

فجلست أنا بين الحاج المهندس والكاظمي وجلس أمامنا الساعدي والجابري.

حينها كانت وجبت الإفطار بيض وطماطم (مخلمة)

فالطبّاخ يعمل البيض بطريقه لا يجعله ينضج كثيراً وحين رأيته ذهبت إليه مسرعاً وقلت له: أنا لا أحبها هكذا أريدها أن تنضج بالكامل.

وفعلاً أتى لي بما أرغب حينها كنت مشتهياً للطعام جداً؛ لأنَّي لم أذق الطعام من غداء يوم أمس.

فحينما وضع الطعام أمامي رآه الحاج المهندس.

فقال لي: **هذه الطريقة طيبة أطيب من التي أمامنا خذ أنت طبقي وأعطني طبقك.**

ابتسمت وقلت له: حجّي ألف عافيه بس أنا لا أحبّها هكذا.

وعدت من جديد للطبّاخ كي يعد لي ما أريد.

لكن هذا المرّة أخذ نصفها الحاج المهندس وهو مبتسمٌ: ثم قال: **قلت لك أطيب من الطبق الأوّل.**

ابتسمت وقلت له. حجّي راح أغيّر مكاني.

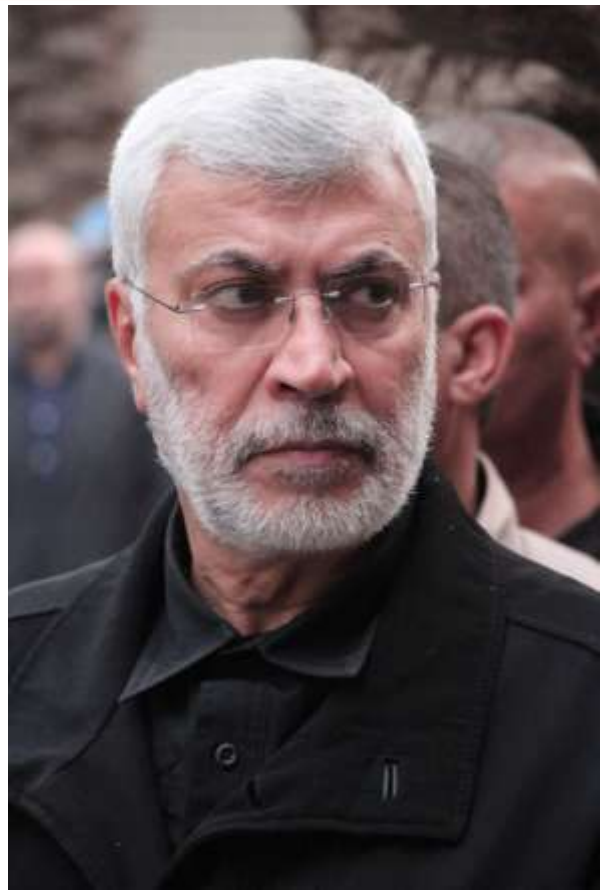

الجلبي:

في محافظة بغداد تحديداً منطقة الحرية.

تم تداول هذه الصورة كثيراً بين محبّي الحاج المهندس حتى وضعت في كل الطرق ورفعت في أغلب الأماكن العامة كما في بعض البلدان مثل الجمهورية الإسلامية ولبنان وفلسطين واليمن وفي بعض الدول الأفريقية.

لذلك أحببتُ أن أذكر لكم موقفها.

التقطتُ هذه الصورة بتاريخ ٢٠١٥/١١/٣م في يوم رحيل الدكتور أحمد الجلبي حيث تأثر الحاج المهندس كثيراً حين سمع برحيله كما لبس السواد.

لا أعرف العلاقة التي تربطهم، لكن حين رأيتُ وجه الحاج المهندس وكيف بكى لرحيله علمت أنَّ هناك علاقة طيّبة جعلت الحاج المهندس واقفاً في باب العزاء لثلاث أيام، وكأنَّه هو صاحب العزاء.

طيلة تلك الأيام الثلاثة التقطت الكثير من الصور للحاج المهندس مع الكثير من الشخصيات.

ومن تلك الصورة هذه الصورة التي أصبحت آيقونة رحيل المهندس.

ليلة الشهادة:

انتهت كتابة كلّ المواقف والقصص التي جمعتني بالحاج الشهيد القائد أبي مهدي المهندس حتى وصلتُ إلى ليلة الشهادة.

ماذا أكتب لكم عن تلك الليلة ومأساتها في قلوب العاشقين لقادة كنا نرى فيهم عزَّتنا ونصرَنا في كلّ الجبهات وعلى جميع المستويات.

منذ أن تواجد الحاج المجاهد الشهيد قاسم سليماني في العراق كمستشار عسكري مع رفاقه المستشارين العسكريين أخذ الحاج المهندس على عاتقه في كلّ مرَّة إيصاله إلى مطار بغداد إن أراد المغادرة، أو استقباله أن أراد القدوم، حتى صار معلوماً عند جميع الأخوة المرافقين أو المنسّقين أنَّه متى شوهد

الحاج المهندس متوجّهاً إلى المطار فهذا يعني قدوم الحاج قاسم سليماني لا محالة.

البعض يرى ذلك جزءاً من مهام الحاج المهندس؛ لأنَّ الحاجَّ المهندس يشغل منصب نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي، والحاج قاسم ضيف الحشد لذلك يقوم باستقباله وتوديعه.

لكن آنا أرى أنَّ هذا الاستقبال ما هو إلاّ حبّاً وإكراماً لقدومه؛ إذ يتمتّع الحاج المهندس بعلاقة صادقة طيّبة بالحاج قاسم سليماني.

أتذكّر ذات مرَّة (في عمليات تحرير حزام بغداد) أنَّه سأل أحد الصحفيين الحاجّ المهندس عن علاقته بالحاجّ قاسم سليماني، فأجاب الحاجّ المهندس: **أنا جندي حجّي قاسم سليماني**. فكان الجواب معبّراً عن عمق وصدق تلك المحبّة والعلاقة الإيمانيّة بذلك القائد العظيم الذي بذل عمرَه ودمه خدمةً للإسلام والمسلمين.

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٣م في الساعة الثانية عشرة ليلاً وصل الحاج المهندس إلى مكتب مديرية العلاقات العامة في الحشد الشعبي، الكائن في مطار بغداد الدولي برفقة اثنين من الأخوة المرافقين، الذين طلب منهم الحاج المهندس إيصاله إلى المكتب فقط، حيث أوصلوه وعادوا بمفردهم إلى المنطقة الخضراء.

وفي نفس الوقت غادر الحاج المهندس مكتب العلاقات إلى ساحة الطيران برفقة كلّ من الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري، والشهيد العزيز الأخ محمّد الشيباني، والشهيد حسن الساعدي، والشهيد حيدر القريشي، استقلّوا عجلتين، إحداهما: (تويوتا افالون) سوداء اللون تحمل لوحة تسجيل بغداد خصوصي، وأخرى: (هيونداي ستاريكس) سوداء أيضاً تحمل لوحة تسجيل بغداد أجرة.

وفي الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة من بعد منتصف الليل وصلت طائرة أجنحة الشام السوريّة القادمة من العاصمة دمشق، وكان على متنها (١٥٣ راكباً) بينهم الحاج قاسم سليماني ورفاقه الأربعة، ولمّا وصل إلى سلّم الطائرة استقبله كلّ من الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري وحسن الساعدي فتح باب الطائرة أمام الحاج قاسم سليماني الذي كان يرتدي حينها كمّامة على وجهه وغطاء (قبّعة) على رأسه.

استقلَّ الحاج سليماني ذات العجلة الأفالون التي فيها الحاج أبي مهدي المهندس والتي يقودها الشهيد محمّد الشيباني، كما استقلَّ مقدّمة العجلة الشهيد السيّد محمّد رضا الجابري.

أمّا العجلة الاستاريكس فقد قادها الشهيد حيدر القريشي مع الشهيد حسن الساعدي والأخوة الشهداء المرافقون للحاج قاسم سليماني، وهم كلّ من:

الشهيد حسين بور جعفري، والشهيد هادي طارمي، والشهيد شهرود مظفّري، والشهيد وحيد زماني.

وبعد عشر دقائق غادرت العجلتان ساحة المطار من الباب (الكيلو١) بعد خضوعهم للتفتيش.

وفي الساعة الثانية عشرة وسبع وثلاثين دقيقة بعد منتصف الليل أطلقت طائرة مسيّرة أمريكيّة صاروخاً باتجاه العجلة الأفالون التي يستقلّها الحاج المهندس والحاج قاسم سليماني وهي العجلة الثانية وتبعد عن العجلة الأولى(١٥٠متراً).

حيث أُصيبت العجلة من جهة أعلى اليمين واستمرّت بالمسير حتى توقّفت بعد (١٠٠ متراً) من الإصابة الأولى ليطلق عليها صاروخٌ آخر أصاب العجلة من

أعلى اليسار؛ ليتمَّ تدميرها بشكلٍ كاملٍ، وبعدها أُطلق صاروخٌ ثالث باتجاه العجلة الاستاريكس وهي العجلة الأولى والتي تبعد عن الثانية بـ (١٥٠ متراً) وأصابها من أعلى اليمين.

بعد استهداف العجلات، وبعد دقائق من عملية الاغتيال وصل بعض قادة الحشد الشعبي إلى موقع الحادث مع وصول كوادر مديرية الطبابة للتكفّل بجمع بقايا الجثامين الطاهرة المتناثرة على الأرض ونقلها بإسعافات المديرية إلى ثلاّجة مطار المثنّى العسكري.

انتهت تلك الليلة الدموية وأشرقت علينا شمس صباحٍ مظلمٍ وحزين على رحيل قادتنا، ففي ذلك الصباح لم نرَ وجهاً للصباح، كان ذاك الصباح أشدّ حزناً على أيتام الشهداء وعوائلهم؛ إذ رحل الوالد العطوف والأب الرؤوف لهم، بل كان والدنا جميعاً؛ لذلك حين رحل الحاج المهندس رحلت معه الكثير من الأحلام، أحلام كنا نراها أحلاماً لكن كنّا على يقين أنَّها سوف تتحقّق على يدي أبي مهدي المهندس.

لذلك عندم قدم الاحتلال الأمريكي على اغتيال المهندس لم يقدم على اغتياله كقائد عسكري فقط، بل اغتيال لروح وعقل وقلب الحشد الشعبي والمقاومة الإسلامية.

نعم لدينا الكثير من القادة العسكريين، لكن لم ولن نجد فيهم أبا مهدي المهندس بما يحمله من خصال متكاملة؛ حيث كان المهندس من أولياء الله على الأرض وجنديه المجهول.

حين أرى تلك الصورة والكثير من الصور للحاج أبي مهدي المهندس والحاج قاسم سليماني أتيقّن أنَّ أحدهم عانق الآخر قبل الموت، وحين رحلا كان أحدهم يمسك يد الآخر حتى جنّة الفردوس.

عملتم لله، وما كان لله ينمو، وفعلاً نمت تلك المسيرة الحافلة بالنصر بملايين الدموع والأيادي التي ضربت الرؤوس والصدور على فراقكم.

نمت تلك المسيرة بكلمات مرجعنا الكبير السيّد علي السيستاني دام ظله حين وصفكم بصدق بقوله: (قادة النصر)، وبان حزن رحيلكم على قائدنا السيّد علي خامنئي حين رآكم أجساداً أمام عينيه.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم، فالعين عبرى والقلوب حرّى، العين تبكي والقلب يحزن ولا نقول ما يسخط الربّ.

لنبكِ عليكم بمذاب القلوب * فما قدر أدمعنا المالحة**

الليلة الأخيرة:

٢٠٢٠/١/٩م ذلك اليوم الذي لا يقلّ حزناً عن يوم رحيل قادة النصر وسادته، ليلة ذات طقس بارد قضيتها في المقبرة التي سيدفن فيها الشهيد، لكن حالي كان أفضل من ذلك الرجل الذي رأيته يجلس قرب أحد القبور مفترشاً التراب مع طفله وآثار البرد بادية عليه، فقلت له: عزيزي غداً عند الساعة السابعة صباحاً سيتم دفن جثمان الشهيد، وبما أنَّ الطقس بارد جداً فمن الأفضل لك أن ترحل وتأتي غداً رفع رأسه والدموع تملأ عينيه قائلاً: أنا هنا منذ المساء وسأبقى هنا حتى وإن بقي الجثمان وتأخّر دفنه لأيام؛ ستّ سنوات سهر فيها الحاج المهندس بكلّ فصولها من أجلنا وهو في هذا العمر وتريدني أن أذهب واستريح لمجرد شعوري بالبرد؟!

فو الله منذ اليوم الذي رحل فيه أبو مهدي المهندس وأنا لم أذق طعم النوم ولم تجف دموعي فمنذ تلك الليلة التي أنهت حياتنا مع حياته.

هل تعرف الحاج المهندس شخصياً؟

لا والله لم أعرفه معرفة شخصية، فأنا من أهالي محافظة ميسان ولدي الكثير من الأصدقاء في ساحات الجهاد، وحين كنا نجتمع بعد عودتهم فيتحدّثون لي عن الحاج أبي مهدي المهندس وعن تواضعه مع المجاهدين وكيف يعاملهم وينادیهم بويه، وعن روحيته الجهادية ومخافته من الله.

فمن ذلك الكلام وتلك الجلسات عشقت المهندس وصرت أُتابع كلَّ ما يكتب وينشر عنه، والله لم أرَ في وجهه إلاّ صورة للعبد الصالح المطيع لله ولرسوله.

انتهى الحديث بالدموع وأكملت مسيري بين تلك القبور للردّ على مَن يسألني عن موعد الدفن غداً.

ومن بين أولئك الشباب وكبار السن أوقفني صوت امرأة تناديني: خاله يعني الليلة ما يدفنون الحجي؟

لا يمّه، باچر إن شاء الله.

يمّه أني هنا باقية ويه بتّي خو ما أضايقكم؟

يمّه عزيزتي الجو بارد، واحنة بأوّل الليل ومراسيم الدفن باچر واحتمال تتأخر بسبب زخم الناس، ليش ما تروحين هسه وتجين باچر؟

وين اروح وأنا جايه من محافظة صلاح الدين ويه بتّي بس علمود نحضر مراسيم دفن جثمان اللّي وگف ويانه بالرجال والسلاح حتى نرجع لبيوتنه بسلامة وعافية، أنا هنا من أوّل الليل وراح ابقه هنا حتى أودّع الشهيد باللحظات الأخيرة؛ لأن الشهيد أعظم قائد عاصرته.

أغلب الحاضرين كانوا يظنّون أنّها من عائلة الحاج المهندس؛ لكن حين سمعوا صوتها ولهجتها تيقنوا أنّها من محافظة صلاح الدين.

تركتُها وذهبتُ لأجلس قرب حفرة القبر متحدّثاً مع القبر:

لا تكن ظالماً لنا وتسد باب لحدك على ذلك الوجه الجميل والقلب الطيّب.

أتعلم أي جسدٍ سيستضيف لحدك اليوم؟

ربما علمت من أولئك الناس الذين باتوا بالقرب منك وهم يذرفون الدموع على لحدك قبل وصول النعش.

إعلم جيداً أنّ قلوبنا هي مَن ستدفن هنا وليس جسد الحاج أبي مهدي المهندس.

عن أيّ موقف أكتب لكم؟ عن عتاب الناس وأنينهم قرب القبر في تلك الليلة أو عن بكاء السماء علينا فنزل المطر غزيراً؛ ليعبّر عن مدى حزن السماء وألمها.

بقي العُشّاقُ عند قبره حتى بزغ الفجر، وأشرقت الشمس التي كنّا نشعر بظلامها وهي مشرقة.

ووصل الجثمان ليحطَّ رحاله أخيراً في هذا القبر الذي أعدّه الحاج أبو مهدي المهندس لنفسه قبل الرحيل.

حين أخرجوا الجثمان من التابوت أحسست بأنّ أرواحنا خرجت لتنزل معه في ذلك القبر، كما وشعرت بالكثير من الأرواح الصالحة تقف مستبشرة بقدوم ذلك العبد الصالح عليهم، مقطّع الأوصال كقائدهم وملهمهم وإمامهم الإمام الحسين عليه السلام.

اشتدّ بكاء الناس وأنينهم واشتدّت دموع السماء لتمتزج مع دموعهم حتى ابتلّت الأرض كلّها حزناً على رحيل والد الحشد وقائده.

انتهى ذلك الحلم بتيقّن الرحيل، وانتهت آمالنا واختفت خلف ذلك التراب.

وعدنا من هناك كالأيتام الذين رحل عنهم والدهم وهم ما زلوا صغاراً.

النهاية:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظيم

حجّينا العزيز إنّ شهادتك هبة إلهية تعويضاً عن السنوات التي قضيتها لله؛ فما كان لله ينمو.

فنمت تلك السنوات التي صبرت فيها عن حلاوة الدنيا وترفها بالشهادة في سبيل الله.

بمقدار الحب المكنون لك في قلوبنا، أحببنا لك تلك الشهادة التي تقطّعت فيها أوصالُك لتكون شهيداً مظلوماً نحتسبك عند الله.

لكن بمقدار ذلك الحب تألّمنا لفراقك ورحيلك عنّا، فليس لنا سواك، أنت قائدنا الذي كنا نرى فيك قوتنا وعزمنا حين تشتد ساحات الوغى كما نرى في وجهك النصر حتى في إنكسارنا.

يا أبا الحشد برحيلك عنّا أيتمت أيتام الشهداء وعوائلهم الذين كانوا يرون فيك عليّاً الذي يقف على باب الأيتام ليقضي حوائجهم.

فزت أنت بالشهادة وفزنا نحن بأنّك منّا يا مهندس النصر وقائده العظيم.

١- فُصّلت: آية ٣٥.

الملحق الصوري

الشهداء المرافقين للحاج ابو مهدي المهندس

الشهداء المرافقين للحاج ابو مهدي المهندس

الشهداء المرافقين للحاج قاسم سليماني

الشهداء المرافقين للحاج قاسم سليماني

المهندس مع الشهيد القائد الشيخ كريم الخاقاني في عمليات

تحرير محافظة صلاح الدين

المهندس مع الشهيد القائد السيد جاسم شبر في معسكر سبايكر

المهندس مع الشهيد القائد ابو حبيب السكيني في قضاء سامراء

المهندس مع الشهيد المجاهد رضا الشبكي في قضاء سامراء

المهندس مع الشهيد القائد السيد ابو حسنين الموسوي في قاعدة سبايكر

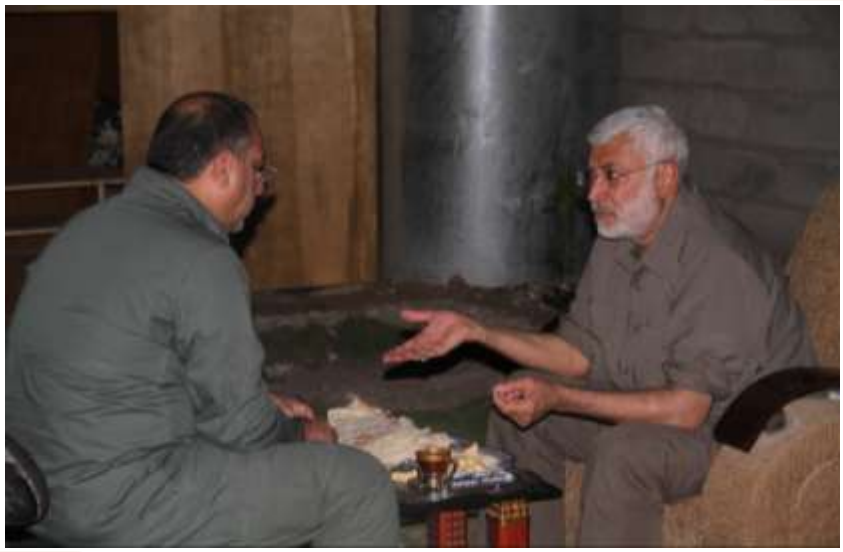

المهندس مع الحاج القائد ابو مصطفى الشيباني في قضاء بيجي

المهندس مع الحاج القائد ابو جاسم العسكري في قضاء بيجي

المهندس مع الحاج القائد ابو علي البصري في مقر عمليات بيجي

المهندس مع الحاج القائد أبو إيمان الباهلي

اثناء الاطلاع على الخرائط العسكرية

المهندس مع الحاج المجاهد أبو ابرار المنصوري في عمليات قضاء سامراء

المهندس مع أحد المجاهدين الذي طلب ان يقبله في عمليات بيجي

المهندس مع الحاج مهند العقابي مدير مديرية الإعلام في مقر عمليات سامراء

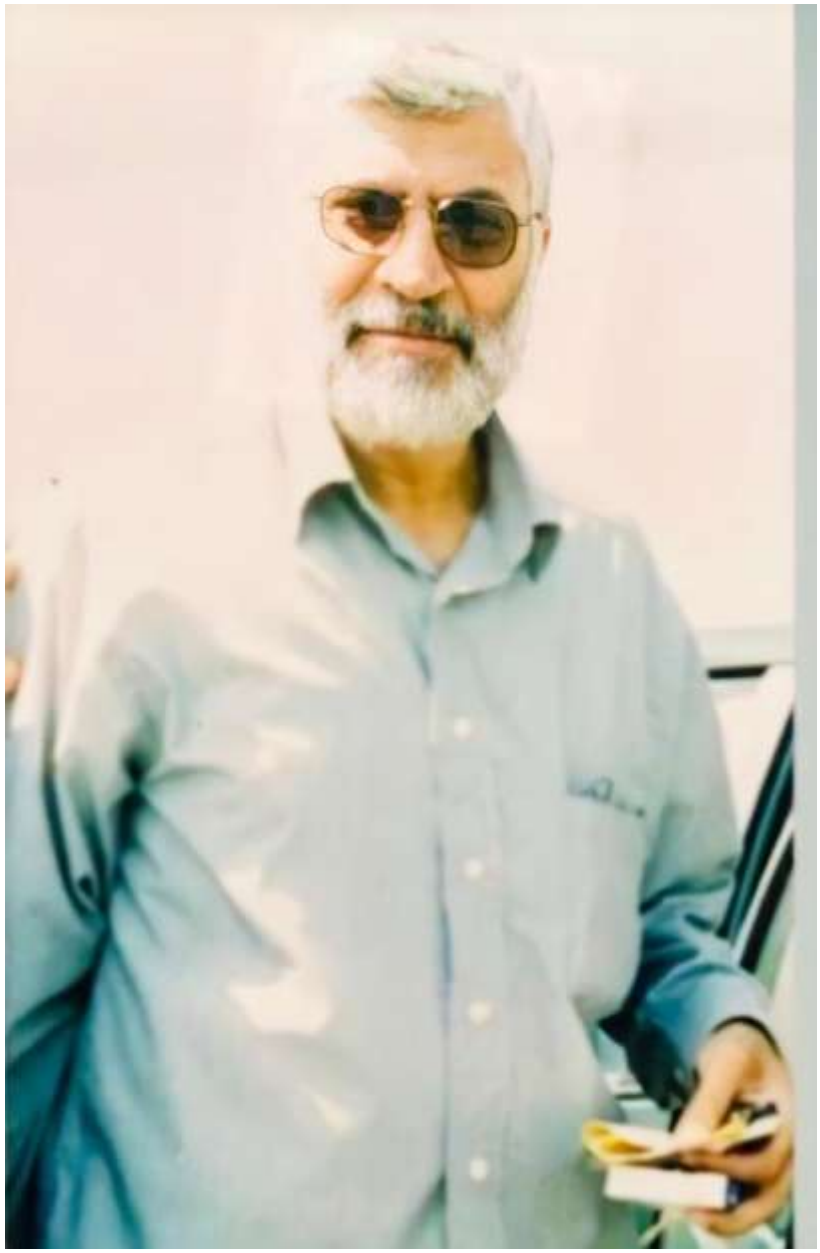

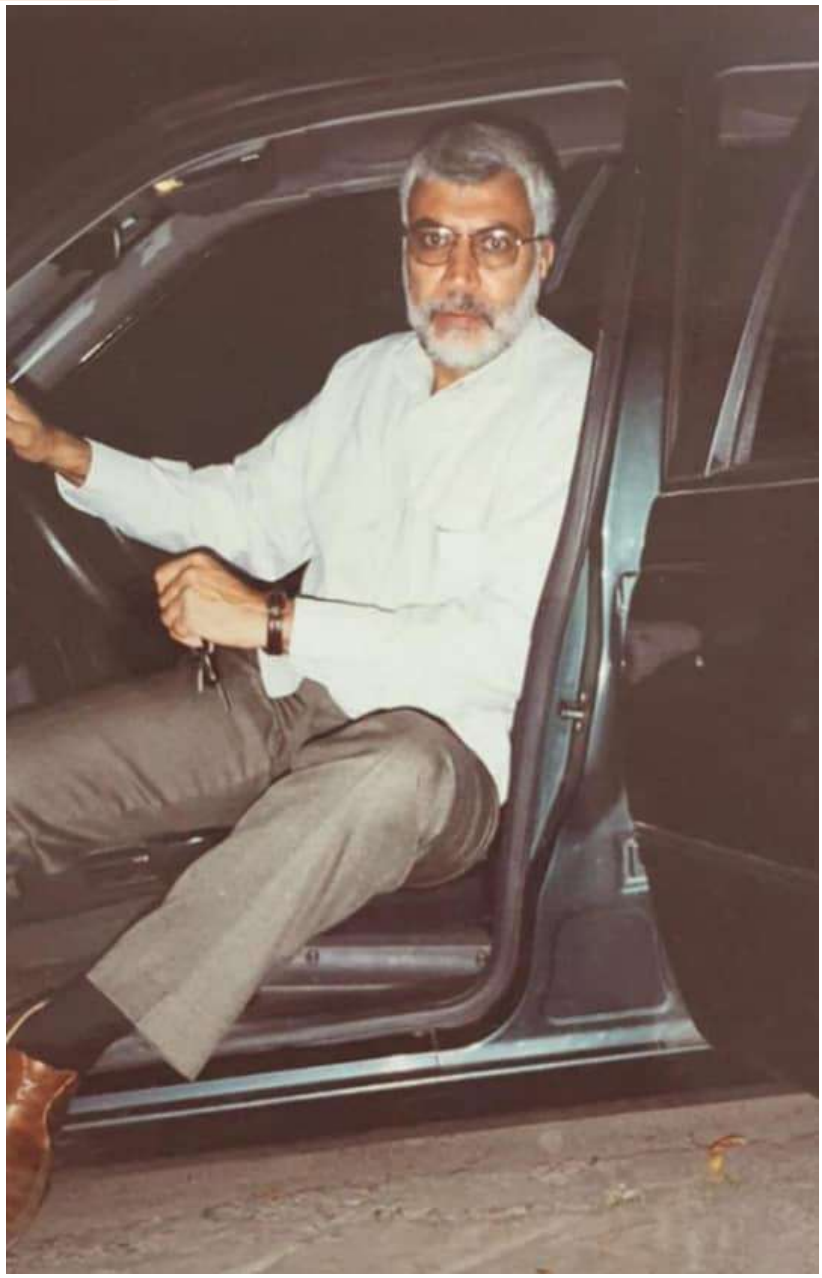

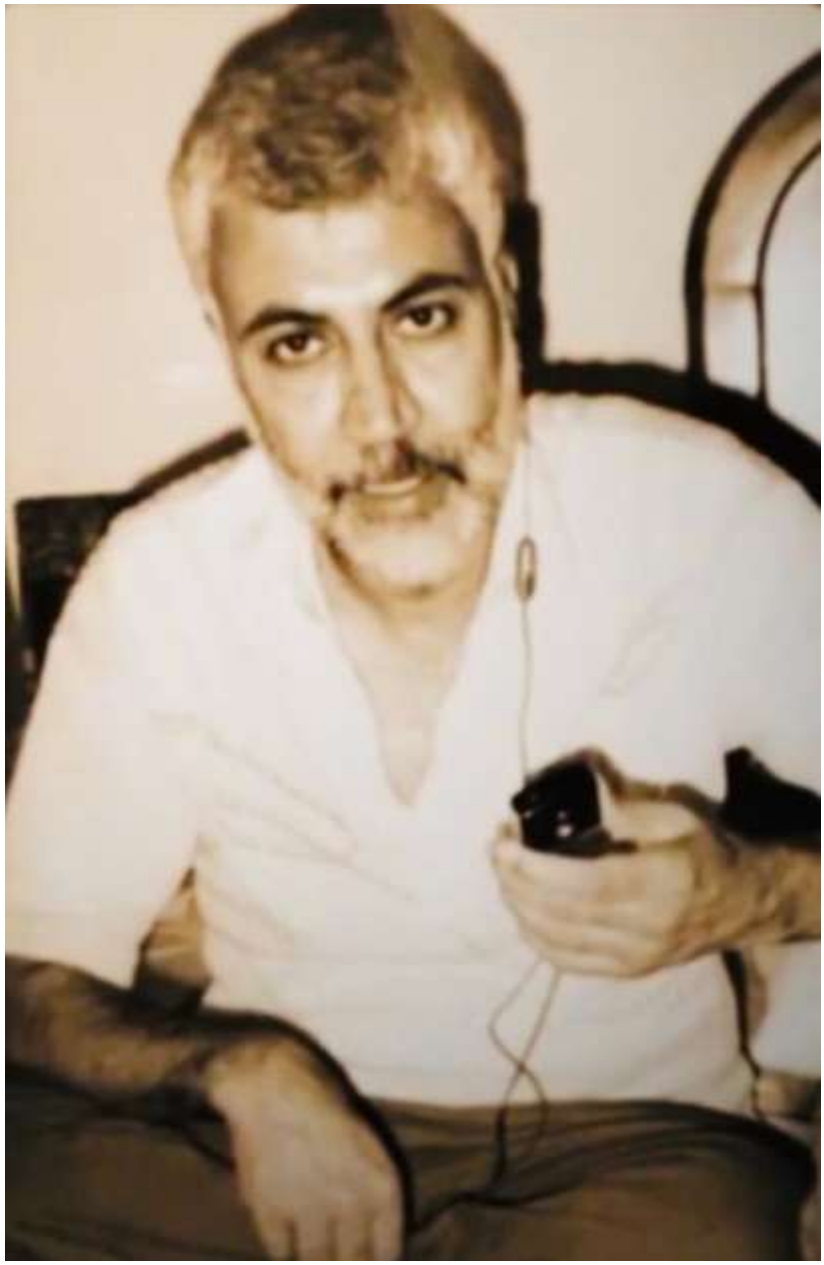

بويه البهادلي راح اتوضه خلي غراضي يمك

جمال الشهداء

المحتويات

دليل المحتويات

كلمة مدير الإعلام ٩

المقدمة ١٣

السيرة الذاتية للحاج أبي مهدي المهندس ١٧

تكليفي مع المهندس ٢١

طلب تسجيل الوصية ٢٥

الوصيّة ٣١

أنتَ مفطر؟ ٣٥

أنا على استعداد أن أكون مكانهم ٤١

رفع النفايات أثناء العمليات ٤٩

علم المهندس برحيل الكناني ٥٣

إذا لم ترضَ بتقبيل يدك فسأقبل قدمك ٦١

ساعة من ساعات الصفر ٦٣

البريد ٦٧

أنا أخاف من أراقة الدماء ٧١

وقفت أمام المهندس ٨١

قصف المهندس قاعة الاجتماعات ٨٥

لبيك يا داعي الحق ٩١

ولادة مهدي ١٠١

رأى المهندس قتيلاً داعشياً ١٠٥

رفض المرافقة ١٠٩

استهداف المهندس ١١٥

الإعلام الأمريكي في العراق ١١٩

الصلاة في أوقاتها ١٤٧

حتى وإن كانوا دواعش ١٥٣

بويه يمكن طال شعري؟ ١٥٩
عطر البارود ١٦١
ها بويه ١٦٧
قولوا لهم سيدي ١٧٣
مهرجان الناصرية ١٧٧
العوائل النازحة ١٨١
حدثني صديقي أخ الشهيد ١٨٩
كان حسينياً ١٩٥
سننتقم من السعودية ١٩٩
ربما ينال الشهادة غداً ٢٠٥
بلّغ السيد عادل عبد المهدي ٢١٥
الاهتمام بالجرحى ٢٢١
بسبب أمريكا ٢٢٩

أنا أعتذر منك و سأقبّل يدك ٢٣٩

أنا مدعو على حزامٍ ناسف ٢٤٧

الشباب السني ٢٥٥

من لعوائل الشهداء والجرحى؟ ٢٥٩

زيارة مستشفى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ٢٦٧

حتى لا يقولون جاء للتصوير؟ ٢٧٥

زيارة وزارة المالية ٢٨٣

باب الخضراء ٢٨٩

حتى وإن كان للمريخ ٢٩٣

غرفة العمليات ٣٠١

التقينا في القائم ٣١١

مواقف قصيرة

الإتصال ٣١٥

فلسطين المحتلّة ٣١٧
ماذا تفعل بصوري؟ ٣١٩
حجّي ٣٢١
الشهداء ٣٢٣
سلفي ٣٢٤
همس الأمين ٣٢٥
رسالة ٣٢٦
حجّي ممكن سيلفي؟ ٣٢٨
إبراهيم ٣٣٠
عبطان ٣٣٢
الخاصكي ٣٣٤
الخزعلي ٣٣٦
الأسدي ٣٣٨

مجاهد ٣٤٠
صورة ٣٤٢
العقابي ٣٤٣
مهدي ٣٤٥
الدراجي ٣٤٧
الإفطار ٣٤٩
الجلبي ٣٥١
ليلة الشهادة ٣٥٣
الليلة الأخيرة ٣٦١
النهاية ٣٦٥
الملحق الصوري ٣٦٧
المحتويات ٣٩٣

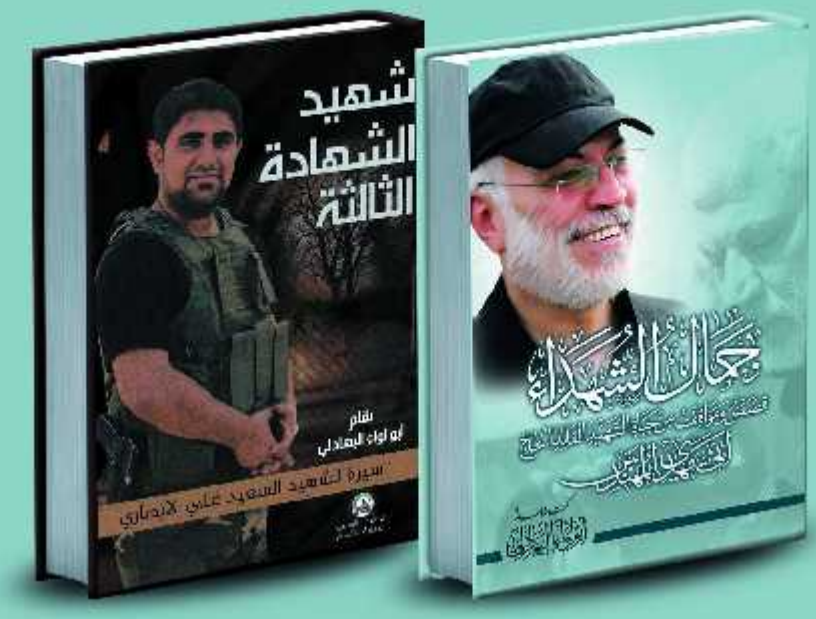

المؤلف

حجينا العزيز إن شهادتك هبة إلهية تعويضاً عن السنوات التي قضيتها لله؛ فما كان لله ينمو.

فنمت تلك السنوات التي صبرت فيها عن حلاوة الدنيا وترفها بالشهادة في سبيل الله.

بمقدار الحب المكنون لك في قلوبنا، أحببنا لك تلك الشهادة التي تقطعت فيها أوصالك لتكون شهيداً مظلوماً نحتسبك عند الله.

الحشد الشعبي
مديرية الإعلام